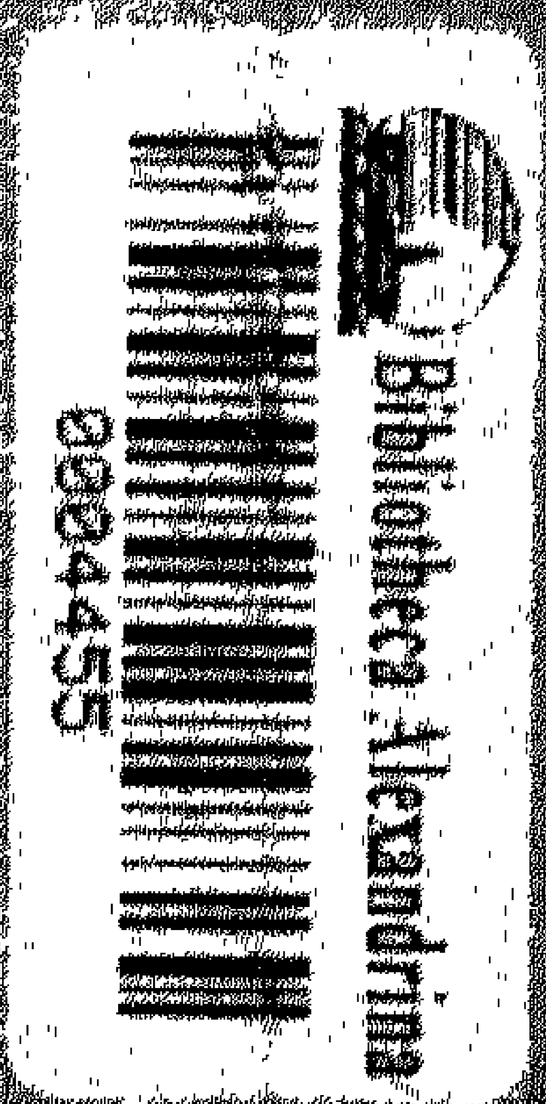

Bibliotheca Alexandrina
0004455

كتاب تجارب الأمم

لأبي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه

الجزء الثاني

(يحتوى على حوادث اربعين سنة) (من ٣٢٩ الى ٣٦٩ هجرية)

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ خلافة المتّقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ﴾

لما مات الراضي بالله بقي الامر في الخلافة موقوفاً انتظارا لقدوم أبي عبد الله الكوفي من واسط وأحتيط على دار السلطان وانتظر أمر بجكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفي يامر فيه أن يجتمع مع الوزير الذي كان يزر للراضي بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلّد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلويين (٢١) والعبّاسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرتضى مذاهبهُ وتحمد طرائقه فمن وُجِدت فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر فتفرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لامر، فلما كان اليوم الثاني دُفع كتاب بجكم الى كاتب فقام وقرأه على الناس وذكر ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي : هذا الرجل من ولد المقتدر فقل لنا هذا الرجل المذكور في الكتاب يجب ان يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؟ فقال أبو عبد الله الكوفي : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب في الخلافة كائنا من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سرًّا . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيت وأقبل يدخل اليه الناس اثنان اثنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المقتدر فأيّ شيء تقولون ؟ فاذا سمعا ذلك لم يشكّا في انه شيء قد تقرّر وورد فيه أمر بجكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى كلام الجماعة تقدّم بحمله ليعقد له الامر في دار بجكم ثم يحمل الى دار السلطان. وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعُرضت الالقاب على المتقي لله فاختار منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس [٣٠] وأنفذ الخلعة واللواء الى بجكم مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فانحدر بها وخلع عليه وأخذ البيعة عليه للمتّقي لله [١]

وأطلق بجكم لاصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطلق للكتّاب ولا للنقباء وأشباههم شيئاً . ووجّه بجكم قبل استخلاف المتقي فحمل من دار السلطان فرسا كان استحسنهُ وآلات كان اشتهاها . وخلع المتّقي لله على سلامة الطولوني وقلّده حجبته وأقر سليمان بن الحسن على وزارته وانما كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي

وفيها ورد الخبر بدخول أبي على ابن محتاج في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي وهزيمته لوشمكير الي طبرستان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ما كان مستقرًّا بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

---

(١) وفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولي ان الحسين بن الفضل بن المأمون بعث الى الكوفي بعشرة آلاف دينار له وباربعين ألف دينار ليفرقها في الجند ان ولاه الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التي له وكان كثير الصوم والتعبد لم يشرب نبيذا قط وكان يقول : لا أريد نديما غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استئمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته اياه وطمعه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان واستعفى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فولّيها وسار اليها وفيها بلقسم ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الى وشمكير يداريه فيه ويستنزله عن أعماله التى كانت [٣١] في يده ويستعيده الى حال المودة والموادّعة . وكان الاجماع قد وقع من الجيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا أنجد ولا أفرس من ما كان وأقرّ له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدّم مشهور فصادفت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب عهده بالمصيبة واشفاقهُ من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الى صاحبه بلقسم بن بالحسن بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودّة واستوحش صاحب خراسان من تضافرهما وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعتهُ وأسقط خطبته . فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقعته فى عسكر كثيف أمدّهُ به صاحب خراسان وكتب ما كان الى وشمكير بالصورة واستنجدهُ فانجدهُ بعسكر قوىّ ثم اتبعهُ أيضا بعسكر ثان مع شيرج بن ليلى . وحاصر ابن محتاج ما كان واشتدّ به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال

فانتهز هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه واغتنم شغل وشمكير بما كان فطمع فى الرىّ وكاتب أبا على ابن محتاج صاحب جيش خراسان [٣٢] وأشار عليه بمناجزة القوم ووعده بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه وأشار عليه بالمناجزة ووعدهُ بان يسير أخاهُ الى الرىّ في عسكر قوىّ

وعرف وشمكير الخبر وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف ففعل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الريّ وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكاتبة بينه وبين عماد الدولة وركن الدولة واستحكمت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكراهما وصارا عسكرا واحدا واشتملت عدة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سوى الاتراك والعرب وأظهرا من السلاح والجُنن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التدبير لان وشمكير كان منفرداً باطلاق النفقات والاموال واقامة الانزال والعلوفات وتفقّد القُوّاد والرجال لان الري وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرّد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرُب منها وأقام الديلم والجيل مصافّها وبات الفريقان على أهبة لِما كرة الحرب والمناجزة (٣٣) وكان وشمكير ضرب عدّة خركاهات للمصافّ ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكلُ ويُطعِم ويُجلس من يرى ووشمكير قائم متردّدٌ على رسمهم في ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا با طاهر لِمَ لا تأكل معنا ثم تتوفّر على النظر بعد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمرٍ قد قرُب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معاً ونطعم وان كان لغيرنا فسوف يأكل ويُطعم . (وكانا يتعاملان مُعاملة النظراء ويتخاطبان بالكُنى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استتموا طعامَهُم حتى ورد عليهم الخبر بان ابن مُحتاج رحل عن موضعهم عادلا عن سمتهم الى اسحاقاباذ ليجتمع معه العدد الذي

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قُم وقاشان فارتحلا جميعا فى الوقت الى هذه القرية وأعاد المصافّ بها ووافى ابن مُحتاج وقد عبّى جيشه كراديس

﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرّق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾
﴿ بينهم الغدر فازال تمبئتهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن مُحتاج الى أصحابه أن يَطرقوا القلب ويلحّوا عليه وكان فيه ما كان وجُمرة العساكر وان يتطاردوا لهم ويستجرّوهم . ثم وصّى الكراديس التى بازاء الميمنة[٣٤] والميسرة ان يناوشوهم مناوشة خفيفة بمقدار مايشغلهم عن ان يصيروا مدداً لمن فى القلب ولا يطلبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل ففعلوا ذلك وألحّوا على القلب ثم تطاردوا لهم كالمنهزمين فطمع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فاتّبعوهم وفارقوا مصافّهم وبعدوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير . فحينئذ أمر ابن محتاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في الفضاء الذى اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحققوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلوهم كما شاؤا . وكان ما كان قد ترجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثلها فوافاه سهم عائر وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وأفلت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن محتاج الرىّ وأخذ رأس ما كان بخوذته والسهم فيه وحُمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جمّاً يقال انهم نحو ستة آلاف .[٣٥] ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الى بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان ويزعم انه تربيته وقد كان أظهر حزنا وغمّاً شديدا لما سمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس ابن شقيق المرسوم كان بالترسّل بين وُلاة خراسان وبين السلطان ومعه رأس ما كان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك في سنة ٣٢٩

﴿ ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استنامته الى جيش ﴾
﴿ غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانتهب ﴾
﴿ سوادُه ونجا بنفسه ﴾

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيعتهُ وكان قريبا منه في الشجاعة الاّ انه كان شرسا متهوّراً زعِر الاخلاق فلما قتل ما كان التمس منه وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التثاقل عنه حتى أطلق لسانَهُ فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذلَهُ ونجا بنفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقيعة فيه فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج داخلا في طاعته ومستنهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده على قصد وشمكير . فلقيه بظاهر سارية واتّصلت الحرب بينهما أياما الى أن ورد الخبر [٣٦] على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة ووافقه على أمور تقررت بينهما وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس بما فعله وأراد منه أن يتمّم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بعد ذلك الى خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا الحقد ودبّر أن يطلب غِرته في طريقه ويفتك به فلما صارا الى الحدّ بين أعمال

جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بعسكره ليقتله فافلت منه وقتل حاجبه وانتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أعنى ابنه سالار وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلعة التى كان يعتصم بها . وكان وشمكير صار الي الريّ فملكها فلما فعل الحسن بابن محتاج مافعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة وردّ عليه ابنه الذى كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على الخراسانية به ان عاودوا حربهُ فتسلّم وشمكير ابنه وحاجزهُ فى الجواب ولم يصرّح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير [٣٧] فانهزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان . فاغتنم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهريار . فلما حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أبا على ركن الدولة وينحاز اليه فراسلهُ ورغب في مواصلته فاجابه الي ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أعنى فخر الدولة وهى بنت الحسن بن الفيرزان

وفي هذه السنة فرغ من مسجد براثا وجمّع فيه

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وبلغ الكرُّ من الدقيق مائة وثلاثين دينارا وأكل الناس الحشيش وكثر الموت حتى كان يدفن فى قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلوة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتكفين ومن آخرين فجورٌ وغصب وهم الاكثر [١]

(١) زاد صاحب التكملة : وكان على بن عيسى والنفرى يكفيان الناس على أبواب دورهما

وفيها انبثق نهر الرُفَيل ونهر بوق [1] فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت بادُوريا بهذين البثقين بضعة عشر سنة

وفيها قتل بجكم

﴿ ذكر سبب قتله ﴾

كان ورد جيش البريدى الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين [2] وتوزون في جيش للقائه فكانت بينهما وقعة (٣٨) عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبا الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما فخرج بجكم من داره بواسط يوم الاربعاء لاربع عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليلحق عسكره وأصحابه . فورد كتاب توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن انزعاجه فانفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر

وهمّ بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت خزائنه قد سارت فاشار عليه أبو زكرياء السوسى بان لا يرجع وقال له: تمضى وتتصيّد . فعمل على ذلك [3] فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الخضراء التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعراء . ونكب الكوفي هرون اليهودى جهبذ ابن شيرزاد وبقي عليه من مصادرته ستون ألف دينار فاخذت داره وكانت قديما لابراهيم بن أحمد المادرائى راكبة دجلة و الصراة وفيها بستان أبي الفضل الشيرازى ودار المرتضي وحمل هذا اليهودى الى بجكم بواسط فضرب بين يديه بالدبابيس حتى مات

(١) وفي الاصل : نهربو . وفي التكملة : نهر بوا . (٢) وفي تاريخ الاسلام هو : كورتكين (٣) وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٢٨ : فيها خرج بجكم الى الصيد بمرج البندنيجين فاوغل في طلب الصيد وانقطع عن أصحابه فلم يشعر الاوقد أحاط به من الاعراب جماعة فيهم رجل يقال له حجاج معروف بالصعالكة (وهو قطع الطريق وقتل

الاكراد مياسير فشره الى أموالهم وقصدهم متهاونا بهم فى عدد يسير من غلمانه وعليه قباء طاق بلا جبة فهرب الاكراد من بين يديه وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فاخطأ ورمى آخر فاخطأ واستدار من خلفه غلام من الاكراد وهو لا يعرفه فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الاربعاء لتسع بقين من رجب . واضطرب عسكره جدا ومضى ديلمهُ خاصةً

النفس) وكان تحت بجكم فرس كان عليه سرج مسوره من ذهب وحليته بلور فلما انظر الى الخيل قد أحاطت به ترجل وخلى لهم فرسه وحمى نفسه فلم يكن لهم فيه حيلة وقنعوا بالفرس ولم يزل يمشى الى ان قصد قصرا خرابا من قصور الاكاسرة فصعد الى أعلاه وأبرق بسيفه فلحقه عسكره وسألوه عن خبره فذكر ان فرسه قنطر به وغاب عنه ولم يدر أين أخذ . ثم بقى يتعجب من حسن القصر ومن صورة فيه من صور الاكاسرة فسأل عن أهله وأمر ان يجمع له مجارى الموضع فسألهم فقالوا : ما بقى من نسل هذا الذى بنى القصر وهو الهرمزان الاقوم بناحية نهر مرة من حذو البصرة . فوجه اليهم يحضرهم فاحضر اليه منهم بضعة عشر رجلا فسألهم فلم يجد فيهم الا مولى لهم وقد بعدت معرفتهم بخبر القصر ووجد رجلا آخر خبيراً فقال لهم : لم انتقل سلفكم من هذا الموضع الحسن الطيب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخلق عن مواضعهم وكل قصر تراه خرابا أو نهراً مطمورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد التقم يد الملك الواحدة الى مرفقه وبسط يده الاخرى كانه يومى الى موضع من المواضع وكانه رافع وجهه نحو السماء يستغيث بالله . فقال له الرجل أما اقباله نحو الاسد فانه الموضع الذى يزول ملكه منه ويملك عدوه وهو نحو الحجاز لما كانوا يتوقعونه من ظهور النبي صلعم وزوال ملكهم وهو الاسد الذى قد التقم يده واما إيماؤه الى موضع آخر فيجوز ان يكون يومي الى موضع فيه ذخيرة له : فيقال ان بجكم قاس الموضع الذى يومى اليه المصور وأمر بحفره واستقصى الحفر فوجد مالا عظيما كسرويا وآنية وجواهر في الموضع فصدق من المال عشره على آل أبي طالب وغيرهم وقال : سبب سياقة الله عز وجل الىّ بما كان من الاعراب واشرافي على القصر وما وقع في نفسي الاستقصاء والمسئلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة في تلك الناحية وأنشأها وأجرى اليها الانهار وغرس بها غروسا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسمائة رجل فقبلهم وأضعف أرزاقهم في دفعة واحدة

وكان بنو البريدي (٣٩) عملوا على الهرب وقد ضاقت عليهم البصرة لمراسلة بجكم أهلها بما سكّن نفوسهم فكانوا مجتمعين عطارا فلما بلغ بنى البريدي قتل بجكم فرّج عنهم ونفّس خناقهم . وعاد أتراك بجكم الى واسط وسار تكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجمى وأظهروا طاعة المتّقي لله وصار أحمد بن ميمون كاتب المتّقى لله قديما هو المدبر للامور وصار أبو عبد الله الكوفي من قبله فكانت مدّة تقلّد أبي عبد الله الكوفي كتابة بجكم وتدبيره المملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة امارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ووجّه المتقى بجماعة من حجابه فوكلهم بدار بجكم ولم يتعرض لشيء مما فيها حذرا من أن يرد خبر لبجكم يبطل الخبر الاول فلما صح عنده قتله أحضر يكاق صاحب تكينك فاثبت المواضع التي فيها المال مدفونا فسئل عن سبب معرفته بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدلّ على انه لدفين ثمّ يتتبع الاثر سرّاً فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طلب له ثقةً وضمّ الى نجاح خادم المتقى فاستخرج شيء كثير فى قدور كبار منها عين ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم فامتنعوا (٤٠) فأطلق لهم ألفى درهم ثم تقدم بغسل التراب فغسل وأخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم . وكان بجكم قد دفن فى الصحارى ولم يقتصر على ما دفنهُ في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن فى الصحراء شيئا ومعه من يعاونه قتلهُ لئلا يدل على ما يدفنه فى وقت آخر فبلغ بجكم ما يقوله الناس فعجب منه

فحكى سنان بن ثابت قال : قال لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقلت : قد يجوز ان يحال بيني وبين الدار بحوادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال فدفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون عليّ باني أقتل من يكون معي ولا والله ماقتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدثك كيف كنتُ أعملُ . كنت اذا أردت الخروج للدفن أحضرت بغالا عليها صناديق فرّغ الى داري فاحمل في بعضها المال وأقفل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل وأسير بالبغال . ثم آخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأردّ من يخدم البغال وأنفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال (٤١) فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجعل لنفسي علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل (١)

واستوزر المتقي لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخلع عليه واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطلب تكينك فاستتر .

وقدم الترجمان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد

وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن اصعادهم وما آلت اليه أمورهم ﴾

لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم فعقدوا الرياسة لبلسوار

(١) زاد تاريخ الاسلام : فضاعت بموته الدفائن

ابن مالك بن مسافر السكنكري فهجم عليه الاتراك وقتلوه . فانحدر الديلم بأسرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا الفا وخمسمائة رجل مختارين منتجبين ليس فيهم حشو فقوي البريدي بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السلطان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقي لله وأمرهم الاّ (٤٢) يصعدوا وان يقيموا بواسط فارسلوا : انّا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا مايرضيهم به ونحن نقيم . فوجّه المتقي لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان ردّ عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وانحدر في جملته تكينك سرّا من المتقي لله .

وقال الاتراك البجكمية والجنكاني الذي كان استأمن من جهة البريدي للمتقي لله : نحن نقاتل بني البريدي ان جاؤا فاطلق انا مالا وانصب لنا رئيسا . فانفق فيهم وفي رجال الحضرة القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي وُجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر ديالي . وعاد عبدالله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين يلتمسون المال فحمل اليهم معه من مال بجكم أيضا مائة وخمسين ألف دينار فاخذها وقال : أنا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حُملت اليّ والا فان الديلم لايمهلوني وعلى كل حال أنا سائر فان تلقّاني المال انصرفت والاّ دخلت الحضرة فقال المتقي لله لما أدّيت رسالته : أنا قد أنفقت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملة فمن أين أعطيه ماطلب؟ دعهُ يرد الحضرة ويعمل ماشاء فاني أرجو ان أُكفى أمره . وسار أبوعبد الله البريدي (٤٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البجكمية وقلعوا

خيمهم واستأمن بعضهم الى البريدى وسار بعضهم الى الجنكاني الى الموصل ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفى وسلامه الحاجب ومحمد بن ينال الترجمان وتقلد الشرطة مكان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير أبو الحسين على أربعمائة الف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدى رهبة عظيمة لعسفه وتهوّره وطمعه فهمّ أرباب النعم بالانتقال .

فتحدّث بعض المختصين بأبي الحسن علي بن عيسى قال : كنت بين يديه أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدّث بأمر البريدى وموافاته الحضرة وتجارى جرأته وإقدامه وقلة اكتراثه وانه ينعل الناس بنعال الدواب وأشارت الجماعة عليه بالاّ يقيم ببغداد وان يخرج هو وعياله الى الموصل الى أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزعناه وهوّلنا عليه وهو لا يُصغي الى رأينا فلما أكثرنا عليه ترجّح رايه . ثم أطلق لى مائتي دينار على ان أبكرَ واكترى له بها زواريق ليصعد هو فيها وعياله الى الموصل فباكرنى رسوله مع السحر يأمرنى بالمصير اليه (؟؟) وجئت وسألنى فعرّفته انى ما مكّنتُ من امتثال أمره بمُباكرة رسوله واستدعائه اياي فقال : ويحك لفكرتُ البارحة فيما أشرتم به فوجدته خارجا عن الصواب مفسداً للدين أيهرب مخلوقٌ الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مُقيم . فرددتُها الى خزانته وأقام فلما قرُب البريدى انحدر اليه وتلقاهُ فاكرمه أبو عبد الله غاية الاكرام ووفّاهُ حقّهُ وأعظمهُ ومنعه من أن يخرُج من طيّاره وانتقل هو اليه وشكر برّهُ وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم [1]

ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

(١) وردت هذه الحكاية في كتاب الوزراء ص ٣٥٨ وفي ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٠

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان فنزلوا البستان الشفيعي وتلقّاهُ الوزير أبو الحسين ابن ميمون والكتّاب والعمّال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذاآت والطيارات والحديديات والزبازب ما لا يُحصى كثرةً . فوجّه المتقي اليه يُعرّفه أنسهُ بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدّة ليال وكان يخدم في ذلك كله خدمة الخلافة . وظهر محمد بن ينال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضا بالوزارة ويصير (٤٥) أبو الحسين اليه بسيف ومنطقة وقباء ويخاطب كلّ واحدٍ منهما صاحبهُ بالوزارة . ثم لبس أبو الحسين الدرّاعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك لست خلون من شهر رمضان فكانت مدّتهُ فيها ثلاثة وثلاثين يوما وتفرّد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القوّاد ان أحضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموهُ ويتوثبوا عليه ويتهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرّب علينا الخليفة ويُفسد علينا رأيهُ » ففعل الديلم ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكّنهم ويعرّفهم كذب ما بلغهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه : قُوما ادخُلا الرواق . يوهمهما انه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكّل بهما وانصرف القوّاد وحصلا في قبضه . ثم قال لهما بعد أيام : يا أبا الحسين قد قلدتُك الإشراف على واسط وأُجريتُ لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عملك مع ابنك . فحملا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبدالله الاصبهاني واعتل أبو الحسين بعد مدة(٤٦) بالبصرة ومات بها .

ولم يلقَ الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو فى النجمي ليسلّم عليه فلبس أبو عبد الله البريدى قباء أسود وعمامة سوداء وتلقّاه فى أحسن زيّ وأوفر عُدة ونثر عليه دنانير ودراهم . وراسل الوزير أبوعبد الله البريدى المتقي لله على يد القاضى أحمد بن عبد الله بن اسحق الخِرَقى (١) وأبى العباس الاصبهانى يطالبهُ بحمل مال فحمل اليه مائة وخمسين الف دينار فاخذها وراسله بانه لابدمن خمسمائة الف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي: انصحه وقل له « أما سمعت خبر المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله لئن خلّيتك والاولياء لتطابنّ نفسك فلا تجدها وأنت أبصرُ انما الديلم وافوا لاجل المال الذي أخذتهُ لا الى بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا منن لك في رقابهم » وكان الجواب عن هذه الرسالة الانعام وحمل اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاها عن آخرها فى سلخ رمضان ووهب للقاضى الخرقى منها خمسة آلاف دينار . ولما حصلت الاموال عند البريديين انصرفت أطماع الجند كلهم اليه وكان البريدى (٤٧) يبعث الجند على طلب

(١) وفى تاريخ الاسلام هو أبو الحسن تقلد القضاء بواسط ثم بمصر والمغرب ثم ولى قضاء بغداد سنة ٣٣٠ وكان هو وأبوه وعمومته من التجار يشهدون على القضاة وكان المتقى لله يرعى له خدمته فلما أفضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه وينهنه الى حال لم يبلغها أحد من أهله فقلده القضاء ولم يكن له خدمة للعلم ولا مجالسة لاهله فتعجب الناس لكن ظهرت منه رجلة وكفاءة وعفة ونزاهة . وانقطع خبره فى هذا العام (يعنى سنة ٣٣٤) لانه رحل الى الشام ومات هناك . وفي التكلة ان في هذه السنة قلد القاضي القضاء بمصر والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحملهم على الشغب فلما استصفى مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه . وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيج بن الفارضى الديلمى فرأس الاتراك على أنفسهم تكينك غلام بجكم وانحاز الديلم باجمعهم الى دار السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التي كان ينزلها .

ونفر الجيش عن أبي عبد الله البريدى وصار تكينك الى الديلم وتضافروا وكان سبب ذلك ان تكينك لم يكن كبيرا في نفوس الاتراك فارسل اليه كورنكيج وخدعهُ وقال له : ان تفرّد كل واحد منّا عن صاحبه ضعفَ وأرى أن نجتمع وتصير أيدينا واحدة . فانخدع له وصار اليه فاجتمعوا فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا ووافقه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا باجمعهم النجمى وعاونهم العامة . فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى باسباب أبي عبد الله البريدى وقُتل نعجة القرمطى فهرب الوزير أبو عبد الله البريدي وأخوه وابنه وانحدروا الى واسط في (٤٨) الماء ونهبت داره في النجمى ودُور قوّاده ونهب بعض المال الذي كان حمله اليه المتقي في ذلك اليوم لان هربه كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقيّة المال في ذلك اليوم . واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونُهبت داره وظهر سلامة الطولونى وبدر الخرشنى . فكانت مدّة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوماً . ولما هرب البريدى حصلت الامارة لكورنكيج يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شوال

﴿ ذكر امارة كورنكيج ﴾

فلما كان يوم الخميس لثلاث خلون منه لقي كورنكيج المتقي لله فقلده امارة الامراء وعقدله لواء وخلع عليه. وكان يكتب له رجل من أهل أصبهان يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله أبا الحسن على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة . وقبض الامير أبو شجاع كورنكيج على تكينك يوم السبت لخمس خلون من شوال وغرّقه ليلا . وفي يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجّوا وتظلموا من الديلم ونزولهم في دُورهم بغير أجرة وتعديهم عليهم في معاملاتهم فلم يقع انكارٌ لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر . وشغب الجند فمنعهم الديلم من ذلك (٤٩) فقتل بين الفريقين جماعة

واستوزر أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي للمتقي لله فكانت مدّة نظر على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن تسعة أيام .

﴿ ذكر السبب في وزارة القراريطي ﴾

حكى أبو أحمد الفضل بن عبدالرحمن الشيرازي قال : كنتُ بحضرة كورنكيج مع كاتبه أبي الفرج وفي مجلسه على بن عيسى وعبدالرحمن أخوه والقراريطي فطالب كورنكيج أبا الحسن على بن عيسى بالمال وعرّفه حاجته اليه لإعطاء الرجال فلجّ هو وأخوه وذكرا ان المال قد استنظف من النواحي وانه لا وجه له (قال) فقال القراريطي ونحن في المجلس فيما بيني وبينه : ان رُدّ الامر اليَّ أقمت (١) به واستخرجت ما يدفع الى الرجال ويفضل بعده جملةٌ وافرة . فاجتمعتُ مع أبي الفرج كاتب كورنكيج

(١) يريد « قمت »

وعرّفته ماخاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة ليسمع كلامه فاحضرته في غد فاعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوها لجملة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيج فعرفه ان علي بن عيسى وأخاه قد بلّحا وان القراريطي قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويزيح علل الرجال حتى لا يقع إخلال بشيء يحتاج اليه فاستروح كورنكيج الى ذلك وأمره باحضاره ليلا فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام (٥٠) بكل مايحتاج اليه ولم يبرح حتى انعقد له الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصبهان الديلمي الى واسط من قبل الامير أبي شجاع كورنكيج لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصعد من البصرة الى واسط فلما سمعوا بانحدار اصبهان الديلمي انحدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وسلامة علي بن يعقوب من استتارهما وصارا الى دار الوزير أبي اسحق القراريطي ليسلما عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابن رائق من الشام ﴾

﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الاتراك البجكمية مثل توزون وخجخج ونوشتكين وصيغون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بجكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فحاد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه في إطلاق نفقاتهم فاطلق لهم ربع رزقة فتقدموا الى ابن رائق بالشام . فصح عنده قتل بجكم

بمصير الاتراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بجكم ويخاطبه[٥١] بخطاب جميل ويستدعيه الى الحضرة فسار من دمشق فلما قرب من الموصل كتب كورنكيج الى اصبهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حاد عنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما مراسلة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل

ولما كان يوم الاحد لخمس بقين من ذي القعدة قبض كورنكيج على القراريطي فكانت مدّة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ولقي المتقي لله في هذا اليوم وخلع عليه

وورد الخبر بدخول بني البريدي واسطا لما انصرف عنها اصبهان الديلمي وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم

وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهزم كورنكيج واستتر

﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيج واستتاره باتفاق وحرب ﴾

لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيج منها وانتهى الى عكبرا وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيج وابتدأت الحرب واتصلت أياما متتابعة كانت[٥٢] على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة دخل ابن مقاتل بغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل في النجمي وعبر في غداة غد هذا اليوم الى دار السلطان ولقي المتقي لله وسلم عليه واستركبهُ فركب معه

في دجلة الى زقّة الشمّاسية وانحدرا من وقتهما الى دار السلطان فصعد المتقي لله اليها وعبر ابن رائق الى النجمى . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى كورنكيج في جيشه من عكبرا على الظهر ببغداد هو وأصحابه وهم في نهاية التهاون بابن رائق ومن معه وكانوا يهرون ويقولون « أين نزلت هذه القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيج الى دار السلطان دُفع عنها وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيج ونزل في الجزيرة التى بين يدى اصطبل مربط الجمال وخزانة الفرش ويعرف اليوم بدار الفيل

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كان عمل على الانصراف والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيج بغداد وانه حمّل ثقلهُ وابتدأ بالمسير قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلّم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت لفاتك حاجبي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادر الى بغل من بغال النقل فعرقبه [(٣)] فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرقى وعبرت أنا في سُميرية ومعي سباشي الخادم التركى ونحو من عشرين سميرية فيها غلمان وانفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم بالنشّاب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فاضطربوا ونخبت قلوبهم وقدّروا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد ملكوا ظهورهم فانهزموا وأخذهم الرجمة من العامة وطُرحت السُتر عليهم [(١)] وهرب كورنكيج واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وثبت أمرنا

﴿ ذكر الخبر عن قتل الديلم وامارة ابن رائق ﴾

(١) وفى التكملة : ورماهم العامة بالستر والآجر

لما استتر كورنكيج وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبوعبد الله احمد بن على الكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته . وأمر ابن رائق بقية الديلم المستأمنة بطرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب من جسر النهروان فرجعوا ودخلوا الدار المعروفة بدار الفيل فكانوا نحو أربعمائة رجل لم يجسروا ان يتفرقوا . فلما كان يوم الاثنين لخمس بقين من ذي الحجة وجّه ابن رائق برجّالته السودان الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن اجتمع هناك من الديلم فقطعوهم فلم يسلم منهم (٥٤) الا رجل يقال له خذاكرد وقع بين القتلى وحُمل في جملة المقتولين في الجوالقات الى دجلة ورمي به مع غمرة فعاش مدة طويلة بعد ذلك . وكان ابن رائق استأمن من قواد الديلم بضعة عشر قائداً فوجّه بهم الى دار فاتك حاجبه وأمره بضرب أعناقهم فضربت أعناقهم صبراً في داره . وكان من المنهزمين من الديلم قوم مضوا في الهزيمة الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهروان باتوا في بعض الخانات فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربع بقين من ذي الحجة خلع المتقي لله على ابن رائق وطوّقه وسوّره بطوق وسوار مرصّعين بالجوهر وعقد له لواءً وقلده أمرة الامراء وألزم أبو جعفر الكرخي بيتَهُ وكانت وزارته هذه ثلاثة وخمسين يوماً . ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن على الكوفي كاتب الامير أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق القراريطي الى منزله ووجد كورنكيج فأخذ وحُمل الى دار السلطان

﴿ ودخلت سنة ثلاثين وثلثمائة ﴾

واستوحش ابن رائق من بني البريدي لانهم ما حملوا شيئاً من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرّم انحدر ابن رائق وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم (٥٥) الكوفي الى أن ضمن البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستمائة الف دينار في كل سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الي بغداد .

وفيها دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ماكان بن كالي الديلمي مع هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهابي وشهر رأس ماكان في شذاآة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة والرأس ؟ ومرّ من الجانب الآخر من الخوذة

وفيها شغب الاتراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلّى ومعهم تورون ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنّي عليه ورحلوا سحر يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوي بهم جانبهُ واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر وأنفذ اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد بالحضرة وأوصلهُ الى المتقي لله الاّ أن المدبر للامور كلها أبو عبد الله الكوفي ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصعاد الي بغداد فازال ابن رائق عنه اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر (٥٦) ابن شيرزاد منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحدروا الى داره

في دجلة من باب الشماسية . واجتمع خلق (١) من العيارين بالسكاكين المجردة في جميع محال الشرقي من بغداد وفي يوم الجمعة لُعِن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصعاده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه أبي عبد الله والأتراك والديلم فلما قرب من بغداد استأمن كل من كان معه من القرامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان يتحصن في دار السلطان فسدّ أكثر أبواب دار السلطان والثلم في سورها ونصب العرادات والمنجنيقات على السور وعلى شاطىء دجلة في فناء الدار وطرح حول الدار الحسك والحديد واستنهض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سببا لتوزّع العصبيات بينهم واتصال الحروب . وافتتن الجانب الغربي وأحرق نهر طابق مما يلي دار البطيخ واتصلت الكبسات بالليل والنهار على قوم ذوي أموال واستنفر الناس نهاراً وليلا وقتل بعضهم (٥٧) بعضا قتلا ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنة . وبرزت خيم السلطان الى نهر ديالى وخرج ابن رائق الى الحلبة والقوّاد معه . فلما كان يوم الاثنين لِلنصف من جمادى الآخرة عبر أصحاب أبي الحسين البريدي نهر ديالى وكان لؤلؤ مقيما على شاطىء النجمي وبدر الخرشني بالدُّملي وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر ومازالت الحرب في الماء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لِتسع بقين من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظهر وفي الماء وأوقع الديلم بالعامة الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدي

(١) وفي تاريخ الإسلام: واجتمع الخلق على كرسي الجسر فثقل بهم وانخسف فغرق خلق

دار السلطان من جهة الماء وملكوا الدار . فخرج المتقي وابنه منها هاربين في نحو عشرين فارسا فخرجا الى باب الشماسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه ولؤلؤ ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطي الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعين يوما . وقتل الديلم من وجدوا في دار السلطان ونهبوها نهبا قبيحا ودخل الديلم دور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين في حديدية أياما على باب الخاصة ووجد في دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطلقا وأما كورنكيج فقيده وحدره الى أخيه أبي عبدالله فكان آخر العهد به ووجد القاهر في محبسه فأقر فيه من دار السلطان (١)

فلما كان بعد أيام صعد أبو الحسين البريدي (٥٠٨) ونزل في دار مونس وهي التي كان ينزلها ابن رائق وقلد أبا الوفاء توزون الشرطة في الجانب الشرقي ونوشتكين الشرطة في الجانب الغربي . وأخذ الديلم في النهب والسلب وكبست الدور وأخرج أهلها ونزلت ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حرم توزون وابنيه وعيالات أكثر القواد والاتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن في يده

وغلت الاسعار ببغداد وظلم البريدي الظلم المعروف لهم وافتتح الخراج في اذار فخبط الشتاء حتى تهاربوا وافتتح الجوالي (٢) وخبط أهل الذمة وأخذ الاقوياء بالضعفاء ووظف على كر من الحنطة سبعين درهما وعلى

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكلون فخرج فرئي وهو يتصدق بسوق الثلاثاء فبلغ ذلك البريدي فانفذ من أقامه وأجرى له في كل يوم خمسة دراهم

(٢) وفي التكملة : وافتتح الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كرّ كان للتجار ورد من الكوفة وادّعى انه للحسن بن هرون المتقلد كان للناحية وهرب خجخج الى المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانين . وكان توزون ونوشتكين والاتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدى فغدر نوشتكين بتوزون ونمى الخبر الى أبي الحسين البريدى فتحرّز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغلّقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون غدر نوشتكين (٥٩) فامنه وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل واضطرب العامة وقاتلوا البريدى .

ولما صار توزون وخجخج والاتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي وكتب الى أخيه يستمدّه فامدّه بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشماسيه وأظهر انه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرُب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هاربا وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلا في يده يطالبهُ مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلى بن عثمان بن النفّاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتسلح الناس في الطرقات ليلا ونهارا . وكانت مدّة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تكريت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعدُ أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وذاك ان ابن رائق لما قرُب البريدى من بغداد كتب الى أبى محمد ابن حمدان يسئله مدداً ومعاونة على قتاله فانفذ أبو محمد أخاه فلم يلحقهم الاّ بتكريت (٦٠) وقد انهزموا وأخذوا طريق الموصل . فلما التقوا أقام على بن حمدان للمتقي لله وابنه وابن رائق والقوّاد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والثياب والفرش والدراهم وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقى ومضى الى نواحى معلثايا فما زالت الرُسل تتردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثّق بعضهم من بعض بالايمان والعهود والمواثيق حتى أنس أبو محمد وعاد فنزل فى الشرقى بازاء الموصل

﴿ ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق ﴾

فعبر اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله ومعه أبو بكر ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ليسلّموا عليه فلقيهم أجمل لقاء ونثر على الامير أبى منصور الدنانير والدراهم . فلما أراد الانصراف من عنده ركب الامير أبو منصور ثم قُدّم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب فامسك أبو محمد بن حمدان كمّهُ وقال له : تُقيم اليوم عندى لنتحدّث فان بيننا ما نتجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لا يجوز لانى أريد ان أرجع مع الامير ولكن يكون يوما آخر . فالحّ عليه ابن حمدان الحاحا استراب به ابن رائق فجذب كمّهُ من يده حتى تخرّق وكان رجله فى الركاب فشب به الفرس فوقع (٦١) وقام ليركب فصاح أبو محمد بغلمانه وأمرهم بالايقاع به وقال : ويلكم لا يفوتكم .

ووضعوا عليه السيوف وقتلوه (١) وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يغتاله ويوقع به فجرى فى أمره ماجرى فردّ المتقى عليه الجواب يعرّفه انه الموثوق به ومن لايشك فيه ويأمره بالمصير اليه فصار ولقيه

﴿ ذكر امارة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ﴾

فخلع عليه المتقى وعقد له لواء ولقّبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء وكنّاه وكان ذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه علىّ وعلى أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطى بتقليده الوزارة وذلك فى شوّال وجلس فى داره وقلّد وعزل وأمر ونهى وضبط الامر الى ان وافى المتقى وناصر الدولة أبو محمد

﴿ خبر محاربة البريدى مع ابن حمدان ﴾

دخل المتقى بغداد مع ناصر الدولة أبي محمد وأخيه على وجميع الجيوش وعمات لهم العامة القباب (٢) ونزل ناصر الدولة وأخوه فى البستان الشفيعى ولقى الوزير القراريطي المتقى لله وناصر الدولة وتقلد أبو الوفاء توزون

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الخيم وجاء مطر فتفرقوا ندفن وعفى قبره . ونهبت داره التى بالموصل فنقل ابن المحسن التنوخي (وهو أبوالقاسم على وترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ٣٠١) عن عبد الواحد بن محمد الموصلى قال حدثنى رجل ان الناس : نهبوا دار ابن رائق فدخلت فأجد كيسا فيه ألف دينار أو أكثر فقلت « إن خرجت به أخذه مني الجند » فطفت في الدار فمررت بالمطبخ فاخذت قدر سكباج ملاى فرميت فيها الكيس وحملتها على رأسي فكل من رآنى يظن أني جائع فذهبت بها الى منزلى (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقلد المتقى بدرا الخرشنى طريق الفرات فسار اليها ثم سار الى مصر فاكرمه الاخشيد واستعمله على دمشق فمات بها .

الشرطة فى جانبي بغداد وخلع المتقى على الوزير أبي اسحق القراريطى (٦٢) خلع الوزارة يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذى القعدة وفى يوم الخميس خلع المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطوّقا وسوّرا بطوقين طوقين وأربعة أسورة ذهبا وعلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوّق بطوق واحدٍ وسوارين ذهبا

وورد الخبر بان أبا الحسين على بن محمد البريدى قد أصعد من واسط يُريد الحضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقي الى الزُبيدية ليكون مع ناصر الدولة وقدّم حُرمه الى سرّ من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى منها وسار أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان فى الجيش . وكان مع أبي الحسين البريدى لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة والديلم وجيشٍ عظيم فكانت الوقعة بين أبي الحسن على بن حمدان وبين البريدى يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهلّ ذي الحجة ويوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث وأربع خلون من ذى الحجة فى القرية المعروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخجخج والاتراك فكانت أولا على علىّ بن عبد الله بن حمدان وانهزم أصحابه فردّهم ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدى (٦٣) فانهزم واستُوسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبي عبد الله وأبو الفتح ابن أبي طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومذكر البريدي والفرج كاتب جيش البريدى واستأمن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجمان وابراهيم بن أحمد الخراساني وحصل له جميعُ الديلم الذين كانوا فى عسكر البريدي . وقتل جماعة

من قوّاد البريدي وعاد البريدي الى واسط مهزوما مفلولا ولم يبق فى على ابن حمدان وأصحابه فضل لاتباعه لعظيم ما مرّ بهم ولكثرة الجراح فيهم

ولسبع خلون من ذي الحجه عاد المتقي لله من الزُبيدية الى دار الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحُرم من سر من رأى ومن كان هرب اليها من بغداد . ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدى وأبو الفتح بن أبي طاهر والمذكر البريدي مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس [1] وكُتب عن المتقى كتاب الفتح الى الدنيا ولقّب المتقى لله أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدوله وأنفذ اليه خلعا وكتب فيه كتابا وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها الى البصرة وأقام بها ومعه الاتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة [1] ﴾

وراسل أبو بكر محمد بن على بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا السوسى فاخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان استقرّ بينه وبين ناصر الدوله مصادرة ينهض بها ويطيب نفسه لها أقام على ظهوره وان لم يستقر عاد الى استتاره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة : عد الى استتارك . فقال ابن مقاتل : لم أحدّ الي ذلك حدًّا فاذا شئتَ فعلتُ . فضجّ ناصر الدولة من ذلك لانه مضطر الى الوفاء بعهده وعلمَ ان الحيلة قد تمت عليه فاضطر الى ان فصل أمرهُ على مائة وثلاثين ألف دينار

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وسار فى الجانب الغربى الى دار عمه أبي الوليد سليمان ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر ناصر الدولة فى أمر النقد والعيار فامر بتصفية العين والورق وضرب دنانير سماها الابريزية (١) من أجود عيار وكتب فى ذلك كتابا

وفى هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

ان دَيسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما تقدّم كان معظم جيشه الاكراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشمكير اختاروا المقام معه حين ردّ عسكر وشمكير اليه فتبسّط عليه الاكراد وزاد أمرهم فى الادلال والتحكّم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر فى أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم (٦٥) منهم صعلوك بن محمد بن مُسافر وأسفار بن سياكولى ؟ وجماعة من أمثالهم وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قوّاد بجكم (فنفاه بجكم من عسكره لشىء أنكره منه) يقال له على بن الفضل الصولى فافضل عليه ديسم وموّلهُ وعظّم محلّه فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من يد الاكراد ما كانوا تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من عدّة الديلم واستظهر بهم . وكان متولّي وزارته أبو القاسم على بن جعفر وكان من كتّاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه حتى هرب منه الى الطارم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه الوقت الذى استوحش فيه ابناهُ منه وهسوذان والمرزبان وملكا عليه قلعته المعروفة بسميران . وكان السبب فى وحشتهما قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان عشرة وكتب ابن ثوابة عن المتقى بذلك كتابا

بيته وقبضهُ عليهم لغير ذنب كبير وذلك لشرٍّ كان في طبعه . وكان استوحش منه وهسوذان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع أبيه بالطرم فعلم محمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبين أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهسوذان له : انى لا أقيم فى القلعة بعدك . وأعلمهُ انه ان(٦٦) فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فاخرج معى . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لابيهما كان أنفذه سرّاً الى المقيمين فى القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسوذان والاحتياط عليه وعلى القلعة فعجبا من ذلك وجمعهما الاستيحاش من أبيهما فوصلا الى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فمزّقا أمهما خراسويه ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلةً فساعدتهما على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فاستوليا عليها وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تحيَّر فى أمره وحصل فى القلعة التي كان قصدها وحيداً قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتصم بالمرزبان وأطمعه فى آذربيجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصلهُ الى أموالٍ جليلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فوثق عليه وقرُب من قلبه وقلدهُ وزارته . واتفقا مع ذلك على عصبة فى الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دُعاة الباطنيّة وكان المرزبان معهوداً فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهرا فاجتمع له كل ما أرادهُ .

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم (٦٧) ومن هو غير راض عنه ومن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوه وكان يصحب هرون الشارى (١) اعنى أباه فلما قتل

(١) ظفر به الحسين بن حمدان في سنة ٢٨٣ (طبري ٣ : ٢١٤٩)

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من أكرادها فولد ديسم فاصطنعه ابن أبي الساج وارتقى معه الى ما ارتقى اليه.

ولم يزل علي بن جعفر يصمصع أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا: ان صار الينا المرزبان فارقنا ديسما بأجمعنا. فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافه الحرب قلب الديلم تراسهم في وجهه وصاروا الى المرزبان وكانوا نحو الفي رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد وحمل عليه المرزبان ففرق عنه من بقى معه وانهزموا وهرب في طائفة يسيرة الى أرمينية واعتصم بحاجيق بن الديراني لمودة كانت بينهما فأحسن ضيافته وحمل اليه ما يحمل الى مثله. فاستأنف ديسم يألف الاكراد وعرف خطأه في الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بعصاه. وملك المرزبان آذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه علي بن جعفر الى ان أفسد ما بينه وبينه (٦٨)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بأبي سعيد عيسى بن موسى ويعرف بعيسكويه فسعى عليه وأطمع المرزبان في ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فتضافروا عليه وعارضوه في تدبيره وأحس علي بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بان أطمعه في أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز وتبريز هذه مدينة جليلة وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مثمرة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار. فضم اليه المرزبان جستان بن

شيرزن ومحمد بن ابراهيم ودلير بن أورسفناه والحاجب الحسن بن محمد المهلبي [١] فى جماعة من ثقاته فسار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاهُ ويستدعيه ويعدهُ من نفسه ان يقتل الديلم ويوازرهُ حتى يعود الى مملكته . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطا أهل البلد على الايقاع بهم وأعلمهم انه انما حضر لطمع المرزبان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأهُ أهل البلد على الوثوب بهم فى يوم ذكره وأحضر القوّاد المذكورين فى ذلك اليوم فقبض فى داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم فى العسكر الذى أجمع له .

وكان المرزبان أساء الى (٦٩) الاكراد الذين استأمنوا اليه فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه واتصل بالمرزبان ما جرى على الديلم فندم على ايحاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلع عليه ولقبه المختار . ثم استمد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فجرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهزم الاكراد فعاد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحامي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المرزبان . وابتدأ فى استصلاح على بن جعفر ومراسلته واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التى بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بانه لا يريد من جميع ما بذله له الا السلامة وانه ما فارق ديسما حين فارقهُ الا هربا من المكروه ولا فارقه الآن وعاد اليه الا هربا من مثل ذلك وان الذى يلتمسه منه ان يعفيه من العمل ويصونه فى نفسه وحاله ليلزم منزله

(١) هو الوزير وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

ويروح ويغدو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهما من الثقات الذين يجمعهم الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه . واشتدّ الحصار على ديسم فثلم ثلمةً فى سور المدينة ليلا وخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يجسر المرزبان على اتباعه فى الوقت خوفا من أن يعطف عليه فى صعاليكه[٧٠] ويخرج من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه على بن جعفر فوفى له وأقام أهل تبريز على مماثمته

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله بأردبيل ﴾

لما عرف المرزبان حصول ديسم بأردبيل خلف على تبريز بعض جيشه وصار في معظم العسكر اليه واستدعى أخاه وهسوذان اليه فى جماعة من أطاعه وجد فى محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر أبا عبد الله محمد بن أحمد النعيمي فراسله المرزبان وتلطف له ووعده ان يستوزره فاستجاب له وآثره على ديسم وواطأه على التدبير عليه

﴿ ذكر حيلة النعيمى على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾

أخذ النُعيمى فى المشورة على ديسم بان يُنفذ الى المرزبان وجوه أردبيل ليسألوهُ الصلح ويعاهدوه ويستوثقوا منه بالايمان المؤكدة على ان يومنه ليدخل في طاعته وخوّفه من طول الحصار واستيحاش أهل البلد وأنهم سيواطئون المرزبان ويسلمونه بان يفتحوا له الباب وأعلمهُ انه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . ونظر ديسم فى أمره فوجد الصورة قريبة مما خوّفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه[٧١] وعن جنده وعن أهل البلد فالجميع فى شدة والدمدمة كثيرة والناس مستوحشون

وهم على يأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه البلد وأعيانهم ومذكوريهم ليتوثقوا له بالايمان والعهود حتى يأنس بها ويخرج اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعيمى المرزبان بان يحتبس هؤلاء الوجوه ولا يردهم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه لئلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولان أهل البلد اذا حبس عنهم وجوههم ورؤساؤهم اجتمعوا عليه ولم يمهلوه وعرّفوه انه قد أمن على نفسه بالايمان التى سألها وسكن الى مايبذل له وليس لتأخره عن الخروج وجه ويشيّد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه فى أسرع وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول رؤسائهم فى يد المرزبان فخرج اليه فلما أتاه خبره تلقاه وأكرمهُ وأعظمه ووفى له بكل ماوافقه عليه وقلد أبا عبد الله النُعيمى وزارته وقبض على ابن محمود وسلمه اليه فصادرهُ وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج أموالا عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخُطب له (٧٢) على جميع منابر آذربيجان .

فليعتبر الناظر فى هذا الكتاب هل أُتِي هؤلاء الملوك الا من سوء تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقُّدها بلذاتهم وشهواتهم وإغفالهم أمر أصحاب الاخبار وتركهم تعرّف نيات وزرائهم وقوّادهم وأمور عساكرهم وتعويلهم على الاتفاقات والدول التى لا يوثق بها وقلة تصفُّحهم أحوال الملوك قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولا بالدين الذى يحفظ نظامهم وعِلْم سرائرهم ثم باصحاب الاخبار الثقات والعيون المذكاة على مُدبري أمورهم

والتفقّد لهم يوما يوما وحالا فحالا وترك احاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته والبطش بمن لا حيلة فى استصلاحه ولا دواء لسريرته . وقد كان حصفاء الملوك يخرجون من خزائنهم الاموال العظيمة جدا الى أصحاب الاخبار ولا يستكثرونها فى جنب ماينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه أمر ديسم فانه خاف بعد ذلك على نفسه وسأل المرزبان ان يخرجه الى قلعته بالطرم ليقيم فيها مع أهله ويقبض على ارتفاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار فى السنة وهو دون ما كان يبذله المرزبان له ويتكلفه من مؤونته (٧٤) فاجابه الى ذلك وحصل فى القلعة مصونا فى أهله ونفسه وضياعه

﴿ ودخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبى جعفر بازاء البصرة وأظهر ان السلطان كاتبه فى حرب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم استأمن جماعة من قوّاده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأمن اليه جماعة من عسكر البريدى

وفيها زوّج ناصر الدولة ابنته[1] من الامير أبى منصور ابن المتقى ووقع الاملاك والخطبة بحضرة المتقى ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العقد الى أبى عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى وكان الخاطب القاضي الخرقى فلحن فى مواضع وجعل الصداق والنحلة واحدا وجعلهما صداقا وكان الصداق خمسمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يحسن ان يعقد التزويج فعقده ابن أبى موسى

وفى رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القراريطى الى ناصر

(١) واسمها عدوية كذا فى التكملة

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدّة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوما [١] وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني وخلع عليه المتقى لله خلع الوزارة [٧٤] في دار السلطان لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها الى دار الامير ناصر الدولة فكان يلبس القباء والسيف والمنطقة في أيام المواكب والمدبر الامور أبو عبدالله الكوفي وصودر القراريطي والكتّاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنايات من العامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتعد بحضرته ويستوفى العدد عليهم لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه . [٢]

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتبا لمحمد ابن رائق الامير ثم وزر . . . . . . ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهلبي فا كرمه ووصله وكان ظالما عسوفا توفي في المحرم وله ست وسبعون سنة (٢) وزاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بجكم بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر أتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الخرشني لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيد محمد بن طغج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه فاذن له وأنفذ اليه القرب والجمل والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده الاخشيد المعاون بها . وجعلت الرحبة وأعمال الفرات لعدل وعاملها أبو على النوبختي وحصل لعدل من المصادرات الفي الف درهم فاتسعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والاتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات تخلع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد المضي الى يانس المونسي بالرقة فمنعه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أتباعك ولايفي بمؤنتك مافي يديك وأنا أكتب عن ناصر

﴿ ذكر ما آل اليه أمر سيف الدولة بواسط مع الاتراك ﴾
﴿ وما اتصل بذلك من خبر ناصر الدولة ببغداد ﴾

كان سيف الدولة أبو الحسن مقيما بواسط مفكراً في أن يسير بالجيش والاتراك الى البصرة ليفتحها وكان أخوه ناصر الدولة يدافعه بحمل المال ويضايق الاتراك خاصة وكان توزون وخجخج [١] يسيئان الادب على سيف الدولة بواسط ويتحكمان عليه حتى ضاق ذرعاً بهما . وكان ناصر الدولة قد أنفذ أبا عبد الله الكوفي الى سيف الدولة أخيه ومعه ألفي ألف درهم وخمسين ألف دينار لينفق في الاتراك فوثب توزون وخجخج به بحضرة سيف الدولة وأسمعاه مكروها فضمه [٧٥] سيف الدولة الى نفسه ثم ستره في بيت وقال لهما : أما تستحيان مني فتجاملاني في كاتبي ! ثم وافق سيف الدولة كاتب خجخج ان يسير خجخج الى المذار ويسوغه ارتفاعها اذا حماها ووافق أبا علي المسيحي كاتب توزون على المسير بتوزون الى الجامدة ويوهب له ارتفاعها وعليه حمايتها وانتظم هذا التدبير وعاد الكوفي الى مجلسه بحضرة سيف الدولة ورهب ان يعود الى منزله وعبر خجخج الى غربي واسط للمسير واستعد توزون أيضا للمسير الى الجامدة . فوافى أبو عمرو المسيحي وقت الظهر لثلاث بقين من شوال هاربا من ناصر الدولة الى أخيه ابي علي المسيحي

الدولة الى يانس بتسليم الرقة اليك . فتبعه على ذلك فبلغا الخانوقة فقال له سهلون : الرأي أن أتقدمك اليه . فطلب منه رهينة فقال : ان رآك وقد أخذت رجلي فظن (كذا) فتركه فلما حصل بالرقة مع يانس كاتبا بني نمير . فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقيه الحسين بن سعيد بن حمدان فاستأمن أصحاب عدل الى الحسين فاسره وابنه وسلمهما وأنفذهما الى ناصر الدولة وشهرهما على جملين .

(١) وفي التكملة هو جوجوخ

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد اتصل طمعُك فيّ وانبساطك عليّ وأنا محتمل وأنت مغترّ وبلغني ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلّصها وتُقصر عن فعلك المذموم لاقطعن يديك ورجليك . فزعم أبو عمرو المسيحي انه قرأه وانحدر وذكر انه قال له قبل ذلك بايام : يا مسيحي أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحثو التراب ان بلغ ما تؤمّلهُ له لم يرضك كاتبا لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مثله وشبهَهُ فاستكتبهُ وأنفَ منك فصادرك

فتلافى سيف الدوله أبا عمرو (٧٦) المسيحي وواراه وراسل توزون وسكّنه . وكان سيف الدولة كثيرا يُزهّد الاتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويُضرّب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقاتهم وينصّون على ان يوفيهم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصغرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مالَ قائد قائد ورجاله وتوفّينا ذلك بالقبّان وزنةً واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً للحجّة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله الكوفي ليلا وضم اليه ابن عمّه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقا عليه ثم وصّى العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلاخ شعبان كبس الاتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره ولزم نهراً (١) بقرب معسكره فاداهُ الى قرية تعرف ببرتة ولزم البرية حتى وافى

(١) وفي التكملة يقال له الجازور

بغداد . وأضرم الاتراك النار فى عسكره وقد كان بقى من المال المحمول اليه مع الكوفى من عند أخيه شيء لم يفرّق فيهم فنهبوه ونُهب جميع سواده (٧٧)
فهذا خبر سيف الدولة بواسط

فاما خبر ناصر الدولة ببغداد فان أبا عبد الله الكوفي وصل الى بغداد ولقى ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة الى باب الشمّاسية وركب اليه المتقى لله فى دجلة يسئله التوقُّف عن الخروج من بغداد فعبّر ناصر الدولة غلمانه الى الجانب الشرقي من بغداد وأكثر جيشه ليوهم الاتراك أنه يعبر ويسير فى الجانب الشرقى فلما حصل جيشه فى الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربى فنُهبت داره وأفلت يانس غلام البريدى وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا الى البصرة واستتر أبو عبدالله الكوفى [1] وخرج من بقى من الديلم ببغداد الى المصلّى وعسكروا هناك وضبط الاتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلّى ودبّر الامور بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانعقدت الرياسة بواسط لتوزون . فكانت مدة امارة ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ذكر ماجرى من أمر توزون بواسط مع الاتراك بعد﴾
﴿هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الامارة﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(١) زاد صاحب التكملة : وابن مقاتل . وفى تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٠ انه مات في شعبان هذه السنة بمصر وهو متولى ديوان الخراج بها فوجدوا في داره ثلاثة ألف دينار مدفونة . وليراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٩٤

وخجخج الى معسكرهما وقع الخلاف[٧٨] بينهما وتنازعا الرياسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير ويجيء بالآس والريحان اليه على رسم العجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خجخج صاحب جيش وهو الاسفهسلار وأمضى القوّاد ذلك عليهما بغير رضى جماعة ثم صاهر القوّاد بينهما وطمع البريدي بواسط فاصعد اليها وتقدّم توزون الى خجخج ان ينحدر الى نهر أبان ويُراعى من يرد من أصحاب البريدى ويُطالعهُ فنفذ. ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدى الى توزون يهنئهُ بالامارة ويسألهُ ان يضمنه أعمال واسط ويُعرفه عنه ان الرأى تعجلهُ الى الحضرة لاخراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جميلا وامتنع من التضمين وقال : اذا استقرت الامور نخاطبنا فى الضمان فاما وأنا بصورتى هذه وأنت تظن انى مطلوب خائف من بني حمدان فلا وعسكرى عسكر بحكم الذى قد جرّبت وخبرت وطائفة منهم تفى بك. وانصرف عيسى بن نصر واتبعهُ توزون جاسوسا

﴿ ذكر سبب قبض توزون على خجخج وسمله اياه ﴾

فعاد اليه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خجخج وتخاليا طويلا وان خجخج على الاستئمان الى البريدي . فسار اليه توزون للثانى عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الاتراك[٧٩] ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من الكبار وكبسه فى فراشه فلما أحس به ركب دابة النوبة بقميصه وفي يده لتّ ودفع عن نفسه سُوَيعة ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسمله توزون[١] وهدأت نار خجخج

وسمى أبو الحسين على بن محمد بن مقلة فى الوزارة وراسل المتقى لله

(١) زاد صاحب التكملة : فى دار عبد الله بن يونس .

واستصلح قبل ذلك الترجمان وضمن له مالا فبعث المتقى اليه : انى راغبٌ فيك مائل اليك محبٌ لتقليدك ولكن ليس يجوز ان أبتدي بذكرك فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسميك مع جماعة فانى أختارك من بينهم. ففعل ذلك ولقى المتقى لله وقلّده وزارته وانصرف الى منزله

وورد الخبر بنزول سيف الدولة المروفة

{ ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة الى بغداد بعد }
{ هزيمته وما انتهت اليه حالته }

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخجخج بواسط طمع فى بغداد فوافى المروفة وظهر المستترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر أبو عمرو المسيحى كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر أيضا الترجمان . وأرجف الناس بانحدار المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على خوف شديد فامر المتقى لله بالنداء ببراءة الذمة ممن أرجف بانحداره (٨٠)

وجاء سيف الدولة فى يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان الى باب حرب فنزل فى المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضرّ الشديد لما لحقهم في البرّية وخرج اليه أصحابه ومن يُريد الانبات وجرت بينه وبين المتقى لله رسائل على يد أبى زكرياء السوسى وطالب بان يُحمل اليه مالٌ ووعد ان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . فحمل اليه المتقى أربعمائة ألف درهم فى دفعات وانضمّ اليه كل من بقى بالحضرة من القوّاد وما زال يقول فى مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا في الليل ونحن نيامٌ والا فليحضر نهارا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبى الحسين بن مقلة يوم السبت لاثنى

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيغلغ فى ثلاثمائة غلام وأصعد مبادرا من واسط الي بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضمّ اليه من قوّاد الحضرة وفيهم أبو على الحسن بن هرون ومضى على وجهه . ودخل محمد بن ينال الترجمان آذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من الغد ونزل دار مونس[1](٨١) واغتنم البريدي بُعد توزون من واسط فوافاها لثلاث بقين من شهر رمضان فنهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها . وقبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقلّد كتابته أباجعفر الكرخى وسُلِّم أبو اسحق القراريطى الى الوزير أبى الحسين ابن مقلة فصادَره

﴿ ذكر الخبر عن تقليد توزون امرة الامراء ﴾

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقى عليه وعقد له لواءً وقلده أمرة الامراء . وصار أبو جعفر الكرخى كاتب توزون ينظر فى الامور كما كان الكوفى ينظر فيها فاما الكوفى فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه . فكان مدّة نظر الوزير أبى الحسين ابن مقلة فى الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر الكرخى نحو شهر

وقد كان كيغلغ لما استخلفه توزون بواسط أمرهُ بقتال أبى الحسين البريدى فعجز عنه فاصعد الى بغداد . ولم يمكن توزون المبادرة بالرجوع الى واسط الى ان تستقرّ الامور بالحضرة وتجهيز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوّال وأكثر ذى القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت .

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاما له يقال له ثِمل

(١) زدنا « مونس » من التكملة

عزيزا على سيف الدولة فاطلقهُ ووهبه لسيف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه[٨٢] في هذا الوقت لما حصل ببغداد فحسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى قال بالموصل : توزون صنيعتي وقد قلدتهُ الحضرة واستخلفتهُ بها . فسكنت نفس توزون الى ذلك

وكان مغيظا على البريدى لقبح ماعاملهُ به فانحدر توزون الى واسط وخلّف الترجمان ببغداد [١] وتقدّم الى أبي جعفر الكرخى ان يلحق به وضمّن ضياعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار فى السنة . ووافى فى هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاذ الى توزون هاربا من البريدى فتلقاه توزون فى دجلة وسُرَّ به وقال له : يا أبا جعفر كملت أمارتى بك وتمت النعمة عندى لاجلك أنتَ أبي وهذا خاتمى (فنزعه من يده وأعطاه اليه) فدبّرنى وصرّفنى على رأيك . فقبل أبو جعفر يده وسأله ان يُمهله فلم يجبه وكان أبو الحسن الاسمر واقفا وجماعة فقال الاسمر : بالله ياسيدي أجب الامير وتصدّق بصدقة وانظر فى أمره ! ففعل ونظر فى أمره وأنفذ طازاد ابن عيسى آخر ذلك اليوم الى الحضرة لخلافته . فكان مدّة كتابة أبي جعفر الكرخى ونظره نيفا وعشرين يوما

﴿ ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدي ﴾
﴿ والاتفاق الغريب له فى ذلك ﴾

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه أبي عبد الله (يعني الحسن بن على بن مقلة وترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠) وأنفذ اليه هدية منها عشرون ثوبا ديبقيا وعشرون رداء قصب وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطي وصرف النوبختى فلم يجب توزون الى ذلك وقال : لايحسن بي صرفه بعد ثلاثة أيام من استخدامي له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافى (فى) ذى الحجة فى مراكب وشذاآت يُريد البصرة محارب بنى البريدى [٨٣] وكان معه من محارب بقوارير النار فأحرق شذاآتهم وزبازبهم فملك الابلّة وضغطهم فهرب فى تلك الوهلة أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طازاذ وغيره. فاما سبب هزيمة يوسف بن وجيه بعد تمكّنه فسنذكره.

﴿ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه﴾

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع البريدي ملاحٌ يعرف بالزياديّ فلما ضغط يوسف بن وجيه البريديين وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاح : ان أنا هزمت العدوّ وأحرقتُ مراكبه ماتصنع بى ؟ فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يعرّفه الملاح مايريد ان يعمل وكتم أمره ومضى فاخذ بالنهار زورقين وليس يعلم أحد لماذا يريدها ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدى ومضى فملأ الزورقين سعفا (ومثل هذا لاينكر بالبصرة) وحدرهما فى أول الليل (ومثل ذلك بالبصرة كثير لايستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشدّ بعضها الى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان فى الليل ونام الناس وكنّ من فى المراكب أشعل ذلك الملاّح السعف وأرسل الزورقين والنار فيهما فوقعا على تلك المراكب والشذاآت فاشتعلت واحترقت قلوسها وتقطعت واحترق [٨٤] من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما . وانقلع يوسف ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه وانكشف وجه البريدى ووفى للملاح بما وعد له .

﴿وفيها استوحش المتقى من توزون﴾

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقى ﴾
﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجمان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقلة خائفا من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه ؟ وزاد في نفوره تقلد أبي جعفر ابن شيرزاد كتبة توزون . وما شك أحد ان أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى فطارت نفس ابن مقلة خوفا من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجمان وغيره وساءت الظنون . وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقلة وبين الترجمان على مكاتبة ناصر الدولة في انفاذ من يُشيع المتقى ويخرجه اليه وقيل للمتقى : ثبتّ للبريدى بالامس فجرى ماندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظفرك الله وعُدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي باقية في يدك من تركة بجكم » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بعد خلعك . فانزعج واعتبر بما مضي على[٨٥] مستأنف أمره وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بخراسان وانتصاب نوح ابنه مكانه

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد لخمس بقين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك المتقى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى المتقى لله في اليوم الذى وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجمان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطى من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب فى جيش كثير فخرج اليه المتقى لله وحُرمه والوزير أبو الحسين ابن مقلة والترجمان[1] واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتّابها . فلما بلغ المتقى تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخبطهم

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ماجرى بالحضرة من خروج المتقى والوزير من بغداد فجرّد موسى ابن سليمان فى الف رجل وبادر به الى بغداد . وامتدّ موسى الى باب الشمّاسية وعسكر (٨٦) هنالك وأقام توزون حتى عقد واسطا على البريدى ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش[2] ووصل الى تكريت فتلقاه الخليفة وسار توزون الى عكبرا وعبر من الجانب الشرقى الى قصر الجص بسرّ من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو اسحق القراريطي وأبو زكريا السوسى

وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادهما وملك توزون وشغّب أصحاب توزون فانحدر الى بغداد . وتأهب سيف

(١) زاد صاحب التكملة : وسلامة الطولوني وأبو زكرياء السوسى وأبو محمد المادرائي والقراريطي وأبو عبد الله الموسوى وغيرهم (٢) وفى التكملة : انه انحدر في بنى نمير وبنى كلاب وبنى أسد .

الدولة للقاء توزون ثانية فانحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى[١] وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة والمتقي والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج[٨٧] ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة الف دينار

ورحل المتقي وحُرَمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوّج ابنته من أبي عبد الله البريدي وعقد الاملاك بالشمّاسية وأنفذ المتقي لله أبا زكرياء السوسي الى توزون في رسالة يقول فيها : اني استوحشت منك لاجل البريديين اقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأبلغتُ انكما اجتمعتُما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فاني اذا رأيتك مطيعا لي عدت واستقامت لك الامور بي وبرضائي وكان الله عونك . قال أبو زكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتّهمني وهمّ بقتلي فخلصني ابن شيرزاد وقال : أيها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء الخروج مع الخليفة ليدله الينا وليكون خليفتنا بحضرته فان كان متّهما فانا متّهم . ثم أديتُ الرسالة فتقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاجابة وسفرتُ في الصلح الى ان تمّ[٢] وصح لابي جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « حربى » كذا في التكملة (٢) قال فيه صاحب التكملة : فقال ابن سعيد : يا أمير المؤمنين اني أخافه على نفسي . فقال : اذا قصدت الصلاح كفيت . فقلت له : فان لم يتم الصلح أعود الى وطني . قال : قد أذنت لك . فقبلت يده . فلما جئت

وبعده زيادة على مائتي الف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم(٨٨) وانصرف توزون الى بغداد

وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطا وكان على وعد من البريديين بعسكر الماء فاخلفوه وانحدر اليه توزون محاربا له والتقيا في الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوما على اجتهاد شديد بين الفريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم فى مثل ذلك وكثر القتلى من الجانبين الى ان عبر توزون نهر ديالى يحصل في الجانب الذى يلي بغداد وقطع جسورا كان عقدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبازب وخيل فى الماء فيها غلمان رماة فكانوا يستولون فى كل يوم على قطعة من خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين العسكر وبين الماء فيعطشونهم ودوابهم فرأى معز الدولة ان يُصعد على ديالى الى نحو جسر النهروان ليبعد عن دجلة ويقرب من الماء ويحتال الميرة فقد كانت ضاقت عليه وأحس توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد استظهار منه ﴾

وعبر توزون بخمسمائة من الاتراك مع تكين الشيرزادى والف فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوّق وقطينه وأمثالهم من حيث(٨٩) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت : أيها الامير قد كنت أسفر بينك وبين ابن رائق وهل عرفتني الامستقيما ؟ قال : صدقت . فقلت : انا رجل سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتسابا لا أطلب الدنيا وقد أنفذني رسولا وأنتم أولادي ورأيتكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء معز الدولة الى واسط فاجب توزون اتمام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشعر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده فى أثره خرج عليهم القوم فحالوا بينه وبين السواد ووقعوا فى العسكر على غير تعبية . وتعجل توزون فعبر بجماعة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معزّ الدولة مع الصيمرى [1] ونفر يسير معه باسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع اليه نفر من الفلّ بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفى صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له ابن حمدى وكان أعيى السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبته برسم الجند ووافقه على ان يصحح فى كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان يستوفيها منه ويأخذ البراآت وروزات الجهبذ بما يؤدّيه أولاً أولاً

وفى هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف

﴿ ذكر السبب فى قتل البريدى أخاه وما جرى ﴾
﴿ بعد قتله اياه وعاقبة أمره ﴾

كان أبو عبد الله البريدى لما حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط احد عشر شهراً ثم توزون بعده ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرضا بعد قرض فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلّفه [١٠] وتضييعه وانه بالاقبال تمّ له ما تمّ لا لتدبير ثم تعدى ذلك فصار يذكر جنونهُ وعجلتهُ . وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان يجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جملتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي العلوى (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن على الحسينى من ولد عمر الاشرف) وأبو بكر ابن قرابة وكان قد وافي مع الديلم فصودر على عشرين ألف دينار

عليه جراية على نقم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه

فحكى اسرائيل الجهبذ وكان خصيصا بابى عبدالله انه استدعاهُ وشكا اليه حاله فى الاضاقة ثم قال : قم الى أبى يوسف أخى (وأومأ الى درج بين يديه وفتحه فاذا فيه حبّ لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يبهر الناظرين) وقال : احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان مافى الدرج قد وهبه بجكم لابنته سارة التى تزوج بها وكان بجكم أخذه من دار الخليفة فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فمضيت الى أبى يوسف وحدّثته بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لى : يا أبا الطيب من سوء تحصيله يُرى ولو مدّت دجلة مالا لبدّده هذا رجل حصّل له من واسط فى كرّاته التى تولاها ثمانية آلاف الف دينار أماوجب ان يستظهر بالف ألف دينار . فقلتُ : ياسيدى ومن أولى به منك على تصرّف كل حال ؟ فتفضل بما طلب . فقال : انى قد أعطيتهُ الى هذا الوقت ومنذ انصرف من واسط خمسين الف دينار وما تعلى عينه ! ابعث الى الجوهريين(٩١) واحضرهم حتى يقوّموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجه اليهم فقالوا : لاقيمة له تُحدّ واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولوانتهى فى السوم الى أقصى غاية . فاشتطّ وقال : ياجهّال من قال لكم انى مروان الاموىّ (فانه كان راغبا فى الجوهر وحضر للابتياع) أو خمارويه بن أحمد وابن الجصّاص ؟ قوموه بما اذا طالبتكم به بكرة صحّحتموه المصر . فقوّموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطونى خطوطكم بها . فتثبّتوا ثم ردوها الى خمسين الف درهم وضمنوها فقال : هذا أعطيك . فقلتُ : ياسيدي اجعلها خمسة آلاف دينار . فقال: قم ودع فى القيمة فضلا لطلبه فانه سيعاود

ويطالب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى أبي عبد الله وحدثته الحديث فقال : لا اله الا الله قل له : يا أبا يوسف جنوني الذي ذكرته وقلة تحصيلي أقعدك هذا المقعد وصيرك كقارون : ثم عدد ما عمله معه ودمعت عينه وتبين الشر في وجهه . فلما كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانه وفيهم يانس واقبال وريب وملاح يانس في مخترق قد سقف بين باب داره (وكانت دار فضلان الساجي) بالابلة وبين الشط . فتمكن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح « يا أخي قتلوني قتلوني » وأبو عبد الله[٩٢] يقول « الى لعنة الله » فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل في جواره الى روشن دجلة وقال : يا أخي قتلته ! فقال : يا فاعل خربت اسكت والا الحقتك به . فجمع أبو الحسين نفسه وشغب الجند وظنوه حياً فنبشه واظهره لهم فسكنوا ثم أعاده الى قبره

وانتقل الى الدار بعماران فساعة ملكها طلب الجوهر فأحضره قال اسرائيل : دخلت اليه فقال لما رآني : يا غلام هات الدرج . فاحضره اياه فقال لي : يا أبا الطيب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة الله . ثم أودع أبو عبد الله هذا الجوهر ابنه أبا القاسم سراً وأمره أن يستره فلما توفي أبو عبد الله وملك الامر بعده أخوه أبو الحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له أثرا وقيل «أودعه من لا يعرف» ولما خرج ابنه الى هجر أخذه معه فسأله الهجريون ان يريهم اياه ففعل ذلك ووهب لهم منه حبة واحدة فلما حضر مدينة السلام في أيام أبي الحسين معز الدولة طلبه منه ليراه فاحضره عنده ووسط أبا مخلد عبد الله بن يحيي ليبتاعه منه فامتنع من بيعه ثم رأى الوجه في بيعه فاستجاب فقوم بما قومه تجار البصرة فقال أبو

مخلد : حط منه ثمن الجبة التي أخذها المجريون . فأُعطي ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة[93] وأربعين الف درهم وأحاله بذلك على كار التمر واستوفاه

وكان أبو عبدالله البريدى يتهم أبا الحسن ابن أسد بالتضريب بينه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر الف الف درهم . فلما ملك الامير أخرج اليه دفتر فيه ثبت ودائع أبي يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعة عند أحد الا ماعند ابن أسد فطالبه بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاه . فمضى الى منزله وحمل اليه الفي الف درهم وخمسمائة الف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لاوجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه فى مدة سنة معه وأخذ خطه بها انها وديعة له عنده . وكان فى أسفل الثبت الذى وُجد له عمل لكل سنة عملا بالضمان وما صح منه بالامانة وماتحصل من العجز الذي أخذ خطه به وجمع ذلك وكان بازاء العجز وهو ثلاثة عشر الف الف وخمسمائة الف درهم . فقامت قيامة أبي عبد الله وقال : دم أخي فى رقبة ابن أسد فانى قتلته طمعاً فى المال . فمضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظهر وقام بحجته شفاها وذكر ان له بقايا هذه السنة فى النواحي زيادة على أربعة آلاف الف وله أصحاب منهم أبو العلاء صاعد بن ثابت وأبوه وأخوه وأبو على الانبارى وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه[94]

وصح لابي عبد الله من جميع الوجوه على أحوال قبيحة مع الالفي الالف والخمسمائة الالف الدرهم الموجودة عشرة آلاف الف درهم وتاه الباقي وذهبت نفس أبي يوسف

وفيها قبض أبو العباس اشكورج الديلمي وكان توزون قلده الشرطة

ببغداد على ابن حمدى اللص [1] وضرب وسطه فخف مكروه اللصوص عن الناس وانقطع شرهم بعد ان تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم النوم خوفا من كبساته .

وفيها ورد الخبر بدخول الامير أبى الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر من كان بها من أصحاب البريدى الى البصرة

وفيها صار محمد بن ينال الترجمان الى سيف الدولة وهو بالرقة فعاتبه سيف الدولة على أشياء بلغته عنه وكان اتهم بانه عقد الرئاسة لنفسه على العجم وواطأ المتقى لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن ينال ذلك فلما خرج من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسيوفهم فقتلوه .

وفيها ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبى طاهر القرمطى وانه جدر ومات وصار الامر لاخوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصبهانى الذى احتال لقتل ﴾
﴿ القرامطة بايديهم حتى كاد يفنيهم ﴾

كان ابن سنبر يعادى المعروف بابى حفص الشريك فاحتال فى حياة أبى طاهر بان أحضر رجلا [95] من أهل اصبهان فكشف له أسرارا كان أبو سعيد الجنابى كشفها له فى حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه مواضع دفائن له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصبهانى : امض الى أبى طاهر وعرفه انك الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان اليه فاذا هو سألك عن العلامات

(١) وردت حكاية تاجر مع ابن حمدى هذا في كتاب الفرج بعد الشدة ٢ :١٠٨ وفيه يقال له « ابن حمدون » : وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هـذه الاسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الاصبهاني ان يكون اذا تمكن من الامر قتل أبا حفص الشريك . فضمن له الاصبهاني ذلك فمضى الى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالاسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلّم الامر اليه وقال لاصحابه : هذا هو الذى كنت أدعوكم اليه والامر له . فتمكن الرجل من الامر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر واخوته بقتل من يشاء ويقول « قد مرض » يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره ممتثل مُطاع لايُخالف الى ان أتي على عدد كثير منهم . وكان اذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنهُ لم يتوقف وبادر الى امتثال أمره فخافه أبو طاهر (٩٦) وبلغه انه عمل على قتله فقال لاخوته : قد وقع عليّ غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الامر الذى يعرف ضمائر القلوب ولا تخفي عليه الاسرار ويمكنه ان يُبريء المريض ويعمل كل مايريد . وجاؤا الى الرجل فعرّفوه ان والدتهم عليلة وسألوه ان يدخل اليها ونوّموا والدتهم على فراش وغطوها بازار فدخل اليها فلما رآها قال لهم : هذه علة لايبرأ صاحبها فطهّروها (معناه اقتلوها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لامّهم : اجلسي . فجلست وقالوا : انها لفي عافية وأنت كذّاب . فقتلوه

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له اخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لايدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبل على الشرب

والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلمتهم واحدة لا يختلفون فكانوا اذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا وأصحروا واتفقوا على مايعملون ولا يطلعون أحدا على أمرهم فاذا انصرفوا أمضوا ما اتفقوا عليه (١)

(١) وأما أبو طاهر القرمطي فليراجع ما في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٢ : هذا تتمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعه وأمر ان تلحق هنا فالحقتها حسب مرسومه قال : كان أبوه يحبه ويرجحه للامر بعده وأوصى « ان حدث بي موت فالامر الى أبي سعيد الى ان يكبر أبو طاهر فيعيد أبو سعيد اليه الامر » وكان أبو سعيد قد عتا ومرد وأخاف العباد وهزم الجيوش . وكان قد أسر فيمن أسر خادما فحسنت منزلته عنده حتى صار على طعامه وشرابه وكان الخادم ينطوي على اسلام فلم ير أبا سعيد يصلي صلاة ولا صام شهر رمضان فابغضه وأضمر قتله . فخلاه وقد دخل حماما في الدار ووثب عليه فذبحه ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له : كلم أبا سعيد . فلما حصل ذبحه ثم استدعى آخر ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بجماعة من الكبار وكان شجاعا قويا جدا . ثم استدعى في الآخر رجلا فدخل في أول الحمام فاذا الدماء تجري فادبر مسرعا وصاح فتجمع الناس . وقد مر ذلك في سنة ٣٠١ وأخذ سعيد ذلك الخادم فقرض لحمه بالمقاريض الى ان مات .

فلما كان في سنة ٣٠٥ سلم سعيد الامر الى أخيه أبي طاهر فاستجاب لابي طاهر خلق وافتتنوا به بسبب أنه دلهم على كنوز كان والده أطلعه عليها وحده فوقع لهم أنه علم غيبا وتخير موضعا من الصحراء وقال : أريد ان أحفر ههنا عينا . فقيل له : هنا لاينبع ماء فخالفهم وحفر فنبع الماء فازدادت فتنتهم به ثم استباح البصرة وأخذ الحجيج وفعل العظائم وأرعب الخلق وكثرت جنوده وتزلزل له الخليفة . وزعم بعض أصحابه انه إله ومنهم من زعم انه المسيح ومنهم من قال « هو نبي » وقيل « هو المهدي » وقيل « هو الممهد للمهدي » وقد هزم جيوش الخليفة المقتدر غير مرة ثم انه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره وقد قتل بحرم الله تعالى مقتلة عظيمة لم يتم مثلها قط في الحرم وأخذ الحجر الاسود . ثم لم يمهله الله بعد ذلك فلما أشفى على التلف سلم مملكته الى أبي الفضل ابن زكريا المجوسي العجمي .

قال محمد بن علي بن رزام الكوفي : قال لي ابن حمدان الطبيب : أقمت بالقطيف

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحمّى حادّة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاه أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين . (٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أعالج مريضا فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان القرمطي فاذا بغلام حسن الوجه دري اللون خفيف العارضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعميم العجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شهباء اسمه أبو الفضل المجوسي والناس قيام وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر باعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلموا انا كنا واياكم حمير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الغلام) هذا ربي وربكم والهي والهكم وكانا عباده والامر اليه وهو يملكنا كلنا . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤسهم ثم قال أبو طاهر : اعلموا يامعشر الناس ان الدين قدظهر وهو دين أبينا آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد انما الدين دين آدم الاول وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالعنوهم . فلعنهم الناس وكان أبو الفضل المجوسي (يعني الغلام الامرد) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمر بقتل الامرد الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطبيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقا عليها رؤس جماعة فسجدت له كعادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابي طاهر : ان الملوك لم تزل تعد الرؤس في خزائنها فسلوه (وأشار الي) كيف الحيلة في بقائها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم ويعلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على التقدير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ماأحسن ما قاله . قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام يلعنون ابراهيم وموسى ومحمدا وعليا وأولاده ورأيت المصحف يمسح به الغائط .

أبو الحسين مكانه . وكان لابي عبد الله عسكر مقيم بنهر الامير بازاء الامير أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بعطارا وكان ديلم أبي عبد الله مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يميلون اليه وكان بين يانس وبين أبي الحسين مباينة فى الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكاتبه ابن سنبر : أ كتب كتابا الى الخليفة فصل لهم على محمد وكل لهم من جراب النورة . قال ابن سنبر والله ما تنبسط يدى لذلك . وكان لابي طاهر أخت فاقتضها أبو الفضل وذبح ابنا لها في حجرها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رأيه ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على ان يمتحنوها ويقتلوه فاتياه فقال : ياالهنا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشتهى ان تحضر لشق جوفها وتحشوه جمرا . (وكان قد شرع لهم ذلك) فمضى معهما فوجد فرجة مسجاة فامر بشق بطنها فقال أبوطاهر: ياالهي أشتهى ان تحييها لى. قال : ماتستحق فانها كافرة . فعاوده مرارا فاستراب وأحس بتغيرهما عليه فقال: لاتعجلا على ودعاني أخدم دوابكما الى أن يأتي أبي فانني سرقت منه العلامة فيرى فى رأيه . فقال له ابن سنبر : ويلك هتكت استارنا وحريمنا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة فى ستين سنة لا يعلم مانحن فيه فانت لو رآك أبوك على هذه الحالة لقتلك قم يا أبا طاهر فاقتله . قال : أخشى ان يمسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأ كلته أخت أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان هذا الغلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطعناه لذلك وانا وجدنا فوقه غلاما ينكحه فقتلناه . وقد كنا نسمع أنه لابد المؤمنين من فتنة عظيمة يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجعوا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت النيران واتركوا اتخاذ الغلمان وعظموا الانبياء عليهم السلام. فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون لنا قولا » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل فى أعيان الناس فسكنوا .

قال ابن حمدان الطبيب : وبعد قتل أبي الفضل اتصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج الي يوما الحجر الاسود وقال : هذا الذى كان المسلمون يعبدونه . قلت : ما كانوا يعبدونه . فقال : بلى. فقلت : أنت أعلم . وأخرجه الي يوما وهوملفوف بثياب ديبقى وقد طيبه بالمسك فعرفنا انه معظم له . ثم انه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

فى الاستطالة على الديلم والاتراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحس يانس بذلك فمضى الى أبى القاسم مولاه وابن مولاه أبى عبد الله فقال له : ان كان عندك مال أصلحت لك قلوب الرجال وعقدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة الف دينار فاصلح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابى الحسين وعقد الرئاسة لابى القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان بنهر الامير الى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهو نائم فخرج من تحت الكلّة ومضى ماشيا متنكرا الى الجعفرية وكاتب الهجرى يستجير بهم وتصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يعاونوه على الرجوع الى البصرة وردّهُ الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم[٩٨] نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لابى القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبى طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأمور وضعف جانبه فقتل من أصحابه في تلك الوقعات خلق وقلوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يتعرض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج دينارا ويخفرهم فطابت قلوب الناس وحجوا آمنين وحصل له أضعاف ما كان ينهبه من الحاج . وقد كان هذا الملعون بلاء عظيما على الاسلام وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول انه هلك عقيب أخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضعف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعه على الاقاليم قويت همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمى بامير المؤمنين وكان خليقا بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهيبة زائدة استولى على أكثر الاندلس ودانت له أقطار الجزيرة .

انتهى ما الحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فالحقته هنا . ولا قوة الا بالله ففى كتابه مثل هذا مضض ونسأل الله العفو والسلامة

فلم تمكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون وكاتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمه في الصلح وسألوه ان يؤمنه ويأذن له في الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم في أمره الى أن تأهب واختار الشخوص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام

ثم طمع يانس في الرئاسة وازالة أبي القاسم عنها فواطأ روستاباش فلما انعقد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا في دار روستاباش . وآثر روستاباش الايقاع بيانس والتفرد بالرئاسة فلما خرج يانس من عنده أتبعه بمن يُوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمي بزوبين ووقع في ظهره وهرب وصار الى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحد خبراً وكان ليلا وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدبّر ليانس . وكان قد جزع أبو القاسم لما عرف الخبر وهمّ بالجلوس في طيّاره (٩٩) والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع بيانس وعزم على التفرّد بالرئاسة لم يطعه وصاح الديلم وزبرهم فتفرقوا ومضى بعضهم في الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه واستتر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس فحمله الى داره مكرما ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو القاسم متّهم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى لشكرستان وصادر يانساً على مائة الف دينار ثم نفاهُ الى عُمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقُتِل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .

وفيها عرض لتوزون يوما وهو جالس للسلام والناس وقوفٌ بين يديه صرعٌ فوثب ابن شيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا في وجهه رداء كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس لئلا يروه على تلك الصورة وصُرف الناس وقيل لهم ان الامير قد ثار المراد به من خُمار لحقهُ .

وفى هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان وقصدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها [١٠٠]

﴿ شرح أخبار الروسيّة وما آل اليه أمرهم ﴾

هؤلاء أمة عظيمة لهم خَلق عظام ولهم باس شديد لايعرفون الهزيمة ولا يولّي الرجل منهم حتى يقتُل أو يقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل آلة السلاح ويُعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمنشار والمطرقة وما أشبهها ويقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُعلق عليه عمودا وآلة كالدشنيّ ويقاتلون رجالةً لاسيما هؤلاء الواردين . وذلك انهم ركبوا البحر الذى يلى بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكُرّ يحمل من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذى يشبّهونه بدجلة . فلما وصلوا الى الكُر توجه اليهم صاحب المرزبان [١] وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم صعاليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوّعة نحو خمسة آلاف رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترّين لايعرفون شدتهم وحسبوا انهم يجرون مجرى الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الا ساعة حتى حملت الروسية حملة منكرة فهزموا العسكر وولت المطوّعة باسرهم وسائر العسكر الا الديلم فانهم ثبتوا ساعة فقُتلوا كلهم [١٠١] الا من كان بينهم فارسا واتبعوا الفلّ الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملة من الجند والرعية

(١) وفى التكملة هو « المرزبان بن محمد » يعنى ابن محمد بن مسافر

وتركوا البلد فنزلته الروسية وملكوه .

فحدثني أبو العباس ابن نُدار وجماعة من المحصّلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكّنوا الناس وقالوا لهم : لا منازعة بيننا وبينكم فى الدين وانما نطلب المُلكَ وعلينا ان نُحسن السيرة وعليكم حُسن الطاعة . ووافتهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويهزمونهم وكان أهل بردعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبّروا ورجموهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين السلطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعاع فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما فى نفوسهم ويتعرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب السلطان . فلما طال ذلك عليهم نادي مناديهم بالا يُقيم فى البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم ندائهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حُرمَتهُ وولدهُ وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيما لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام (١٠٢) مع حرمهم ونسائهم وبناتهم وجعلوا النساء والصبيان فى حصن داخل المدينة وهي شهرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصنوا فيه . ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوابه وقالوا لهم « اشتروا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾
﴿ قتلوا باجمعهم واستبيحت أموالهم وذراريهم ﴾

كان بالبلد كاتب نصراني له رأى سديد يعرف بابن سمعون وكان يسعى فى السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم بعشرين

درهما فتابعهُ على ذلك عقلاء المسلمين وخالفهُ الباقون وقالوا : انما يُريد ابن سمعون ان يلحق المسلمين بالنصارى فى أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا فى هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوهم عن آخرهم الا عددا يسيراً أخرجوا فى قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من افتدى نفسه بذخيرة كانت له . فربما وافق الواحد من المسلمين الروسيَّ على مال يفتدى به نفسه فحضر معه الى منزله أوحانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقته لا يمكن صاحبها منها وان كانت (١٠٣) أضعافا مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يجتاحه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مختوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يجل قدره ويعظم خطرهُ وكانوا قد حازوا النساء والصبيان ففجروا بهنَّ وبهم واستعبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون فى البلدان بخبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنفر الناس وأتاهُ المطوّعة من كل ناحية فسار فى ثلاثين الف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه العدَّة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أثرا فكان يناديهم القتال ويراوحه وينقلب عنهم مفلولا واتصلت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الدبرة أبدا على المسلمين . فلما أعيى المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة التجأ الى الحيلة والمكيدة واتفق له ان الروسية لما حصلوا بالمراغة تبسَّطوا فى الفاكهة وهنالك أنواع كثيرة منها فمرضوا ووقع فيهم الوبأ لان بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وانما يحمل اليهم الشيء اليسير من البلاد

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان فى الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلا وواطأ عسكره[١٠٤] ان يُبادروا الحرب فاذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطمعهم بذلك فى العسكر والمسلمين فاذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشعار اتفقوا عليه فاذا حصل الروسية فى الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدّم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب فجروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم .

فحكى المرزبان بعد ذلك انه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم ان يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن فى قلوبهم من هيبتهم علم انه ان استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين ويكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدى مع من تبعنى من أخى وخاصتى وغلمانى ووطنت فى نفسى الشهادة فحينئذ استحيا أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم وناديناا « الكمين » فخرجوا من ورائهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون فى الحصن الذى كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلات كثيرة[١٠٥] وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان فى مُنازلتهم وهو لا يقدرُ لهم على حيلة سوى المصابرة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماس واجتماعه مع جعفر بن شكويه الكردى فى جماهير الهدابانية[١] واضطرّ الى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهديانية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الاكراد

أحمد قوّاده في خمسمائة من الديلم والف وخمسمائة فارس من الاكراد وألفين من المطوّعة وسار الى أوران ولقى أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفا وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبي عبد الله لان معظمهم اعراب وساروا عنه فسار بسيرهم الى بعض المدُن الحصينة فلقيه في طريقه كتاب من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستئمان رجاله اليه وانه قد عمل على الانحدار معهم الى بغداد ومحاربة معزّ الدولة لانه كان دخلها فاستولى عليها بعد اصعاد توزون عنها ويأمره بالتخلية عن أعمال آذربيجان والانكفاء اليه ففعل .

فلم يزل أصحاب المرزبان عن قتال الروسية وحصارهم الى ان ضجروا وانفق ان زاد الوباء عليهم فكان اذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه[(١٠٦)] وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلامه ان كان يحبه على سنة لهم فاستثار المسلمون بعد زوال أمرهم مقابرهم فاستخرجوا منها سيوفا يتنافس فيها الى اليوم لمضائها وجودتها . فلما قلّ عددهم خرجوا ليلا من الحصن الذى كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقى وساقوا من النساء والصبيان والصبايا ما شاؤا ومضوا الى الكرّ وكانت السفن التى خرجوا فيها من بلادهم معدّة فيها مع ملاّحيهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يمدونهم باقساطهم من غنائمهم فجلسوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسيّة حكايات عجيبة من شدتهم وقلة مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع فى الناحية وسمعته من غير واحد ان خمسة نفر من الروسية اجتمعوا فى بستان ببرذعة وفيهم

غلام أمرد وضيء الوجه من أولاد رؤسائهم ومعهم نسوة من السبي وان المسلمين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بالبستان واجتمع عدد كثير من الديلم وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد فلم يكن اليه سبيل لانه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يمكن[١٠٧] قتلهم حتى قتلوا من المسلمين أضعافا كثيرة لعدتهم وكان ذلك الامرد آخر من بقي فلما علم انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتقي من بني حمدان ضجر به وبمقامه عندهم وشهوة لمفارقته فراسل توزون في الصلح فتلقى توزون ذلك بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقي لله الى توزون مع الحسن بن هرون وأبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحلفاه ايمانا مؤكدة للمتقي وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتّاب حتى حلف بحضرتهم للمتقي لله وكتب بذلك كتاباً وأحكم ووقعت فيه الشهادة من جميع من حضر على توزون .

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ﴾

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم وصل الاخشيد الى حضرة المتقي لله وهو بالرقة ولقيه بها وأعظمه المتقي نهاية الاعظام ووقف الاخشيد بين يديه وقوف الغلمان وفي وسطه سلاح ثم ركب المتقي فمشى بين يديه الاخشيد فامره ان يركب فلم يفعل[١٠٨] ولم يزل

على تلك الحال مختلطا بالغلمان الى ان نزل من ركوبه[١] وحمل اليه هدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مقلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتبا ولا حاجبا الا برّه . واجتهد بالمتقي لله ان يسيره معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يدبّره فخالفه . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر الندم ويقول « نصحني الاخشيد فلم أقبل » وكانت دنانير الاخشيد في صندوق أبي الحسين الى ان انتهبت لما قُبض على المتقي لله[٢]

(١) وقال ابن العديم في تاريخه زبدة الحلب : وكتب الاخشيد في هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : ومما يجب ان تقف عليه أطال الله بقاك ان امير المؤمنين بشاطىء الفرات فاكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله؟ فرحاً بانه كناه والخليفة لا يكني أحداً (٢) وفي خلع المتقي لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفرغاني . فحدثني ذكا مولى الراضي قال : فلما بلغ المتقي الى الرحبة أقام بها أياما الى أن هل هلال صفر ثم انحدرنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقي المتقي فسأله عن أخبار توزون والعجم ومافي نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالاة وسرورا بقدوم السلطان قال ذكا : وكان الحسين هذا أحد من اصطنعته فخلوت به وقلت : عرفني ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر انه يدخل الى دار توزون ويفتش عن سرائرهم فلم يتبين منهم شيأ يكرهه قال ذكا : وكان الامر كما ذكرته لم يظهر منهم ذلك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسعي في القصة من أفسدها والسبب في ذلك ان حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بابي أحمد الشيرازي وكانت حسن هذه وابنتها امرأتي سوء مشهورتين بشرب النبيذ والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفي وتمضي الى جماعة من العجم بحال قبيحة وكانت تستخص رجلا منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما توثق المتقى لله من توزون انحدر من الرقة يريد بغداد في الفرات ومعه غلامان من غلمان الاخشيد ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

لطيف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبدالله بن سليمان يكتب لذلك الديلمي فكانت اذا جاءت اليه تطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان للديلمي : أراك تطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك ان تجد مساعدة مثلي . فقال الديلمي : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكتفي يلتمس الخلافة و يضمن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقى ستمائة ألف دينار على انه يسلم المتقي وحاشيته وانه يضمن ان يجعلني حاجبه وسألني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة وابلغ من توزون كلما تحبه بعد ان تضمن لي ان تستكتبني ولا تزيلني أنت عن خدمتك . فضمن الديلمي لابن سليمان ماشرطه واجتمع الديلمي وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشورته و يأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسألاه ان يدخل معهما فاعتنق القضية وأوصلهما الى توزون وسألهما عليه أن يقبل قولهما فيما سميا له وان يقبض على المتقي عند وروده فلما وقف توزون على ذلك أكبره وقال: كيف يجوز ان أفعل هذا وقد عاقدنا وأشهدت على نفسي سائر الناس واشتهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم قلة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تعمل الحيلة عليه قبل ان يحتال عليك وتقبل ما أشار به عبدالله بن المكتفي وتأخذ منه هذا المال الذي قد بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لاتأمنه على نفسك (قال ذكا) : وكان توزون حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا نيته ثم شرطوا عليه ان لايعرف كاتبه ابن شيرزاد ما وافقوه عليه وقالوا : ما نأمن أن يشير عليك بضد ما قد أشرنا خبثا منه وميله الى المتقي ولا تأمن أن ينفذ الى المتقي من ينذره فيفلت من يدك . فسمع هذا توزون وكتمه عن ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكتفي وكره ان يحدره اليه فيشيع خبره فعمل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر أن لا يظهر أحد في دجلة ولا في المدينة بعد العشاء الاخرة لئلا يلقاه أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زبزب ومعه دكلا وابن مالك وابن سليمان فيسيرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر و يخرج عبد الله بن المكتفي وينزل اليهم ويتحالفون ويعقدون الرأى والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الخرقي وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان والعهود والمواثيق وأكرم المتقي لله توزون ولقبه المظفر وعاد القاضي الى

المكتفي لتوزون المال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه

ولما وافى المتقي الى هيت أنفذ القاضي الخرقي وأبا القاسم سلامة أخا نجح الطولوني الى توزون ليشاهدا حاله ويكشفا عما في نفسه فوصلا الى بغداد ولقيا توزون فاظهر لهما سرورا بقرب السلطان وانحدر معهما الى دار فدخلها وأمر بتبييض مواضع من القصر وأمر باصلاح ما تشعث من الدار وانصرف الى داره وردهما الى المتقي . وتقدم الى ابن شيرزاد بالخروج الى الانبار ليلقى المتقي وجرد قطعة من العجم وخرج توزون فاقام على البثق على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقي بهيت ستة أيام الى ان وافاه رسولاه فخلا بهما وسألهما عما شاهداه من توزون فوصفا عنه كل جميل وعرفاه انه يجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الخرقي ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما وقف على ذلك رحل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولقيه بها ابن شيرزاد فترجل وقبل الارض بين يديه وأمره بالركوب فركب . وأخذ يسأله عن اخبار توزون وهو يصف له حسن طاعته وخلوص موالاته وشدة سروره وابتهاجه بقدوم مولاه (قال) وبتنا بالانبار ثم رحلنا من الغد نريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فضرب له بازاء مضرب توزون فلما قرب من السندية وأبطأ عن تلقيه توزون عجب من ذلك ولقينا من عرفنا ان توزون أخذ على طريق الفرات مقدرا ان السلطان يوافي على شط الفرات ولم يكن لامر كما حكاه وانما هو مضى ليخرج وراء المتقي فيتوكل به وبجميع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن شيرزاد وقد كان مع المتقي : تأذن مولانا أمضي اليه فاعرفه ان مولانا قد أخذ هذا الطريق ليلحق به ؟ فقال له : افعل . فمضى وعدل المتقي الى حائط رفيع في وسطه سدرة فوقف تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقي واقفا ونحن معه حتى لاحت لنا غبرة من ورائنا فعلمنا انها موكب توزون وأقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : امض أنت ومعك الغلمان حتى تستقبله . فمضى (قال ذكا) وكنت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان ورجع معنا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تعبية بالسلاح والعدة فسلم على أبي منصور ابن الخليفة وهو راكب ولم يوفه حقه كما يجب من الترجل فانكرنا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرف المتقي انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون لليلة بقيت من صفر الى البثق الذى كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بيني وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشر بي فما رد علي السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه عليل فقدرنا انه اضعف ناله من العلة وسبقناه الى المتقي وجئت فوقفت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتقي يقول : اذا كان هؤلاء على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لابن خاقان : اخرج حتى توصله الي راكبا . فخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أومأ ان ينزل خارج الحائط ودارت ديالمة توزون حول الموضع الذى كان المتقي فيه واقفا وكذلك فرسانه وترجل هو وجماعة من القواد وتقدم الى المتقي فقبل الارض ثم قبل يده ورجله وتبسم المتقي اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذى جمع بيننا يا أبا الوفاء وأزال ما كان في القلوب . فقال بالفارسية : الساعة تبصر مولاي أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتقي : اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتقي وتأخر عنا وقام على تل ونحن لا نعلم ما يريد وما يراد منا وقد كان المتقي أخر حرمه والخدم خلفه لئلا تقع عليهم عيون العجم فوجه اليهم توزون بقرامطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم والحرم وغيرهم وسار هو من ورائنا . فوجه اليه المتقي بعبد الواحد بن عثمان الشرابي : قد ركبت عمارية وأنت عليل فبحياتي الا ركبت أنت أيضا عمارية . فقال للرسول : ما أقدر على ركوب العمارية أسأل الله أن يطيل بقاء مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا صوت الدبادب على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتقي فداروا حوله وأخذوا بعنان البغل يقودونه ويسيرون سيرا حثيثا . وقد كان قبل التوكيل به وجه توزون بالحسين بن هرون يسئل المتقي ان ينزل في مضرب توزون فراسله : ان معنا حرما وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاشيته فلا يفلت منهم أحد . ثم وجه باسكورج الديلمي الى المتقي فوكله به فوافى اسكورج وفي يده حربة فسار قدام المتقي (قال ذ كا) ونحن نقدر انما يعملون هذا خدمة له وا كراما لحقه ثم لم يملك المتقي من أمره شيئا وأنفذني الى ابن شيرزاد فمنعه توزون من ذلك وانتهرني فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يسئلون سحق الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه الا انه شتم فقال : يا ذكا استعجل محمد بن يحيي (يعني ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في الكنيسة . فرجعت الى توزون فسألته ان يوجه بابي جعفر الى المتقي فصاح علي وعلى

شاطىء الفرات وبين توزون والمتقي [١٠٩] نحو فرسخ فلما همّ بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزلهم في مضرب نفسه مع حُرَم المتقي لله وارتجت الدنيا فسمله وحكى ثابت ان توزون سمله بحضرة قهرمانة المستكفي بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدّة وزارة أبي الحسين ابن مقلة سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوما .

﴿ ذكر السبب في القبض على المتقي وخلافة المستكفي بالله ﴾

قال ثابت . حدثني أبو العباس التميمي الرازي وكيله قال وكان

ابن شيرزاد ومنعه خفت ان يوقع بي اعظم ماشاهدت من أمره ثم رجعت الى المتقي وهو لا يدري أمره . وارتفعت غبرة عظيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وحرنا مضرب المتقي وانقطع عنا صوت الدبادب ووقفنا بين خيم العجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسلار مستجيرا به فنزلت في خيمته وأغار العجم على الناس فسلب كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقي موكلا به الى مضرب توزون وقبض على حرمه وأسبابه وسلب العجم بعضهم بعضا اعظم القصة

(قال ذكا) ووافوا بابي الحسين ابن مقلة الى الخيمة التي كنت فيها ثم وافوا بالماضي الخرقي فجزعت جزعاً شديدا وخشيت من القتل ثم جاؤا بابي الحسن نحرير غلام الاخشيد وعليه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت انا انما وقعنا في الغلط وبقي نحرير متعجبا مما نزل بالمتقي وقال : يا قوم كذا يجري على الخلفاء ! فقلت : لا تعجب من هؤلاء الملاعين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفعلوا . ولما حصل المتقي في أيديهم بعد ان قبضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووزيره ابن مقلة والخرقي ومبشر ورائق الخادمين اعتقلوا في جزيرة بازاء السندية

واجتمعوا على كحله بحضرت حسن الشيرازية ومعها غلام لها سندي فتولت كحله بيد غلامها السندي وذلك يوم السبت لثلاث ليال بقيت من صفر من السنة المقدم ذكرها ولم يزل المتقي باقيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٠ وله ستون سنة

خصيصا بتوزون مستوليا عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى وذاك ان ابراهيم بن الزبنـذ الديلمي لقيني يوماً وسألني ان أصير الى دعوته فاستأذنت توزون فى ذلك فأذن لى فيه ومضيت اليه وهو ينزل فى دار القراريطى على دجلة فوجدت داره مفروشة منضّدة فسألتهُ عن السبب فى ذلك وقلت : أحسبك قد تزوّجت . فقال : اما احدّثك عن امرى اعلم انى خطبتُ الى قوم وتجملتُ عندهم بان ادعيت ان لى محلاً من الامير واختصاصاً به فقالت لى المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شيء يجمع صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا(١١٠) الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم وكاشفتموه وليس يجوز أن تصفو نيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد فى بواركم فلم يتم له فمرّة بنى حمدان ومرّة بنى بويه وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه فى الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير لكم أموالا جليلة لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواهُ وتكونون انتم قد استرحتم من عدوّ تريدون ان تحرسوه وتحترسون منه وتخافونه ويخافكم وتقيمون رجلا من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روحكم مقرونة بروحه . وأطالت الكلام فى هذا المعنى فهوّستني ودار كلامها فى نفسى وعلمت ان محلي لا يبلغ الكلام في مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب نفسى عندها لما ادعيتهُ من المحلّ والمنزلة فاطمعتُها فى ذلك وعلمت ان هذا الامر لا يتم الاّ بك ولا يقدرعليه غيرك وقد اطلعتك عليه فاي شيء عزمك ان تعمل ؟ فقلت : أريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءنى بامرأة تتكلم بالعربية والفارسية من أهل شيراز جزلة شهمة

فهمة فخاطبتني بنحو ما خاطبني به الرجـل فقلت لهـا : لا بد من أن ألقى الرجل وأسمع كلامه . فقالت : تعود غداً الى ههنا حتى أجمع بينك وبينه . فلما كان من غـد عدتُ فوجـدت الرجـل قد أخرج (١١١) من دار ابن طاهر في زي امرأة وحصـل في دار ابن الربنبذ فلقيته وعرّفني انه عبد الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهمٌ ووجـدتهُ مع هـذا يتشيّع ورأيته عارفا بامر الدنيا وضمن لى سـتمائة الف دينار يسـتخرجها ويُمشّى بها الامر ومائتي الف دينار للامير توزون وقال : أنا رجـل فقـير وانمـا أعرف وجوه أموال لايعرفها غـيرى وأعرف من ذخائر الخلافة في يد قوم لايعرفهم غيري . وكرّ [1] ان وجوهها صحيحة لاشك فيها ولا يقدر غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحتهُ صرت الى توزون . وفكّرت في ان الامر لايتم بى وحدي فلقيت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا عمران موسى بن سليمان فى الحديدي الذى على باب توزون فاخذت بيده واعتزلنا . واسـتحلفته على كتمان ما أطلعهُ عليـه فحلف ثم حـدثتهُ به كله وسألتهُ معاونتي على تمامه فقال : هـذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أيسني من نفسه سألتهُ أن يُمسك ولايعارضني فقال : افعل . فدخلت الى توزون وأدخلتهُ الى حجرة وخلوت به واستحلفتهُ بالمصحف وبايمـان مؤكـدة ان يكتم ما أحـدثه به فحلف فلما حلف حـدثتهُ الحديث من أوله الى آخره فوقع بقلبه وقال : صواب ولكني أريد ان أرى الرجـل وأسمع كلامه . فقلت : عليّ ذلك ولكن ان أردت (١١٢) تمـام هـذا الامر فلا تطلع عليـه أبا جعفر ابن شيرزاد فانه يفثأ عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل . وبلغ

(١) لعله « وذكر »

أبا جعفر خلوتي بالامير فاتهمني اني سعيت عليه ومضيت الى القوم ووعدتهم بحضور الامير ليرى الرجل ويكون الاجتماع في منزل موسى بن سليمان . (قال) وتشددنا في الطوف بالليل في دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربع عشرة خلت من صفر وافى عبد الله بن المكتفي بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبايع له في تلك الليلة وكتمنا القصة . فلما وافى المتقي لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلت لتوزون : عزمك على ما كنا اتفقنا عليه صحيح ؟ فقال : بلى . قلت : فافعله الساعة فانه ان دخل داره بعد عليك مرامه (قال) فوكل به وجرى ما جرى . وكانت المرأة التي سفرت في هذا الامر المعروفة بحسن الشيرازية حماة أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته «علم» وصارت قهرمانة المستكفي واستولت على أمره كله[1]

(١) وفي حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :

فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته علما وصارت قهرمانة للمستكفي واستولت على أمره كله وبعث عن ذخائر المتقي هي وابن سليمان الكاتب ففازوا باكثرها وكان يحمل الى المستكفي من ذلك فوجه الى توزون سبحة جوهر في قدّ واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والخاتمة وقومت السبحة بخمسين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ما ضمن المستكفي . وصارت حسن تكبس منازل التجار والمستورين فتحوزما تجده لنفسها وانبسطت يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها (قال ذكا) : انحدر ابن شيرزاد الى دار توزون فاستغاث اليه خلق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كبست بعض التجار فأخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ماقيمته ثلاثون ألف دينار فاحضرهم وسمع قولهم وقال : أنا أكفيكم هذا الامر . ودخل ابن شيرازد الى توزون فقال له توزون : تحدر الى مولانا فتشكره عني فانه قد اهدى اليّ البارحة ثيابا كثيرة في تخوت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خلق كثير يستغيثون ويذكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكفي صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه

دينار . فاوصلهم توزون الي حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انحدر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لي فيها وعرّفه ان هذا قبيح واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون التنكير منه علينا واذا نظر غيره الى هذا الفعل يظهر من مولانا لم يلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى التاجر ما أخذه منه . فانحدر ابن شيرزاد الى الدار وخاطب المستكفي في أمر الثياب وردها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد التف الى حسن نفر ممن كانوا معها على الاحوال القبيحة منهم المكنى بابي طلحة وسُنيدي (كذا) وهو الذي كحل المتقي وقد ألبستهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكفي أي وقت أرادوا على الانفراد والحاجب ابن خاقان يستثقل ولا يستخدم الا في وقت ينحدر توزون الى الدار وسائر الحجاب يتصرفون بين يدى حسن ولا يمنون بالحاجب فكانت تولى عرض الغلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة في مجلس يقال له الحوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فانخرقت الهيبة بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكفي أجلسه بين يديه

وقلد المستكفي وزارته أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدبر ابن شير زاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ماكان شرطه له وخلع على توزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجوهر وطوّق وسوّر وجلس بين يدى المستكفي وانصرف بالخلع والتاج وحمل على فرس بموكب ذهب مرصع بجوهر وخلع على ابن شيرزاد والقاضي . . . . ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال التجار وثيابهم علم ان هذا يشتد ويعظم على ابن سليمان ويسعى في افساد المستكفي فقال ابن شيرزاد لتوزون : ان هذا رجل سوء مزوّر محتال لا يصلح أن يكون كاتبا للخليفة . فصرفه عن خدمة المستكفي وقبض عليه وعلى أخيه وابنه ونفذهم الى الشام واستكتب المستكفي الشيرازي زوج ابنة حُسن

الى واسط وقت مصير توزون الى الموصل فلما صالح توزون ابن حمدان (١١٣) وعاد الى الحضرة عمل على الانحدار لدفعه . فخرج فى ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسيب بنى كوما واقيه جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام فى قباب حُميد وهى فى كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقدم الامير أبو الحسين الى قدام الى ان بلغ توزون نهر ديالي وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجانب مقابلا له وبينهما الماء فلما كان يوم الاحد لاربع خلون من ذى الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب فى انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبعد ما هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسين سواد عظيم وكراع كثير وجمال وافرة فكان اذا سار جعل سوادَهُ بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قلعت كان ذلك علامة الهزيمة . فلما كان يوم مسيره الى ديالي أخذ السواد يسير على طول ديالى واجتهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرابه (١١٤) بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفعت الضرورة الى ان ينصرف وصارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأمنوا الى توزون لانهم رحالة فاستأمن أكثرهم الى توزون وأخذ الامير على طريق بادرايا وباكسايا الى الاهواز . وقد كانت الميرة أيضا

ضاقت على الامير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جملا من جماله وفرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيمته نهبا عظيما . واستؤسر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي العلوى (١) وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعاوده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلب فعاد الى داره .

ونعود الى تمام خبر المستكفي بالله . قلد وزارته أبا الفرج محمد بن على السامرى ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدبر للامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلع على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدى المستكفي بالله على كرسى وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله . وطلب المستكفي بالله الفضل بن المقتدر طلباً شديدا فاستتر (١١٥) وأمر بهدم داره (٢) وكان الفضل طول أيام المستكفي بالله مستتراً .

﴿شرح قصة أبي الحسين البريدى ومصيره الى بغداد مستأمنا﴾
(الى توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كنا ذكرنا حاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد والتقى توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره في دار طازاذ التي في قصر

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزيدي الحسني وقام بالامر في سنة ٣٥٣ وبايعه الزيدية وتسمى المهدى لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ وردت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمبي ١٣١٨) ص ٦١ وفي نسبه الى عبد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التكملة : فلما هدم داره قال على بن عيسى : اليوم بايع له بولاية العهد

فرج على شاطىء دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسئلة توزون ان يعاونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا رغبة عن كثرته فكان يطمع فى المال ويعلل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكفى بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد فخلع المستكفي بالله عليه خلعة الرضاء وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمهُ يسعي فى أمر البصرة فوجّه بمن أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقرّ على عمله وأنفذت الخلع اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويئس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطماعه فيه

﴿ذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي﴾

لما يئس أبو الحسين البريدى من معاونة تلحقه فى فتح البصرة سعى فى أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند(١١٦) ابن شيرزاد فاستوحش من أبى الحسين ومن توزون فجلس فى منزله أياماً وما زال توزون يراسله ويترضاه حتى كتب اليه وأخذ فى التدبير عليه . فلما كان يوم السبت لستّ خلون من ذى الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافى حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراه الى دار صافى وضرب هناك ليلة الاحد ضربا عنيفا وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذكر معايبه واذكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمى أخذ فى أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة بإحلال دمه فاظهرها فى هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجمعوا بين يدى المستكفى بالله وأحضر السيف والنطع ووقف السيّاف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي ووقف فقرأ ما أفتى به واحد واحد من اباحة دمه على رؤس الاشهاد وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هى فتواه فيعترف بها حتى اتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدى يسمع ذلك كله و يراه ورأسه مشدود والسيف مسلول بأزائه فى يد السياف فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفى (١١٧) بالله بضرب عنقه فضُربت من غير أن يحتج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به فى جانبي بغداد ورد الى دار السلطان وصلبت جثته (١) حيث كان جديديه مشدودا فيه لما ظفر بدار السلطان فبقي مصلوباً هناك أياماً . ثم قرأتُ سكا على الجهبذ بثمن بوارى ونفط اشتريت بتسعة دراهم لاحراق جثته فأحرقت للنصف من ذى الحجة (٢)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامرى وصودر على ثلاثمائة الف درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنين وأربعين يوماً

وفي هذه السنة طالب المستكفى بالله القاهر بأن يخرج من دار السلطان و يرجع الي دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذ يكتب للمستكفى بالله على خاص أموره ورفق بالقاهر وضمن

(١) زاد صاحب التكملة : على باب الخاصه على دجلة . وقال أيضا : فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة وعني ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله . وقال أيضا انه أطلق توزون أبا الحسين ابن مقلة بعد ان صادره على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع ماقال ابن حمدون فى تذكرته في الباب السابع والاربعين فى أنواع السير والاخبار وعجائبها : وجد في بعض الاوارجات السلطانية : وما حمل الى أبي الفضل جعفر بن يحيى (يعني البرمكي) أعزه الله لهدية السرور من العين الطوى مائة ألف دينار . وفي آخر الحساب : ومما أخرج لثمن النفط والبوارى والحطب لاحراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بعد ان سألني عن منزلي في أي جانب هو فقلت « في الشرقي ناحية سوق يحيى » فسكنت نفسه الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلت به الى طياري بعد ان غيرتُ زيّه فاني وجدته ملتفا في قطن محشوّ جبة وفي رجله نعل خشب مربعة فلما حصل في الطيار عبّرت به(١١٨) من اذاء داري وأومأت الى الملاحين ايماء من غير أن أنطق بحرف فلما وضع صدر الطيار للعبور فطن وقال « هوذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرمي بنفسه الى الماء فتقدمت الى غلماني بضبطه فضبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فرآه ابو عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي فمنعه من ذلك واعطاه خمسمائة درهم وردّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وانما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم وزيهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام . ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد وكان للمرزبان بن محمد بن مسافر في ذلك أثر كبير وغناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

﴿ ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفي المحرم منها مات توزون في داره ببغداد فكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابة ابن شيرزاد له سنتان وستة عشر يوماً . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت(١١٩) وكان خرج اليها

لموافقة ابي المُرجّى ابن فيان على مال ضمانه وكان قد أخره وطمع في ناحيته بموت توزون [١] واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن شيرزاد . وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الامر لناصر الدولة فانحدر ابن شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر أقام هناك في معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم وانفذ اليه المستكفي بالله خلع ثياب بياض وحمل اليه طعاماً عدّة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر اجمع الجيش باسره على عقد الرياسة له وحلفوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم العجم . ووجّه ابن شيرزاد الي المستكفي بالله يسأله ان يحلف له يميناً بحضرة القضاة والعدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكفي ذلك ثم سأله اعادة اليمين بحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله . فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصالحه ابو المرجا عمرو بن كلثوم مقدمها على ثمانمائة الف وخمسين الف درهم يقسطها على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لاخذها . وقال ايضا في ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان فدخل اليه ابوالقاسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكتب ومضى الي ابيه فادى خمسمائة وركب الى ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السوسي وطازاذ معتذرين فقال علي بن عيسى : اني اريد ان القاه ولا اخاطبه في البقية . فمضيا وعادا اليه وقالا انه يستحيي من لقائك فانصرف علي بن عيسى كئيباً من العزلة اكثر من كآبته بالغرم

وقال ايضا : خرج تكين الشيرزادى صاحب توزون الي جزيرة بني نمير وعاد الى جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الى واسط واجلس في بستان يشرب فأحاط به عسكر البريدى فأسروه وحملوه الى البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيمرى واسط ودخلها معز الدولة ولما علم انحدار توزون اليه كنى بالله وانصرف عنها وراسل توزون البريدى فأطلق تكينا وضمنه واسطا واصعد المستكفي وتوزون (الى) بغداد

شيرزاد من مُعسكره على الظهر بتعبيَة الي دار السلطان ووصل الي الخليفة وانصرف مُكرَّماً

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم فى ارزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت الاضاقة فأنفذ الى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال .ويطمعه في رد الامارة اليه فحمل اليه (١٢٠) دقيقاً وسفاتج بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع مع الاضاقة فنقض ما عزم عليه من عقد الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره وقلد أبا السائب القاضى مدينة المنصور وقلّد جماعة القضاة فى نواحي بغداد(١) وأخذ في المصادرات وقسط على الكُتّاب والعُمّال والتجار وسائر طبقات الناس ببغداد مالا لارزاق الجند . وكان الغمازون يغمزون بمن عنده قوت من حنطة أو عدة لعياله فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره وبمن يرمق بنعمة رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان الي ابن شيرزاد فى الاسحار والخلوات ويمضيان أيضا الي دار المستكفى بالله فلحق الناس منهما أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب (٢) وفساد الامر وزيادة الاضاقة

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكفى علي القاضي ابن ابي الشوارب ونفاه الى سر من رأى وقسم أعماله فولى الشرقية ابا طاهر محمد ابن احمد بن نصر وولى المدينة ابا السائب عتبة بن عبيد الله وكان الى ابى عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي القضاء بالجانب الشرقي فدخل عليه اللصوص في شهر ربيع الاخر فاخذوا امواله وقتلوه فولى ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : وانقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح بين سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حلبا وانطاكية فتزوج ابنة اخيه عبيد الله بن طغج وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوى . وورد الخبر بموت ابي عبدالله الكوفى بحلب وقد تقدمت اخباره .

فاحتيج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كبسات اللصوص فكان اذا ظفر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي الوالي .

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسط والفتح اللشكري أعمال المعاون بتكريت فاما الفتح اللشكري فانه خرج الي عمله بتكريت فلما وصل اليها (١٢١) امتد الي ناصر الدولة بالموصل فقبله وأكرمه وقلده تكريت من قبله وردّه اليها . وأما ينال كوشه فكاتب الامير أبا الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي الي الجبل فهزمه أصحاب أبي على ابن محتاج وانصرف الي بغداد

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابي الحسين احمد بن بويه الي بغداد ﴾

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين احمد بن بويه وان الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم الى المصلّي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم . ثم ورد الخبر بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري فزاد الاضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكفي بالله فكانت امارة ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استتارهما عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكفي بالله وعاد الى دار الخلافة

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي [1] صاحب الامير ابي الحسين

(١) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

احمد بن بويه ولقي ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر الى دار السلطان ولقي (١٢٢) المستكفي بالله فاظهر المستكفي بالله سروراً بموافاة الامير أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الاتراك لينحل أمرهم فيحصل الامر للامير احمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة نزل الامير ابو الحسن في معسكره بباب الشماسية ووصل الى المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا وأخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له باغلظ الايمان وادخل في اليمين الصيانة لابي احمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهرمانته ولابي عبد الله ابن ام موسى وللقاضي ابى السائب ولابي العباس احمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على المستكفي بالله وعلى الامير ابي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير ابو الحسين المستكفي بالله في أمر ابن شيرزاد واستاذنه في ان يستكتبه فآمنه واذن له في ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكني ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه أبو الحسن على بن بويه بعماد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه بركن الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم وانصرف بالخلع الي دار مونس (١) ونزل الديلم والجيل والاتراك دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسما عليهم الي اليوم (١٢٣)

﴿ ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدوله أبي الحسين ﴾

ظهر أبوجعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقي معز الدولة ودبر أمر الخراج وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن على بن مقلة وذلك لوصول رقعة له اليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد

(١) زاد فيه صاحب التكلة : ومن جملة دار مونس المدرسة النظامية :

{ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفى بالله }

كان السبب الظاهر أن علماً قهرمانته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة. من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفى بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول. ثم قبض المستكفي بالله على الشافعى رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفهدوست فلم يشفّعه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال: راسلني الخليفة فى ان القاه متنكراً فى خف وازار. فنتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة انحدر الامير معز الدولة الي دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمرى وأبو جعفر ابن شيرزاد (١٢٤) فوقفا في مرتبتهما ودخل الامير معز الدولة فقبل الارض على رسمه ثم قبل يد المستكفى بالله ووقف بين يديه يحدثه ثم جلس على كرسى وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدى فتقدّم نفسان من الديلم فمدّا أيديهما الى المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها اليهما فجذباه بها وطرحاه الى الارض ووضعا عمامته فى عنقه وجرّاهُ. فنهض حينئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبى موسى الهاشمي ودخلوا الى دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وتبادر الناس الى الباب من

الروشن فجرى أمر عظيم من الضغط والنهب [١]

وساق الديلمان المستكفي بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها ونهبت دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكفي بالله

وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله الى دار الخلافة في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ٣٣٤ وخوطب بالخلافة وبويع له ولقب المطيع لله [٢]

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور [١٢٦] ﴾

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة لنفقته كل يوم الفي درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب التكملة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكفي وجدنا كلامه كلام العيّارين وكان جلدا بعيد الغدر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمي بالبندق ويخرج الي البساتين للفرجة واللعب وكان لاينفق عليه من الجوارى غير السودان ولايعاشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى فمنعه الصيمري من ذلك وقال : اذا بايعته استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو العباس قوم متصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مرارا وتمرض تارة وتستقل اطوارا لان اصلها ثابت وبنيانها راسخ . فعدل معز الدولة عن تعويله . واما الزيدى العلوي فالراجح انه الناصر لدين الله ابو الحسن احمد بن يحيي الهادى ولكن يروى أنه توفى سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة .

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صقلبية واسمها مشغلة وتعرفت بالصفارة (وكان العباس بن الحسن اهداها الى المقتدر) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الشيء اليسير وتجعله في فمها وتصفر به صفيرا لم يسمع بمثله تحكى به كل طائر وغيره

وتم الصلح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدى وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها بالف الف وستمائة الف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن على بن عيسى

وطلب الامير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لانه تبين منه تبليحاً فى أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير أن يقرضه ما يمشى به أمره فدفع اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرد مكانها فتسلم أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله الى حضرته وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلفه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لججت أيها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد (١٢٦) في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى (١) أذن بأن نستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعا أمر كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وانما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخال وكان إمرأً متوسطا وما عده كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم فى الكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب التكملة . ولما استولي ابن شيرزاد على الامور قال أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء نفق عليك ؟ وما يصلح لكتابة الانشاء ولا لجباية الخراج وانما ولى ديوان النفقات وكتب لابن الخال تارة وقد سألت المستكفى عزله بعد ان سألت فيه فلم يجب . فقال : لما رأيت عظم لحيته الخ

وقال أيضا . وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصادر ابن شيرزاد ابن أبي موسي وعلم القهرمانة على أربعين الف دينار وقطع لسانهما وسلمهما الي المطيع لله . ولم يعارض أبا أحمد الشيرازى لقديم مودته

فقال : أنت صادق فاني ما سألتُ عنه أحداً فقال فيه الا مثل قولك ولما رأيت لحيتهُ قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه ان يكون كاتباً » ولكن وجدتهُ وقد تقلد الامارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيرا وللملوك الاطراف وتصوّره الرجال بصورةٍ من يصلح أن يرؤسهم ومَن يعقدون له على نفوسهم فاردت أن أحطهُ من هذه الحال الي ان اجعله كاتباً لغلام لي أو عاملا على بلد .

وكان الامير معز الدولة قد أخرج موسى فياذة وينال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب الي عكبرا مقدّمةً له الى الموصل فلما سارا أوقع ينال كوشه وابن البارد بموسى فياذة وأخذوا سواده ومضوا الى ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاهُ أبا الحسن زكرياء (١٢٧)

ونزل ناصر الدولة ومعه الاتراك بسر من رأى لاربع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وسار معزّ الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله الى عكبرا . وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فتلقى أبا العطّاف جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فانه وافى بغداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من العجم . ولقيه أهل بغداد ودبر الامور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة الى بغداد

فنزل في الجانب الغربي أسفل قطربل بعد ان أحرق خزائن نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سر من رأى الى الجانب الغربي من دجلة وساروا الى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم الي سر من رأي ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة الى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدرين الى بغداد وبازائهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والاتراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة (١٣٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة الى الشرقي ونزل في رقة الشماسية واجتمع مع الاتراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بعسكر معز الدولة في الماء فغرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليلتين خلتا من شوال وجّه ناصر الدولة بخمسين رجلا من الديلم الذين كانوا في جملته الى الجانب الغربي من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معزّ الدولة . فلما صاروا على الخندق الذى في قطيعة أم جعفر وخاطبوا الديلم الذين مع معزّ الدولة أوهموا جيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم ان جماعة من ديالمة معز الدولة يريدون ان يعبروا الخندق ليستأمنوا الى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقلبوا تراسهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهزم أصحاب ناصر الدولة باسره (١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتمكين

(١) لعله باسرهم

الشيرزادى وغيره من قوّاده محدقين بعسكر معزّ الدولة فى الجانب الغربى فلم يكن يقدر معز الدولة على تناول شيء من علف ولا غيره فلحق أهل الجانب الغربي غلاء شديد وعدموا[١٢٩] الاقوات : وكان أبو جعفر الصيمرى لتشاغله بامر الحرب قد رد خدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو وحاشيته وأسبابه الى أبي على الحسن بن هرون فحدثني أبو على هذا انه اشترى للامير معز الدولة كرّ دقيق حُوّاري بعشرين الف درهم[١] وتعذر على الناس العبور من الجانب الغربي الى الشرق ومن الشرق الى الغربي لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس فى السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها الى معسكرهم

وكان السعر في الجانب الشرقى خمسة أرطال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقى السعر في الجانب الغربى غالياً بعد ادراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل الى الجانب الغربى ولان اعرابهُ منتشرون في الجانب الغربي يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودراهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقي لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعامة والعيارين من بغداد[١٣٠] على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم[٢] وكان يركب كل يوم في الماء ومعه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قلت الكر سبعة عشر قنطارا بالدمشقي لان الكر أربع وثلاثون كارة والكارة خمسون رطلا بالدمشقي

(٢) قال صاحب التكملة : وكان ابن شيرزاد قد أثبت خلقا من العيارين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أتراك فينحدر ويُصعد في دجلة ويرمى من على الشطوط في الجانب الغربى من الديلم بالنشاب وكان ناصر الدولة عبر بصافي التوزوني فى الف رجل لـكبس معز الدولة وعسكره فلقيه اصفهدوست وأبو جعفر الصيمرى فهزماه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا يفي بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفهدوست وحملتهُ وهزيمته صافي وزمرته فصدقت بذلك .

وكان معز الدولة بنى زبازب فى قطيعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة الي دجلة وكان غلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكر أبو جعفر الصيمري ان الجهد كان قد بلغ منهم والحيل قد أعيتهم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الاهواز وحمل أثقاله وقال : ترون فى طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه والا جعلنا وجهنا الى الاهواز . وتهيأ ان عبر الصيمري واصفهدوست وبهما تسعة نفر في سحر يوم السبت انسلاخ ذي الحجة الى الجزيرة (١٣١) التى بازاء المخرّم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرقى فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتهيأ لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

﴿ ذكر الحيلة التى تم بها عبورهم ﴾

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في الصراة ثم حدرها في الليل على شاطىء دجلة الي موضع التمازين لانه أضيق موضع فى دجلة ووافق وزيره

مع ناصر الدولة (فظفر) بكافور خادم معز الدولة فشهره . فظفر معز الدولة بابي الحسن ابن شيرزاد فصلبه حيا فاطلق أبو جعفر الخادم فحط معز الدولة أخاه .

الصيمرى واصفهدوست وخواص ديلمه على العبور وأظهرهو انه يعبر من أعلى قطربُل . فمضى بالليـل في وقت موافقتهـم وضرب البوقات وسار بالمشاعل وحمـل بعض تلك المعابر بالاوهاق على الظهر . فلما رأى أعـداءُه ذلك سار أكثرهم بازائه لممانعته فتمكن الصـيمرى ومن معـه من العبور وكان الصـيمرى أول من بذل نفسـه لان أصحابه تهيبوا العبور فلما سـبقهم أنفوا وتبعوه . ثم عاد معز الدولة الى هـذا الموضع وقـد أحس القوم بحيلته فتـكاثروا بالزبازب ومنعوهم من العبور وغرّقوا ركوتين واشـتدت الحرب وانهزم الاتراك . وكان ينال كوشـه قد شرب ليلته ولما حصـل جماعة من الديلم في الجانب الشرقى زعقوا بينال كوشـه فانهزم ومضى أصحابه الى باب الشماسيّة . (١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجّه ابن شيرزاد الى ناصر الدولة : ان الصواب ان تركب لتلقى من عبر من الديلم . فرد عليه في الجواب : ان العادة قد جرت بانى اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان يركب هو فركب أبو جعـفر ورأى النـاس قد ركب بعضهم بعضا وليس يلوى أحـد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضا معهم وانهزم ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقى وأحرقوا ونهبوا وقُتل من العامة جماعة ومات منهم عددٌ كثير من رجال ونساء وصبيان لان الخوف حملهم على الهرب لما كانوا قدّموه الى الديلم من الشـتم والحرب في أيام الفتنة فخرجوا حفاة في الحر الشديد ومشوا الى عكبرا فماتوا في الطريق [1] وجرى معز الدولة على

(١) زاد صاحب التـكملة : قال بعضـهم : رأيت امرأة تقول : انا بنت ابن قرابة ومعى حلى وجواهر تزيد على الف دينار فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء ؟ فـا أجابها أحد وماتت وما فتشها أحد لشغل كل انسان بنفسه

عادته في الرأفة فامر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس وملك الجانبين . ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتي ركب الصيمري فقتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنه تسكين الجند وحزر ما انتهب فكان مقداره عشرة آلاف ألف دينار وذاك ان القصد وقع على مواضع التجار وحيث الاموال والامتعة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والاتراك (١٣٣) التوزونية مصعدين الى عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتمس الصلح (١) في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الاتراك فلما وقفوا على ذلك أرادوا الوثوب به وهمّوا به فوُقي اليه الخبر وصح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مغذّا مسرعا نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتابا نفذ الى الامير عماد الدوله والى سائر الاطراف .

﴿ حيلة غريبة ينبغي ان يحترز من مثلها ﴾

ومن أطرف الامور وأعجبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو بباب الشماسية بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحرّاس ولا الحجّاب ولا البوّابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من المخدّة ورجع ليطفىء السراج وشمعة كانت بقربه خارج الخيمة فيعود فيضع السكين في موضع حلقه . فاتفق ان انقلب ناصر الدولة في نومه ولما رجع

(١) قال صاحب التكملة : أنفذ بابي بكر ابن قرابة

الرجل لاطفاء الشمعة من جنب الى جنب فاطفأ الرجل الشمعة وعاد وقد أظلم الموضع فوضع سكّينه فى الموضع الذى كان فيه تقديره وما شكّ ان السكين يقع فى حلقه (١٣٤) فبقي السكين مغرزاً فى المخدة مكان رأس ناصر الدولة وعند الرجل انه قد قتله وخرج من المضرب ولم يعلم به أحدٌ وانتبه ناصر الدولة ورأى السكين وطلب الرجل فلم يُلحق وشاع الخبر فصار الناس الى ناصر الدولة للتهنئة بالسلامة . ومضى الرجل الى معز الدولة ليبشّره بانه قد قتله واستشرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة : مثل هذا لا يؤمن . وسلمه الى الصيمرى ليحبسه فقتله الصيمرى

وفى هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث جماعة ففتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر قطونا ويضرب بالماء ويُبسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقب ويؤكل ولحق الناس من ذلك في أحشائهم أورام ومات أكثرهم ومن بقى كان في صورة الموتى . وكان الرجل والمرأة والصبي يقف على ظهر الطريق وهو تالف ضرّاً فيصيح الجوع الجوع الى ان يسقط ويموت وكان الانسان اذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه والاّ استُلب منه ولكثرة الموتى وانه لم يكن يُلحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم . (١٣٥) وخرج الضعفاء الى البصرة خروجا مُفرطا متتابعين لا كل التمر فتلف أكثرهم فى الطريق ومن وصل منهم مات بعد مُديدة . ووجدت امرأة هاشمية قد سرقت صبياً فشوته وهو حيّ في تنور فأكلت بعضه وظفر بها وهي تأكل البعض الباقى فضُربت عنقها . وكانت الدُور والعقارات تُباع

برغفان ويأخذ الدلال بحق دلالته بعض ذلك الخبز . ووجدت امرأة أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدّة منهنّ . ولما زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحل السعر

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الامير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقلة ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال [١]

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالاسماع وخرقوا عليه بالسفه الكثير فضمن اطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطرّ الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها . فاقطع قوّاده وخواصّه واترا كَهُ ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مُغلقا وزالت أيدي العمّال عنه (١٣٦) وبقي اليسير منه من المحلول فضمّن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمّتها وجمعت الاعمال كلها في ديوان واحد .

﴿ ذكر ما انتهى اليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب ﴾
﴿ البلاد وفساد العساكر وسوء النظام ﴾

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : فقبض (يعني ابن مقلة) على أبي زكرياء السوسي والحسن بن هرون فشتمهما فقال الصيمري : لم يكن غرضك غير التشفي منهما . وأطلق معز الدولة أبا زكرياء السوسي ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين الف دينار وعزل ابن مقلة وانفرد الصيمري بالامر . وقال أيضا : وفي شعبان انبثق البحر بثق الخالص والنهروان .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادّة
الطريق انحرافا يسيراً ولا يظهر انحرافهُ في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعُد
عن السمت وكلّما ازداد امعانا في السير زاد بعدهُ عن الجادة وظهر خطأهُ
وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه
ونقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم سامح الوزراء المقطعين وقبلوا
منهم الرُّشى وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض
فحصلت الاقطاعات لهم بعبر متفاوتة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي
وزاد الارتفاع في بعضها بزيادة الغلات ونقص في بعضها بانحطاط الاسعار
(وذلك ان الوقت الذى أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مُفرط
الغلاء للقحط الذى ذكرناه) فتمسك الرابحون بما حصل في أيديهم من
اقطاعاتهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . وردّ الخاسرون اقطاعاتهم
فعُوّضوا عنها وتممت لهم نقائصها واتّسع الخرق حتى صار الرسم جاريا (٤٢٧)
بان يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون
ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح . وقُلّدت الاقطاعات المرتجعة
من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وترك الشروع في
عمارتها ثم صار المقطعون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اختلط بعضها
ببعض فيستقطعونها بالموجود بعد تناهيها في الاضمحلال والانحطاط . وكانت
الاصول تذوب على ممر السنين ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب
وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التناء ورقت احوالهم فمن بين هارب
جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع
ليأمن شرّه ويوافقه . فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين وامحى أثر الكتابة

والعمالة ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لايعرفونها ومتي تولى أحدهم شيئا منها كان فيه دخيلا متجلفا . واقتصر المقطعون على تدبير نواحيهم بغلمانهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجرى على أيديهم ولا يهتدون الى وجه تثمير ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الافساد واعتاض اصحابهم (١٣٨) مما يذهب من اموالهم بمصادراتهم وبالحيف على معامليهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار في عملها على ان يقدر مايحتاج اليه لها ويقسط على المقطعين تقسيطات يتقاعدون بها وبادائها وان ادوها وقعت الخيانة فيها فلم تصرف الى وجوهها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تعويلا على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة ورد ما تخرب على ايديهم من الاقطاعات وفوض تدبير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذه مسكنا وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخونة وصار غرض احدهم الترجية والتمشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احداهما اكابر القواد والجند والاخري اصحاب الدراريع والمتصرفون فاما القواد فانهم حرصوا على جمع الاموال وحيازة الارباح ودعوي المظالم والتماس الحطائط فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم وانفتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سومحوا استشرى طمعهم ولم يقفوا منه عند غاية . وأما أصحاب الدراريع (١٣٩) فكانو اهدى من الجندى الى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبذلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنون عليهم فتفردوا بنواحيهم وخلوا

بعامليهم فمن مستضعف يصادر ويغير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتفق على ذلك منه بالاموال ويتخذه الضامن عضدا فى شدائده وعند مناظرة سلطانه ويصطلم المستضعفين . فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لعامل مؤامرة اويسمع لاحد ظلامة او يقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمناء على ذكر أصول العقد وماصح منه وبقى من غير تفتيش عما عوملت به الرعية واجريت عليه احوالها من جور أو نصفة من غير اشراف على احتراس من الخراب اوخراب يعاد الى العمارة وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات ترفع على محض الظلم واضافات الى الارتفاع ليست بعبرة وحسبانات في النفقات لاحقيقة لشيء منها ومتي تكلم كاتب من الكتاب فى شيء من ذلك فكان ذاحال ضمن ونكب واجتيح وقتل وباعه السلطان بالتطفيف . (١٤٠) وان كان ذا فاقة وخلة ارضى باليسير فانقلب وصار عونا للخصم ولم يكن بذلك بملوم لان سلطانه لا يحميه اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فهذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت وسوق الدواوين أزيلت والازمة بطلت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها القول ويقتضى بعضها سياقة بعض فاقتصرنا على الاشارة دون التطويل

ثم ركب معز الدولة الهوي في أمور غلمانه فتوسع في اقطاعاتهم وزياداتهم واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتعذر عليه ان يذخر ذخيرة لنوائبه أو ان يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد ومواده تنقص حتي حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما وأدى ذلك على مر السنين الى الاختلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للاتراك من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط الاتراك وزيادة تقريبهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان اما الاتراك فبالطمع والضراوة (١٤١) وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشرأبوا الى الفتن وصارت هذه المعاملة لقاحاً لها وسببا لوقوع ماوقع فيها مما سنذكر جملا منه فى مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سملت علم القهرمانة وقطع بعد ذلك لسانها

وفيها ورد الخبر بان نوحاً صاحب خراسان قبض على اخوة ابي على ابن محتاج وقتل بعضهم

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمن لصاحب خراسان فتح الرى أمده صاحبه بابن مالك وجماعة من نظرائه وقواده وبالغ فى تقويته فسار في عِدة وعُدة وافرة . فكاتب ركن الدولة عماد الدولة وسأله المدد فامره ان يخلي لهم الطريق ويصير اليه واعلمه أن له تدبيراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل عماد الدولة صاحب خراسان سراً يعرفه قلة جدوى الرى عليه مع ما يلتزمه من النفقات على العساكر العظيمة وان الاستيحاش بينهما زائد مع ذلك ويسأله ان يزيل هذه الوحشة بان يضمنه اعمال الري عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار فى كل سنة على ان يسلفه مال سنة (١٤٢) وسأله انفاذ ثقة من ثقاته ليوقع العهد معه ويحمل المال على يده وأنه يعاونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به . فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور ثقاته وكلهم اضداد واعداء لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول مابذله عماد الدولة فاظهر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي على ابن محتاج وأهله واسبابه وقتل بعضهم . وانفذ الى عماد الدولة علي بن موسى المعروف بالزرار وكان من قواده واكابر حاشيته فسار علي الجمازات واستقبله عماد الدولة واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف وماطله فيما ورد له . وراسل ابا على ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على عهده محافظ على وده وحذره من غدر نوح وخوفه منه فحينئذ انفذ ابن محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذاك بالموصل احد قواد ناصر الدولة فعرفه انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه على ان يكون اليه خراسان ويمضى معه فيحاربان نوحا ويؤكد عليه ان يعجل اليه . فرغب ابراهيم بن احمد فى ذلك واستأذن ناصر الدولة (١٤٣) في المضى فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها تلدك الخليفة وخلع عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك . وكان هذا فى آخر أيام المستكفى بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تتابعت رسل أبي على ابن محتاج الي ابراهيم فعبر تكريت في سبعين غلاماً ومضى الى دقوقا ومنها الى طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الريّ على ناصر الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة خلعاً سلطانية ولواء عقده له عن الخليفة المطيع لله وحمل اليه ذلك مع خجخج المسمول فتطير الناس له من ذلك وقالوا أنه لا يتم أمره . ولما بلغ أبا على مسير

ابراهيم تلقاه الى همذان وعاهده على السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الري ثم نهضا جميعا الي خراسان وكتب كتابا الي ركن الدولة بانه سائر الي خراسان وأنه قد أفرج له عن الرى فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فبادر الى ذلك واضطرب خراسان على نوح بن نصر

﴿ ذكر ما تم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال ﴾

لما فرغ عماد الدولة من التضريب بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاشفة بالمداوة بينهما (١٤٤) بادر بردّ الزرار رسول صاحب خراسان على نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظهر ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسعيه عليه وانه لما كاشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الى عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الى عمه والى ابن محتاج واحتاج الى أن يسير ركن الدولة من ورائهم مُعاونا له عليهما فعل ذلك. وأقبل نوح الى نيسابور فى عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج فحارباهُ وكسراهُ وأسرا ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قوّاده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مفلولا على حال سيئة من الضعف والحيرة واتبعهُ ابراهيم وابن محتاج وخلا معهما ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين أسيرَين واستمرّت بنوح الهزيمة الى سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بُخارى واشتمل على الخزائن والذخائر وذلك في سنة ٣٣٥. وكتب ابن محتاج الى عماد الدولة يبشره بما جرى ويسئله تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالخلع والعقد له على خراسان .

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر ابراهيم وابن محتاج مع نوح بن ﴾
﴿ نصر وما اتفق من الاسباب التي أعادت نوحا ﴾
﴿ الى سريره ومقرّ عزه بخراسان [١٤٥] ﴾

كان سبب ذلك ان ابراهيم أصغى الى قوم حساد لابي علي ابن محتاج فكانوا يوهمونه ان أبا علي انما استعان به ليجتمع له جيوش خراسان فاذا فرغ من نوح عطف عليه فعامله بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان يحترز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سيمجور وابن قراتكين وخلع عليهما من غير رأي أبي على ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج وانقبض عن ابراهيم وتمكن ابن سيمجور وابن قراتكين من استمالة الجند وكاتبا نوحا وترددت الرسل بينهم سراً . ثم ان نوحا سار الى ثغور خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بُخارى فملكها وقهر عمّهُ وحصل أسيرا في يده فسمله وسمل جماعة من أهل بيته

﴿ ذكر الحيل التي تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره ﴾

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بُخاري وعسكرا بموضع يقال له ريكستان فبينما هم نزول اذ صاح صائح في الميدان الذي بحذاء دار الامارة ببُخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا زحف الى عمه ابراهيم وكان يدبّر أمره ابن أبي داود البلخي فاحتال على تقوية قلوب أصحابه بان أعلمهم ان مدداً كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون في [١٤٦] الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح . فلما كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مراكبهم وأمرهم بالإبعاد فاذا كان في الثلث الآخر من الليل ضربوا بطبولهم وبوقاتهم ودبادبهم

ودخلوا العسكر في صورة المدد ففعلوا ذلك فلم يزالوا الى الصبح يدخلون العسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع ابراهيم وانهزم قوم من أصحابه وانهزم أبو على ابن محتاج وظفر نوح بابراهيم وعامله بما ذكرت

وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد وتقلد مكانه ابنه أبو القاسم أنوجور وغلب كافور الخادم الاسود وكان خادم الاخشيد على الامر (١)

وفيها مات على بن عيسى عن تسعين سنة (٢)

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وكان ابن طغج جبانا شديد التيقظ في حروبه وكان جيشه يحتوى على أربعمائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة ألفا مملوك ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يثق بعد ذلك فيمضي الى خيم الفراشين فينام . قال التنوخي : لقب الراضي أبا بكر محمد بن طغج أمير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغاني وكل ملك فرغانة يدعا اخشيد كما تدعو الروم ملكها بقيصر والفرس بكسرى وشاهانشاه والمسلمون بامير المؤمنين وملك أشروسنة الافشين وملك خوارزم خوارزم شاه وملك الترك خاقان وملك جرجان صول وملك آذربيجان اصبهبذ وملك طبرستان يدعا سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الجبائي كان جده يدعا بحضرة المعتضد الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة .

والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو على شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣ كذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب التكملة : حكى هلال بن المحسن : قال أبو على بن محفوظ : لما ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى معه الى بغداد أراد أبو الحسن على بن عيسى الركوب اليه وقضاء حقه . واتفق أنه نزل الى داره ليجلس في سميرية وأبو جعفر محتاج في طياره وأنا وأخي وأبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؟ فقلنا : الوزير أبو الحسن على بن عيسى . فقال لابي الحسن بن طازاد : قدم بنا اليه فاسأله ان ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه وسلمنا عليه فقال له أبو الحسن طازاد : الى أين توجه سيدنا . قال : أشار متقيلنا بلقاء الامير الوارد وقضاء حقه فعملت على ذلك . فقال له :

﴿ ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ﴾

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثق من أمير المؤمنين المطيع لله فاستحلفه بيمين عظيمة الاّ يتغيّب عن معز الدولة ولا يبغيه

فينتقل سيدنا الى الطيار فانه أولى . فامتنع ولم يزل يراجعه وكان معه ابنه أبو نصر يخاطبه حتى فعل وسهل عليه ذلك ونزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لانعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشعر أباه فلم تدعه طاعة لابي جعفر . وسرنا مصعدين ووصلنا الى معسكر معز الدولة بباب الشماسية وقدم الطيار الى المشرعة فقال أبو جعفر لابي الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك حتى أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأوذنه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير أثرة وبه أنسة : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لابيه : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمتنا ذلك لاوفي للرجل حقه ؟ قال : منعني أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله ياسيدنا مافعلت مافعلته الا لان الاستاذ أمرني به ولم تمكنني المخالفة له . فقال . انا لله وانا اليه راجعون . ووجم وجما شديداً ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار اليّ والى أخي) فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستثبته وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظالمة .

ولما صعد الصيمري الي معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى علي بن عيسى فنهض له وأعظمه وقال له : قد جنا على أصحابنا في كتماني موضع الاستاذ حتى كان في تقصيري في قضاء حقه مالم أحتمله وأنا أعتذر اليه أدام الله عزه من ذاك . فقال : فعل الله بك يا سيدنا وصنع وأى تقصير جرى؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بترك اعلامه أمري ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العتب أيها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا العود في غداة عز لقيه ووفاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يباكر بابه . وانصرف أبو الحسن وعاد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : وافي علي بن عيسي للقاء بك وخدمتك فاعتذرت اليه عنك بانك على نبيذ ولم يجز أن يراك عليه . فقال : من علي بن عيسى ؟

سوءاً ولا يمالئ له عدواً فلما حلف أزال عنه التوكيل وعاد الى دار الخلافة واعتزل أبو علي الحسن بن هرون النظر في الامور لتحامل

فقال : وزير المقتدر بالله . فقال : ذاك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب ان ترده فاني كنت أقوم الى مجلس آخر والقاه فيه . فقال : ما كان يحسن ان يشم منك رائحة شراب وفي غد يبا كرك . فقال معز الدولة : وكيف أعامله وما الذى أقول له ؟ فقال له الصيمرى : تنزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتمطيه مخدة من مخادك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لقائك ومتشوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاه من الاجلال والاكرام أكثر مما وافقه عليه أبو جعفر وأعطاه مخدة من دسته فقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لمثله فقال له معز الدولة : كنا نسمع بك فيعظم عندنا أمرك و يكثر في نفوسنا ذكرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متطلعا والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فاشر عليّ بما عندك في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أيها الامير داعية الى الخير ومسهلة الى النجح وطريق العمارة ودرور المادة واستقامة أمر الجند والرعية والعدل . والذى أهلك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافه وأما يأتى الصلاح و يطرد الاغراض بالولاة الموفقين والاعوان المنصحين

وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (وذكر الاسناد عن النبي صلعم) انه قال : اذا أراد الله بوال خيراً قيض له وزير صدق ان غفل أذكره وان رفل أيقظه . وقد وفق الله الامير من هذا الاستاذ (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب الكفاية وبانت فيه شواهد الخالصة ويوشك ان يجرى الخير على يده ويتأتى المراد بحسن تدبيره . فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة وظن معز الدولة ان توقفه لامر كره ذكره فقال لابى سهل العارض : انظر ما يقول . ففسر له تفسيرا لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماءهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلعم ؟ فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى ما نظر فيه الامير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفساد وخراب السواد . فقال :

الصيمري [١٤٧] عليه ومصادرة كاتبه فردّ النظر في الاعمال الى أبي الحسين علي بن محمد بن مقلة من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له معز الدولة مكاتبته له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم ردّ في هذا الوقت اليه النظر في الامور [١] وقُلِّد كتبة الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة الا أقدم شيأ على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما أملك . قال : إذن يحسن الله عونك ويذلل لك على صعب ويسهل كل مراد بين يديك .

فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : أذكر حوائجك لاتقدم فيها بما أقضى به حقك . قال : الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى في ان يطيل بقاءك ويديم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان المعول فيها عليك . قال : لابد من ان تذكر شيئا . قال حراسة منازلي فانها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعجائز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما افعله . ونهض أبو الحسن وشيعه أبو جعفر ومشى الغلمان بين يديه .

وتوفى أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمة ناصر الدولة بيوم فضى أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمري اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته فصلى عليه وقال لوسى : اخرج من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمكنك منها . فقال لا أقبل منك . قال اذا لم تقبل أكرهتك . وتنابذا بالقول تنابذا تولدت منه فتنة واجتمع الى موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف معز الدولة ذاك فبادر لاطفاء النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذاك . قال بلى أيها الامير هذا وقته ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هيبتنا استمر ذلك وبعد تلافيه وازداد الامر من بعد وهناً والطمع استحكاما . فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه معه وقال له يكون نزولك في الدار التي أنزلها ولا تفتتح أمراً بما يقبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبي الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي علي بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل أبي جعفر مافعله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقلة يواصل معز الدولة في أيام الحصار بالهدايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقي حما داره بها واستخدمه . فاخذ في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلِّمت اليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيها ورد الخبر في المحرّم بدخول الامير ركن الدولة الريّ وانه ملك الجبل باسره .

وفيها ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرّر أمر الصلح على ان يكون في يد ناصر الدولة من حد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لايحمل عن الموصل وديار ربيعة شيأ مما كان يحمله من المال ويكون الذى يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيد محمد بن طغج عنهما وعلى ان يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وأنفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لالتماس الصلح (١٤٨) بغير موافقة منه للاتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الاتراك للايقاع به وأحس ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم . وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والاتراك وناصر الدولة في الجانب الشرقى واستجاره فاجاره (١) وسيّره في الجانب الغربى ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفا منفرداً نصف النهار فعرّفه ما الناس فيه من الخوف فتقدم بصرف ابن مقلة . واحترقت دور ابن شيرزاد ودور أسبابه وأخيه وصودر على مائة وثمانين الف درهم . وقلد معز الدولة الشرطة أباالعباس بن خاقان

(١) قال صاحب التكملة فاستجار بأم ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الاتراك في الجانب الشرقي . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبي بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كُتّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطالبونه واستأمن ينال كوشه ولؤلؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الاتراك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلّمه وعلى طازاذ وعلى أبي سعيد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبّث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والاتراك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فتبعوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معزّ الدولة جماعةً من قوّاده ثم أنفذ أصفهدوست بعدهم ثم أخرج الصيمرى . ولما سار (١٤٩) تكين الشيرزادى الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فتبعه تكين الى الحديثة فلما قرُب منه سار ناصر الدولة الى السن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى واصفهدوست فساروا باسرهم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الوقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتمطع أصحابه واستؤسر منهم وجوه القوّاد وجماعة من الاصاغر وقتل منهم خلقٌ بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استعلائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددهم في عسكر الصيمري ينقضون صفوف الديلم ولا يصدقون اللقاء فقال لهم الصيمري : اعتزلوا عنا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فان انهزم واحد منهم فاتبعوه وان ثبت فدعونا واياه ما دام ثابتاً

واعلموا انكم اذا قربتم منا واختلطتم بصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . ففعلوا واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الاتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم وثبوا في وجوه الاتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب ووضعوا الرماح بين ظهورهم ونكسوهم فأكثروا القتل والاسر . ثم استأسر (١٥٠) جنود تكين الشيرزادى فتقربوا به الى ناصر الدولة فسمله للوقت وانفذه الي قلعة من قلاعه وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فنزل الصيمري فى الجانب الشرقي بازاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في خيمته وخرج من عنده وعبر الي الموصل ولم يعد اليه بعدها .

فحكى عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلتُ مع أبي جعفر الصيمرى في خيمته ندمتُ وعلمتُ اني قد أخطأت وغررت فبادرت الي الانصراف . وحكى عن الصيمرى انه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركي القبض عليه وعلمت انى قد ضيعت الحزم وأخطأت بعد ان فاتنى الصواب

ثم تسلم أبو جعفر الصيمرى طازاذ ووهباً وجوهرا والف كر حنطة وشعيراً وانحدر بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم الى بغداد موكلا به (١) وصادره معزّ الدولة

(٢) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النصرانى الكاتب (وهو الكاتب الذى مدحه ابن نباتة) خمسين الف دينار على ان يطلقه فلم يفعل ويسلمه الى الصيمرى وكان الصيمرى مراعياً لطازاذ . وقال أيضاً وكتب أبو عبد الله ابن ثوابة (وترجمته فى ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) عن المطيع لله كتابا بالفتح الي عماد الدولة منه فلم يسفر العجاج الا عن قتيل مرسل أو غريق معجل أو جريح معطل أو أسير مكبل أو مستأمن محصل أو حتية ملأها الله بلا تعب أو غنيمة أفاءها الله بلا نصب . وفى هذه السنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة الف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفيها خرج لشكرورز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الأمير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدى

وقبض معز الدولة على ينال كوشة (١٥١) وكان استحجبه وعلى أرسلان كور وعلى فتح اللشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز

وفى يوم الاحد لثمان خلون من شوال ضرب الصيمري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطالبه بمال المصادرة وانحدر الصيمري الي الاهواز

وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكانت على البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم

الغربي وأضيف الى عمل القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويعرف بابن أم شيبان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة لزيارة قبر الحسين وعقدت القباب بباب الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على القراريطي واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصلي . وفي هذه السنة انقطعت قنطرة دمما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فملك دمشق واستأمن اليه يأنس المونسي ثم سار سيف الدولة ونزل الرملة . وجاء من مصر انوجور بن الاخشيد بالجيوش والقائم بامره كافور الخادم فرد سيف الدولة الى دمشق وسار وراءه المصريون فانهزم الى حلب فساروا خلفه فانهزم الي الرقة ثم تصالحوا علي ان يعود سيف الدولة الى ما كان بيده . قال المسبحي وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طغج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة باللجون فانكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة وتشتت وكانت أمه بدمشق فنزل المرج خائفا وأخرج حواصله وسار نحو حمص على طريق قارا وسار أخو الاخشيد وكافور الاخشيدي الى دمشق ثم سار الي حلب فى آخر السنة واستقر أمرهم . وكسرة المظفر لابن حمدان مذكورة فى كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٩٥

﴿ ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها سار المطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة وانتزعاها من يد أبي القاسم البريدى فسارا من واسط فى البرية على الطفوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه فى سلوك البريّة من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : قل لهم « ومن أنتم حتي تستأذنوا في سلوك البرية وكاني أنا أقصدُ البصرة انما قصدى بلدكم واليكم بعد فتحي اياها وستعرفون خبركم » وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذة في الماء فملك مسماران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه (١٥٢) جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدى الي هجر وملك معز الدولة البصرة فانحلت الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديداً . وقبض معز الدولة على جميع قوّاد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعه وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات الماء من الشذا آت والطيارات والزبازب واستدعى لؤلؤاً من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الاهواز ليلقى أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركير عن صحبة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه بابي جعفر الصيمرى فامتنع عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأنفذه الي القلعة برامهرمز

ولقى معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الارض بين يديه واجتهد به عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد اليه كل يوم بالغداة والعشية فيقف ولا يجلس . وقيل للامير معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله فى الافراج عن رامهرمز وعسكر مكرم فحكى أبو الحسن الملافروخى [١] انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقيا بها قال : فدعاني عماد الدولة وقال : بلغني انه حكى لاخى [١٥٣] انى وافيت الى هذا الموضع لارتجع منه بعض أعمال الاهواز . وضرب بيده الى لحيته وقال : سوءة لها ان أنا تواضعتُ لهذه الحال ! من لى حتى احتاج الى استكثار البلاد وادخار المال له ؟ هذا وأخوه ابناى وانما أريد الدنيا لهما والله ما وافيتُ الا لاعتقد ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بى حادثة فانى عليل كما ترى واسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له فى بلاده ولو أراد بعض فارس لوهبتهُ له ولقد أصبحتُ وأمسيتُ وما مناى على الله الا العافية وسلامتهما وابقاؤهما فانهما أخواي بالنسب وابناى بالتربية وصنيعتاي بالولايات ومن لى غيرهما فيقدر مايقدر . (قال) فعدتُ الى معزّ الدولة وحدّثته بالحديث فبكى وحضر فى آخر النهار عند عماد الدولة فاسرف فى الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرته حتى ضمه عماد الدولة الى نفسه .

ثم انصرف الى بغداد وامتدّ الى باب الشماسية وقدم الخليفة فنزل بالزبيدية . وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قرابة الى هناك بجواب الرسالة وتردد

(١) هو محمد بن أحمد كذا فى ارشاد الاريب ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح [١]

(١٥٤) ودخلت سنة سبع وثلاثين وثلثمائة

وفيها ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس [٢]

وفيها قبض معزّ الدولة على اصفهدوست وحمله الى قلعة رامهرمز [٣]

ذكر السبب فى ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشى وكان يكثر الدالة عليه ويقل الهيبة له وكان يزرى عليه فى كثير من أفعاله وبلغ معز الدولة عنه انه يراسل المطيع لله فى الايقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في صحبته أبو السائب عقبة بن عبيد الله الهمذانى فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيبان ولم يرتزق أبو السائب واستخلف أبا بشر عمر بن أكثم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا وفي ذي القعدة ضمن روزبهان الديلمي السواد والضرائب بعشرة آلاف الف درهم واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيمرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا الحسن طازاذ . وفي ذى الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذى كان رهينة عنده وأنفذه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها اغارت الروم لعنهم الله على أطراف الشام فسبوا واسروا فساق وراءهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة واسترد ما اخذوا ثم اخذ حصن برزبة من الاكراد بعد ان نازلهم مدة ثم افتتحه فى سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفهدوست لانه اشار على معز الدولة بمبايعة ابى عبد الله ابن الداعي فقال الصيمرى انه قصد ان يوليه الامارة اذا صار الامر اليه فكان ذلك سبباً لاعتقاله برامهرمز ومات بقلعتها معتقلا .

فلما كثر عليه ذلك قبض عليه

وفيها ورد الخبر بان ركن الدولة هزم العلوى الذي كان بجرجان وطبرستان

وفيها دخل أبو القاسم البريدى فى الامان الى بغداد ولقى معز الدولة وقبل الارض بين يديه وأنزله وأقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً [١]

وفيها ورد الخبر بمسير السلار وهو المرزبان بن محمد الى الرى طامعاً فيها وفى دفع ركن الدولة عنها فحاربه ركن الدولة وأسره مع ثلاثة عشر قائداً من قواده وحمله الى القلعة بسميرم وحبسه فيها وعاد الامير ركن الدولة الى الرى وقد شرحنا أمره على الاستقصاء فيما بعد

وفيها خرج الامير معز الدولة [١٥٥] الى الموصل ودخلها وجرت مراسلات بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقر آخرها على ان يحمل عن الموصل وديار ربيعة وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف الف درهم ويقيم الخطبة لعماد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معزالدولة وأخذ الفضل والحسين ابنى ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد . ولم يكن الصيمري أخذ خط ناصر الدولة بهذه المفارقة وذلك لان ابن قراتكين غلام صاحب خراسان قصد الريّ واضطرب معز الدولة فبادر الى بغداد لينفذ منها جيشاً الى أخيه فعسف أبا جعفر عسفاً شديداً فى فصل القصّة . فقال الصيمرى تسكينا له : ارحل اذا شئت فقد أخذتُ الخط بثمانية آلاف الف درهم . ونما بعض الخبر الى ناصر الدولة فامتنع على أبى جعفر من بذل الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير معز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . وأعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخاباذ من بادوريا وانزله فى الدار المعروفة بالموزة بشارعة الناج محافظاً عليه

فلا يقبله العثرة وانحدر الى بغداد

فقال أبو محمد المهلبي وكان يخاف الصيمري : قلت لابي جعفر : بأى شيء تحتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تحضره اياه ؟ فقال : أطالب ابن قرابة حتى يكتب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتي ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خليفته وما كتب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكتب ابن قرابة خطه وهذا مما لا يجوز ان تكرهه عليه ؟ قال : نزور(١٥٦) على خط ابن قرابة . (وكان ببغداد من يزور على الخطوط عجباً) قلت : فاذا صح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكتب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن نزور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضماناً بثمانية آلاف ألف درهم وخرج الصيمري لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرته التي ماعاد بعدها . ووافى ابن قرابة وطالبته بالمال فابى وأريته الخط فجحده وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطي ولكن ما كتبته . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيري ممن تشتبه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا با محمد ان ناصر الدولة امتنع من كتب الخط على ابي جعفر وان أبا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بي البلوى وليس هذا حقي عليك . فقلت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والامير ينصر وزيره ولا ينصرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لئلا يبطل ماله ويصير محصوله مخاصمة وزيره ولكن الرأى ان تقول للامير : « لما حدث أمر ابن قراتكين وخرج الجيش الى الري طمع ناصر الدولة وجحد الضمان والوجه مقاربته حتى يصح من جهته بعض المال والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار(١٥٧) الكلام لسنة مستأنفة

ويعجل شيئاً يؤخذ منه فان هـذه السنة أصلح » فأعاد ذلك على الامير معز الدولة ودعانى على خلوة وقال لى : أى شىء ترى ؟ فقلت : الوجه ان نقارب ونأخذ ومتى تمكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفى تمام الثمانية آلاف الالف الدرهم . قال : فافعـل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم لسنة واستوفيناها . وكان الصيمرى لما انصرف من عند ناصر الدولة بالصلح صار ناصر الدولة الى الموصل وعسف الناس وطالبهم بمال التعجيل .

وفى هذه السنة خرج سبكتكين الحاجب ومعه أكثر الجيش والقرامطة الى الرى مددا لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بروزبهان وعليكان وجماعة من الديلم ولحقوا به

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فيه أن جيش خراسان تحرك فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبـد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشا من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنه صائر اليـه فى الجيش الذى معه فاستمدّ له ركن الدولة واعـدّ أصناف الكرامات له . وكاتب أخاه أبا الحسين أحمـد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فحمل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المـال والدواب[١٥٨] والثياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن حضره ووطئ بساطه ورده الى الدامغان فوصل اليه شىء لا عهد له بمثله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الري بالعساكر وقيل له : فرّق من الاموال ماترى على من ترى . ثم استقر الرأى بين الامراء الثلاثة أعنى عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليـد ركن الدولة خراسان والعقد له عليها ليكون

بحلوبته اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة المرزبان بن محمد بن مسافر وهو السلار وانه عازم على قصد الرى لمحاربة ركن الدولة مغتنما ورود جيش خراسان وانه سيشغله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب للسير الى ركن الدولة مدداً له بعد أن عظم أمره وفخم شأنه وضم اليه جماهير عسكره وأكابر قواده وفيهم بورّيش وروزبهان ومن يجري مجراهما وقطعة وافرة من الاتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المعروفين فيهم ابراهيم بن المطوّق المعروف بابن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح الكلابى وطبقتهم وأطلق الاموال وأزاح العلل فى الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحمل الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب[١٥٩] السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل العسكر الى ظاهر الدينور خلع بورريش الطاعة وأنف من متابعة سبكتكين والسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين فى العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه فى غداة غد وهو فيها غافل جالس فى خيمة له فغافصوه ورماه بزوبين اثبته فى كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحا من تحت ذيل خيمته وركب جنيبة النوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلمانه وسائر الاتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه ونهب رحل حاجب السلطان الذى معه الخلع فذهبت فى النهب . وتحيز الديلم كلهم مع بورريش الاّ روزبهان ونفراً قليلا معه فانهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورريش ومرّ بورريش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عذرهم ولم يسئ الى أحد منهم . وأمر العرب بطلب بورريش فلم يكن بأسرع من

أن يوافى به ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدى سبكتكين فخاطبه بما يجرى مجرى التشفى واسمعه القبيح ثم أمر بتقييده ورحل الى همذان واستأنف تجديد الخلع التى انتهبت حتى (١٦٠) اقام العوض عنها ثم تمم المسير الى حضرة ركن الدولة فوجده نازلا بباب الرى فسلم بورريش اليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرئ عهده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمناجزة المرزبان فانه كان أهم واولى بالابتداء فلما واقعه ظفر به وأخذ أسيراً كما حكينا فى أخباره

﴿ ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها انحدر أبو جعفر الصيمرى لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجامدة (١) وجنى جناية فهرب الى البطيحة من سلطان الناحية فاقام بين القصب والاجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادي السمك فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حمى جانبه من السلطان فلما اشفق من أن يقصد استأمن الى البريدى فقلده أبو القاسم الجامدة للحماية والاهواز التى فى البطائح فما زال يجمع الرجال الى أن كثر أصحابه وقوى فغلب على تلك النواحى .

وفيها ورد الخبر بان ابن قراتكين غلام صاحب خراسان (١٦١) انصرف الى نيسابور وتفرقت جموعه عنه وبقى وشمكير بطبرستان فسار اليه ركن

(١) زاد صاحب كتاب العيون . وهى قرية من أسافل واسط يزعم أنه عربى من بنى سليم ولكنه سوادى المنشأ واللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريده فلما قرب منه انصرف بغير حرب وعارضه على بن سرخاب أحد قواد ركن الدولة فاوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمكير الى ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل

وفيها أوقع الصيمرى بعمران بن شاهين دفعة بعد دفعة واستأسر أهله وعياله وهرب عمران بن شاهين واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة على بن بويه فاضطرب الجيش هنالك وكتب معز الدولة الى الصيمرى بالمبادرة الى شيراز لاصلاح الامور بها فترك الصيمرى ما كان فيه من طلب عمران ابن شاهين وبادر الى شيراز . ووافى ركن الدولة الى شيراز واجتمعا على تقرير الامور وضبط البلد واصلاح أمر الجيش فلما استقام الامر وصلح البلد سلماه الى الامير أبى شجاع فنّاخسره بن ركن الدولة وانصرفا عنه

وكانت علة عماد الدولة التى مات فيها قرحة فى كُلاه طالت به ونهكت جسمه (١) ولما مات نفذت كتُب الخليفة بانه قد نصب أخاهُ الامير ركن الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتغيرت نيّة الامير معز الدولة على أبى الحسن المافروخى وقبض على أبى محمد على بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم على أبى الحسن بعده لما عجزا عن (١٦٢) ضمان البصرة والاسافل فان أمرها كان مُشتركا وكتب الى أبى جعفر الصيمرى وهو بشيراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل العباس بن فسانجس فانفذه وقلده الدواوين التى كانت الى أبى الحسن المافروخى ويسألها منه قبل ان يستكتب الامير معز الدولة أبا محمد المُهلّبي باسبوع ثم حاول ان يُدخل يده فى ديوان السواد ليجرى فى ديوانه فمنعهُ أبو محمد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

المهلبي واحتجّ عليه بان هـذا الديوان كان يجرى في ديوان الصيمرى ثم حاول أن يُدخل يده في ديوان النفقات وكان يتولاّه أبو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي وفي ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشت وفي حساب الخزانة الذي يتولاّه أبو على الحسن بن ابراهيم الشيرازى [1] فمنعه معز الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة به [2] وسكونه اليها

وفيها ورد الخبر بان كوركير وينال كوشه قتلا الموكلين بقلعة رامهرمز وكسرا قيودهما وخرج ينال كوشه وهرب فلقيه الاكراد ومانعهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح اللشكرى ولا ارسلان كور ولا اصفهدوست وكتب معز الدولة الى أبي جعفر الصيمرى وهو بشيراز ان يبادر الى القلعة وحفظها فبادر وكان اصفهدوست عليلا من قولنج فمات بها . ولما بعُد الصيمرى عن عمران [163] وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق في أمره شئ تنفس وخرج من استتاره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه من رجاله وقوى أمره .

وفي هذه السنة أحس على بن بويه عماد الدولة بالموت لمخالفة العلل اياه وخاف لبُعد أخيه عنه وكثرة من في جملته من كبار الديلم ان يطمع في مملكته بعده فاستدعى فناخسره بن ركن الدولة من أبيه ليرشّحه للامر بعده ويأنس به القوّاد والجيش ففعل ذلك وسار فناخسره بن ركن الدولة الى شيراز وضم عسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاهُ عماد الدولة في جمع وأجلسه في داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف بحضرته لئلا يمتنع أحدٌ فكان يوما عظيما مشهوداً ثم عهد اليه بعد ذلك ومات

(١) هو « النصراني » في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢ (٢) ليس في الاصل

﴿ ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته ﴾

كان عماد الدولة يتهم جماعةً من أكابر قوّاده ويعرفهم بطلب الرياسة لانفسهم وكانوا يرون أنفسهم أكرم منهُ منصبا وأحق بالولاية فتطّف عسكره منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس فخوطب فيه وتشفّع فيه (١٦٤) وجوه حاشيته وثقات أصحابه فقال لهم : انى أحدّثكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان أطلقهُ فعلت . ثم ابتدأ يُحدّثهم انه كان بخراسان في خدمة نصر بن أحمد قال : ونحن يومئذ فى شرذمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام فى كل أسبوع مرّتين فجلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر آلاف غلام سوى سائر العسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا (١) واشتمل عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : أريد أن أصنع اليوم ما أذكرُ به آخر الدهر . قلتُ : وما هو ؟ قال : ادنو كاني متظلم أو طالب حاجةٍ فاقبّل الارض ولا أزال أدنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (يعنى نصر ابن أحمد) فتكتُ به ثم لا أبالى ان أقتل بعده وقد أنفت من القيام بين يدي صبي (وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته) فعلمت انه ان فعل لم يُقتل وحده حتي نُقتل كلنا معه معاشر الديلم فأخذت بيده وقلت له : بيني وبينك حديثٌ . وجمعت عليه الديلم وحدثتهم بما عمَّ به وما يجيء علينا كلنا ان تم له مايُريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشنى . أفتريدون من بعد ان سمعتم رأيه فى نصر بن أحمد ان أمكّنه من الوقوف بين يدى هذا الصبي ؟ (١٦٥) فامسكوا عنه وقالوا : الامير أعلم بجيشه . ولم

(١) المستعمل عند الفرس دشنه أي خنجر

يزل محبوسا حتى توفى فى محبسه .

وفى هذه السنة قُلّد أبو السائب عُتبة بن عبيد الله قضا القضاة (١)

﴿ ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان الى الرى وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كله .

وفيها مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري فى حُمى حادّة بالبزبوني من الجامدة لما عاد لمحاربة عمران بن شاهين (٢)

وفيها استكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلّبى ولما ورد

---

(١) وله قصة مع الصاحب ابن عباد : ارشاد الاريب ٢ : ٣٣٨

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمرى يحسد المهلبي على تخصيصه وأدبه فكان اذا جلس معه على الطعام رأى كلامه وفصاحته فيأمر الفراشين بعينه فيطرحون المرقة على ثيابه فكان المهلبي منغصا به وكان يستصحب مع غلامه دائما ثيابا يغير بها ماعليه . وقال أيضا : ولما خرج الصيمري فى هذا الوجه استخلف أبا محمد المهلبي فلما علم نفاقه على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تيقن انه يهلك على يد الصيمرى فانفذ الى معسكره طيورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فاتاه البراج بطير قد أقبل بالماء بكتاب لم يقف عليه فقال للصابي (يعني أبا اسحق ابراهيم بن هلال الذي ولى ديوان الرسائل بعد أبي عبد الله بن نوابة فى سنة ٣٤٩ كذا فى ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) . تلطف فى قراءته . فقرأه بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمرى » فدخل الى معز الدولة وعزاه وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال التنوخى . من أعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابي على الحسن بن محمد الطبري صادره علي خمسمائة الف دينار فلما مات الصيمرى طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما قدم منه أول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجها فاخذها منه وقلد المهلبي . وليراجع أيضا ارشاد الاريب ٣ : ١٨١

الخبر بموت أبي جعفر الصيمرى أرجف الجماعة بان الامير معز الدولة يستكتبه فنهم أبو على الطبرى ومنهم أبو على الحسن بن هرون ومنهم أبو محمد المهلبي واجتمع أبو محمد المهلبي وأبو على الحسن بن هرون فتحالفا على ان من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسمى أبو على الطبرى وكان رجلا أميا في أول أمره نخّاساً يبيع الرقيق فخطب كتبة الامير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمرى وبذل مالا فاطمعه معز الدولة فيما قدّر وتقدّم اليه بحمل المال فحمل الى الخزانة مالا فلما صح المال عدل عنه (١٦٦) الى أبي محمد المهلبي فقلده كتابته وتدبير أعمال الخراج وجباية الاموال وخلع عليه لذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو محمد المهلبي ابنته من أبي على الحسن بن محمد الانبارى الكاتب واستخلفه بالحضرة وانحدر الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في اختيار معز الدولة أبا محمد المهلبي ﴾
﴿ وايثاره اياه على وجوه الكتاب من الحضرة ﴾
﴿ وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجده جامعا لادوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان وانه خاف الصيمرى على الوزارة فعرف غوامض الامور وأسرار المملكة وكان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحا مهيبا متوصلا الى اثارة الاموال عارفاً برسوم الوزارة القديمة سخيا شجاعا أديبا يفصح بالفارسية فتلافى أكثر ما دارس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وآثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره . وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ونوّه بهم وزغّب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها . ثم خرج الي الاهواز فجمع أموالا (١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمناء فألزمهم أموالها فاتصلت حموله وظهر فضله على من تقدّمه . (١) ثم انتقل من الاهواز الى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإثارته للاموال منها أكثر كما سنذكر بعضه

وفى هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عدداً فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذى أراد الخروج منه فتلف كل من كان معه من المسلمين أسراً وقتلا وارتجع السبي الذى كان سباه وأخذ سواده وكُراعه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلها

(١) زاد صاحب التكملة : وكان المهلبي ثقيل البدن ومشى في صحون الخليفة وقد أثقله ماعليه من اللباس فسقط بين يدى المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقيم . وظن من معه انه يحصر بما جرى فتكلم وأحسن وأطال الشكر والقول وتمثل بابيات فتعجب الناس من بديهته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هى الدار المعروفة بالمرشد ونزلها السلطان (طغرلبك) ركن الدولة فيسنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد ونقضها موفق خادم القائم بامر الله رضوان الله عليه فى سنة ٤٥٥ وبنى بآ لتها حجرة للطيور بباب النوبي وعمرها سعد الدولة الكوهرائيني فى سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونقد ماكان بقى من النقض في الدور الشاطبية بباب الطاق وما امتدت يده من قصر بنى المأمون رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كربغا في سنة ٤٩٣ ثم خلت بعد خروجه . وليراجع أيضا ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢

وأفلت في عدد يسير [١]

وفيها خرج الحاجب سبكتكين الى همذان مدداً لركن الدولة فلما دخل قرميسين أسر من كان بها من أصحاب ابن قراتكين .

وفيها رد القرامطة الحجر الاسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنّابي من البيت الحرام وكان بحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فسار في ربيع الاول ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبوحصين فسار الى قيسارية ثم الى الفندق ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسبي وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى خرشنة يقتل ويسبي ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فلجأ الى الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى سيف الدولة فهزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقته وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون ما لا يوصف وبقوا في الغزو أشهرا . ثم ان الطرسوسيين قفلوا ورجع العربان ورجع سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحالوا بينه وبين المقدمة فقطعوا الشجر وسدوا به الطرق ودهدهوا الصخور في المضايق على الناس والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة وكان معه أربعمائة أسير من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكثيراً من دوابه وحرق الثقل وقاتل قتال الموت ونجا في نفر يسير واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسر أمراء وقضاة ووصل سيف الدولة الى حلب ولم يكد . ثم مالت الروم فعاثوا وسبوا وتزلزل الناس ثم لطف الله تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبعث يتهدده ثم جهز جيشا فدخلوا بلد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقا وغزا أهل طرسوس أيضا في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم وخرب الضياع وانصرف سالما . وأما الروم فانهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في ذلك نصراني على ان ينقب لهم نقبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها ففعل ذلك وكان نقبا واسعا فوصل الى البلد من تحت السور ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني وأحكموا مانقبه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرقي قسطنطينية .

يبذل في رده خمسين الف دينار فلم يُردّ وقيل : انا أخذناه بامر واذا ورد الامر برده رددناه . فلما كان في ذي القعدة (١٦٨) من هذه السنة كتب اخوة أبي طاهر كتابا يذكرون فيه انهم ردوا الحجر بامر ممن أخذوه بامره ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذى جاء به أبو محمد ابن سنبر ثم سار به الى مكة ورده الى موضعه (١)

﴿ ذكر الآثار الجليلة التي أثرها الوزير أبو محمد المهلبي ﴾
﴿ حتى عمرت الخراب وتوفر دخلها واتصل ﴾
﴿ الحمل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان معز الدولة لما فتح البصرة ودخلها تظلّم اليه الرعية من سوء معاملات البريديين فعرف أكثرها وذلك ان أبا يوسف البريدى خاصّة تمرّد بالنظر في أعمال البصرة وجباية أموالها فرسم لابى الحسن ابن أسد الكاتب أن يُطالب ملاّك الارضين التي يؤخذ منها حقُّ العشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الاسلام : قال المسبحي : وافي سنبر بن الحسن الى مكة ومعه الحجر الاسود وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت عليه بعد انقلاعه وأحضر له صانعا معه جص يشده به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال لما رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيه أيضا في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حجبة الكعبة الحجر الذى نصبه سنبر صاحب الجنابي وجعلوه في الكعبة وأحبوا أن يجعلوا له طوقا من فضة فيشد به كما كان قديما لما عمله عبد الله بن الزبير وأخذ في اصلاحه صانعان حاذقان فاحكماه . قال أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي . فدخلت الكعبة فيمن دخلها فتأملت الحجر فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وكان مقدار طوله فيما حزرت مقدار عظم الذراع . قال . ومبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف .

بصدقات أراضى العرب) بالبصرة عن كل جريب من الحنطة والشعير عشرين درهما وانما فعل ذلك بسبب زيادة الاسعار بالبصرة وان الكُر بالمعدّل من الحنطة بلغ بها مائتى دينار ولم يُستعمل ذلك الا على تدريج . فلما قتل أبو عبد الله البريدى أخاهُ أبا يوسف أقرّ ابن أسد على العمل وأجرى الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص فى كل سنة لاجل جور البريديين وعمّالهم وهم يُطالبون بالعبرة فنقص مال العبرة (١٦٩) عن جربان العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب فى السنة على ما كان يلزمه فى السنة التى قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا ان يزرعوا تحت النخل حنطة وشعيرا فلما فعلوا الزموا عن كل جريب أربعين درهما فقصروا فى العمارة فجعل ما كان يرتفع عبرة عليهم واستوفى من ملاّك أرض العشر فتهارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد المهلبي وزارة معز الدولة ودخل البصرة وتظلّم اليه أهل البصرة من العبر التى جُعلت عليهم فيأرضي الحنطة والشعير فوعدهم بكل ماأنسوا به . ثم قرر أمرهم على ان يردّوا الى رسمهم القديم فى أخذ العُشر حباً بعينه من غير تربيع ولا تسعير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فاشار على أرباب العُشر ان يبتاعوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف بثمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا فيسهُل عليه ما ينحط من الارتفاع مع ما يتعجّل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يثمّره العدل وموقعهُ من قلوب الناس مع الرجاء فى المستقبل لزيادة الارتفاع . فاستجابوا وتقرر الامر بينهم على ألفى الف درهم (١٧٠) ومائتى الف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثم حط من الجميع عن الضعفى مائتى الف درهم وكتب الى معز الدولة بان فى

ذلك حظا عاجلا وصلاحا ووفورا فى ارتفاع الناحية فى المستقبل فحسن موقع فعله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجّلوا بالابتياع ونسب المبتاع الى فضل ما بين المعاملتين فى العبر فعمر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن الراكب مايعدل ألفى الف درهم فكان هذا من الآثار الجميلة لابى محمد المهلبي .

وفى هذه السنة ورد الخبر بشغب جرى فى عسكر الحاجب سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الاتراك بعد ان أوقع بهم ركن الدولة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا فى استصلاحهم لانهم كانوا بازاء حرب فلما تعذر قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء معنا فى عسكرنا وهم أشد علينا من أعدائنا الذين بازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فاما العرب فصاروا الى معزّ الدولة وأما الاتراك فمضوا الى الموصل ولما سار ركن الدولة الى همذان ارتحل ابن قراتكين من الري (١٧١) الى أصبهان

وفى هذه السنة واقع أبو محمد المهلبي عمران بن شاهين ومع أبي محمد المهلبي روزبهان فكانت على المهلبي وروزبهان واستؤسر أكثر قوّادهما وقتل أبو الفتح ابن أبي طاهر بعد ان استظهر المهلبي واستعلى

﴿ ذكر السبب فى ذلك وفى هزيمة المهلبي بعد ﴾
﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان عول على روزبهان في محاربة

عمران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فطاوله عمران وتحصن في مكامنه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر عليه عمران وهزمه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها . وتضاعف طمعه في السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا بهم فكان بعد ذلك اذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقوّاد والامراء من الديلم والاتراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرقة فان تأبى عليهم احد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المهين وكان الجند لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة(١٧٢) والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الا على الظهر . فشغل ذلك قلب معز الدولة وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه بما يجرى عليهم من الهوان فى اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبي بالاصعاد الى واسط لتلافى الحادثة والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكرا جرارا فيه ابن أبي طاهر ووجوه قواده وغلمانه وحمل اليه سلاحا كثيرا واطلق يده فى انفاق الاموال فزحف الى عمران وسد عليه مذاهبه وانتهى الى مضيق فى البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فاحب روزبهان ان يلحق المهلبي مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاقتحام والهجوم وتوثق المهلبي واراد سد تلك المضايق فاخذ روزبهان فى التضريب عليه وعارضه فى كل مادبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويجنح الى المطاولة ليحتسب بالاموال فى النفقات ولم يزل بذلك وشبهه الى أن وردت كتب معز الدولة بالاستبطاء فترك المهلبي الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل

بجميع عسكره [١٧٣] هاجماً على عمران وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة . وقد كمّن عمران كمناءه فى تلك المترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على العساكر وهم متزاحمون متضايقون فى طريق الماء لايعرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف روزبهان موفورا ونجا الوزير المهلبي سباحة وحصل القواد والوجوه فى الاسر . فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فقوى واستفحل امره. واجيب الى كل ما اقترح

وقدكناذكرنا ورود الخبر بمسير السلار المرزبان الى الرى ووعدنا هنالك باستقصاء خبره والان حين نبدأ بذلك

﴿ ذكر الاسباب التى بعثت السلار المرزبان على قصد الرى ﴾
﴿ وما انعكس عليه من تدابيره حتي أسر ﴾
(وحبس فى القلعة بسميرم)

كان المرزبان انفذ رسولا الى معز الدولة فى أمور حمله اياها فورد مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له الى أن عاد فأدي اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال . فحكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض وأخذ [١٧٤] فى جمع الرجال والاستعداد ورأى أن يبتدئ بالري فراسل ناصر الدولة سراً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بان يبتدئ بقصد بغداد فخالفه وأجابه بجميل واعلمه أنه يرى الصواب فى الابتداء بالرى فان تم له ما يريد طلب بعد ذلك بغداد وغيرها . وكان استأمن اليه من قواد الرى على بن جوانقوله فعرفه نية القواد الذين

وراءه بالري وانهم على المصير اليه فزاده ذلك طمعا واستدعي اباه محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسوذان فلما وافاه أبوه تلقاه وقبل الارض بين يديه واجلسه فى صدر الدست ووقف بحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة فجلس وامتنع وهسوذان من الجلوس فلما جنّ الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه فى قصد الرى فثأ عزمه وعرفه أحوالا توجب الامتناع من قصدها فأبي عليه وقال : قد وردت عليّ كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز اليّ . فلما كان وقت الوداع بكى ابوه وقال : يا مرزبان اين اطلبك بعد يومى هذا . فقال مجيبا له : اما فى دار الامارة بالرى واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة (١٧٥) حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة ومعز الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب اليه على سبيل المكر والخديعة يعظمه ويستخذى له ويسئله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن ابهر وزنجان وقزوين . ولم تزل الرسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب فى الفى رجل من جيش عماد الدوله وورد سبكتكين الحاجب فى الفى رجل من جيش معز الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمناً من عسكر خراسان ومحمد بن ماكان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تناهى استظهاره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم واتهمهم بمكاتبة المرزبان وسار الى قزوين فى جميع هذه الجيوش . فعلم المرزبان أنه لاطاقة له به ولكنه أنف من الرجوع فعمل على محاربته وكان مع المرزبان يومئذ خمسة الآف من الديلم والجيل والاكراد فحمات ميمنة ركن الدولة وميسرته على ميمنة

المرزبان وميسرته فانهزمتا جميعا وثبت هو فى القلب الى أن قتـل بين يديه حموه بلى وونداسفنجان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف ببُلَّط ومحمد ابن ابراهيم وعدة من أكابر قواده وأحاطت الرجال به فاسر وحمله (١٧٦) ركن الدولة الى الرى ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قلعة سميرم

فلما انفصل من الرى مع جماعة من قواد ركن الدولة وخواصه وكانوا مضمومين الى الاستاذ الرئيس حقا أعنى أبا الفضـل ابن العميد رحمـه الله وكان[1] هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل فى القلعة

﴿ذكر تدبير تم على المرزبان حتى حصل باصبهان بعد ان كان واطأ الديلم﴾
﴿الذين أخرجوا معه على الفتك بابى الفضل ابن العميد والهرب به﴾

حدثني الاستاذ الرئيس أبو الفضل قال : لما كنا بين الرى وأصبهان تحقق عندى مراسلة الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده ويفتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع . فلما خفت فوت التدبير سايرته وهو فى عمارية وحادثته وهو ينتظر في ذلك اليوم أن يتم له ما يريد وجملت أقاربه والبنُ له فاظهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطمعته فى نفسى (وكان لايطمع فى ذلك من قبل) أمال الىَّ رأسـه وقال : أنت مقبل فان كنت صادقاً فابدأ بحل قيودى وعلىَّ لك كيت وكيت . وضمن الضمانات التى تبذل فى مثل ذلك الوقت (قال) فاوهمته انى لا أعرف شيئا من مواطأة الديلم له وقلت : اخشى الاَّ يساعدني من معى على ذلك . فقال : غفر الله لك انت لا تعرف (١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك قيودى والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شئت . فقلت : يكفيني ان

---

(١) لعله « كان »

اتى بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصحك وتابعك حتى يتم لك ماتريده .
وحدثته باشياء أنكرتها من صاحبي وحقود في قلبي عليه فاستدعى واحداً
بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أني معه وموال له ووصل
حديثه معهم بان أدخلني معهم في التدبير فاظهرت سروراً شديداً بذلك
وتواعدنا النزول في المنزل القريب واتمام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا
وخركاهاتنا وحصل في موضعه راسلني وأخلاني بنفسه ثم قال لي : ابعث
الى فلان وفلان (يعنى جماعة ممن يثق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها
السلار ان هاهنا تدبيراً يجب أن تسمعه فان وقع بوفاقك والا فما تأمر به
ممتثل . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائنه
كلها باصبهان وأنا وزيره وثقته والمتولى للجميع فلو امتددنا على صورتنا هذه
حتى لانهم لتمكنت من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة نتمكن
فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصبهان وكذلك أولادهم
فاذا قبضنا عليهم لم يبق في واحد (١٧٨) منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع
لك وانهدّ جانب ركن الدولة انهداداً لاانجبار له وتمكنا ايضاً من قلاعه
وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من
هذا المكان طلبنا الخيول وأحدقت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من
هو الآن معنا الى تلك الجنبة ونحن في عدة يسيرة وحوالينا اصحابه ورجاله
ولا نثق بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيته قد تهلل وجهه ولم يملك نفسه
لما استخفه من السرور وقال : ليس الرأى الا ما رأيت . قلت : فاني منصرف
عنك فراسل انت كل من واطأك على رأيك الاول بما حدث لك من الرأي .
قال : نعم . وقمت عنه وليس عنده شك في حصول الملك له بمواطأتي وانه

قد اقبل جده وتمت سعادته بتمام تدبيري وشاع في أصحابه ومن كان واطأه انا في تدبير فسكنوا بعد أن كانوا هموا بما هموا به . وسرت آمنا حتى حصلت باصبهان فلما تمكنت من الرجال والتدبير بدأت بالقبض على اولئك القواد واستظهرت على المرزبان بثقاتي حتى حصلته في القلعة بقيوده

﴿ ذكر ما جرى في أمر عسكر المرزبان في آذربيجان ﴾
﴿ بعد حصوله في الاسر ﴾

اجتمع من أفلت من عسكره وقواده وفيهم جستان بن شيرمزن وعلى ابن الفضل وشهفيروز بن (١٧٦) كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألفى رجل من الفل الى الشيخ محمد بن مسافر فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا الى أردبيل فملك آذربيجان وهرب ابنه وهسوذان منه وتحصن في قلعته بالطرم لما كان يعرفه من حقده وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر وعاد الى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على الوثوب به فشغبوا وهموا بقتله فالتجأ بالضرورة الى ابنه وهسوذان وعنده انه يعصمه فقبض عليه وحبسه في قلعة شيسجان التي كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يد ولا نفذ له أمر حتى توفي وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم . وقلد ركن الدوله محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه اليه فتحير وهسوذان في أمره واضطر الى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة لطاعة الاكراد اياه ولرياسته القديمة على آذربيجان فاطلقه وخلع عليه وقواه ومكنه ووافقه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم وبقصد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا الى على ابن الفضل ورأسوه فتوسط وهسوذان بينهما حتى أطاعه على بن الفضل

وتم (١٨٠) أمره وسار ديسم الى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود وورد ابن عبد الرزاق فانحاز عنه الى ورثان من نواحى برذعة ليستخرج الاموال وترد عليه عساكر الاكراد

﴿ ذكر خطأ ديسم فى ايحاش وزيره حتى فارقه وثلمه فهزمه عدوه ﴾

كان بنواحى خوىّ وسلماس كاتب نصرانى يعرف بابن الصقر من جهة المرزبان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباهُ فحسن موقعهُ من ديسم فأكرمه وبالغ فى اكرامه حتى صار يخلو به ويشاوره فاستوحش وزيره ابن محمود واتقاه . فلما استعدّ ديسم للقاء ابن عبد الرزاق سلم الى ابن محمود خزائنه وثقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها استظهارا الى أن ينكشف الأمر فتسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الي أردبيل وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله بطائفة من عسكره ففعل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وفتّ فى عضد ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضعفت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه أصحابهُ فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزمه. (١٨١)

﴿ ودخلت سنة أربعين وثلثمائة ﴾

وفيها لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعه بروذبار من خان النجان سبعة أيام متوالية فانهزم ابن قراتكين وذلك فى المحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب : أ كثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصل يجري عندي خبرهٗ مجرى ما عاينته وذلك ان مثل الاستاذ الرئيس أبي الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها مما دبره وما اتفق له فيها فلم يكن اخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون الى صدقه ومثل أبى محمد المهلبي رحمه الله خبّرنى بأ كثر ما جرى فى أيامه وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة. وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته وجربته بنفسى فسأحكيه أيضا بمشيئة الله

فحدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه الوقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين (١٨٢)

﴿ ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الرى ﴾

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك انه قصد وشمكير وهزمه وتبعه الى جالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى المسير اليها لتوطئة الامور وانصرف الى الريّ فاستخلف بها على بن كامه وانسم خناق أعدائه ببعده عن ممالكه وكل حدّث نفسه بامر. وكتب ركن الدولة الى معز الدولة بما عزم عليه وبما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبي جعفر الصيمرى وهو يومئذ منازلٌ لعمران بن شاهين بالبطائح بان يُخلى ما هو بسبيله ويصير الى فارس لخدمة ركن الدولة ففعل وسبق وصوله وصول ركن الدولة فحسُن موقعُ ذلك من ركن الدولة . فلما وصل الى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه بباب اصطخر فمشى حافيا حاسرا ومشى أهل عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى ان خاطبه الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة ففعل وأقام ستة أشهر . وأنفذ نصيبا

من تركة عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وكان فى جملتها مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجرى مجرى ذلك من الثياب والآلات واقتطع من أعمال (١٨٣) فارس ارجان وهي كورة من كوَر فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك وانقلب الى الريّ . وحدّثت اطماعُ من ذكرت وامتدّت الى الريّ والجبل واصبهان وتسرّبت العساكر اليها فمن ذلك مسير صاحب جيش خراسان الى الري ومعه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليلى من قبل وشمكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن على بن كامه قد انحاز الى أصبهان وتفرق قوّاد عسكر ابن قراتكين فى ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمذان ينال قام وفى كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بعد بفارس يستدعى من يدفع معرّات هؤلاء فأمدّه بسُبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الاتراك والديلم وفيهم جماعة من الاتراك القدماء التوزونيّة وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فدبّر سبكتكين تدبيراً جيداً

﴿ ذكر تدبير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾
(أول عدوّ لقيه بقرميسين)

رأى سبكتكين ان يخلّف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يثق به ويسرى الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الاتراك الخراسانية يقال له بجكم الخمارتكيني وكان (١٨٤) ينال قام أنفذهُ الى همذان والياً عليها فكبسه سبكتكين وهو فى الحمّام وأخذه أسيرا وأوقع برجاله وأصحابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدّة طويلةً ثم أطلقه . ولما بلغ وُلاة

أعمال الجبل ما جرى على بجكم هذا فارقوا مرا كزهم واجتمعوا الى ينال قام بهمدان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همدان باجمعهم فلم يحاربوا وورد سبكتكين همذان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كُتُب ركن الدولة كانت تردُ عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انتظارا لانحسار الثلوج ثم ورد همذان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمه. فشغب الصنف من الاتراك التوزونية وأظهروا التضجّر بالمقام الطويل فتوسط الاستاذ الرئيس أبو الفضل رحمه الله بينهم وداراهم وسكّنهم فسكنوا فى الوقت ثم عاودوا من الغد وطال ذلك منهم حتى اتهموا. فسمعت أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول: انى قلتُ للامير ركن الدولة: هؤلاء أعداؤنا وقد كاشفونا فكيف نسير بهم الى أعدائنا؟ فاتفق الرأى بيننا ان نُسكّنهم فان سكنوا والاّ حاربناهم وفرغنامن العدو الاقرب فلما عملنا على ذلك عملوا على الحرب فاوقعنا بهم ومضوا منفلولين. (٥٨٠) وسبق خبرهم الى معز الدولة فكتب الى ابن أبى الشوك الكردى وسائر وجوه الاكراد المقيمين فى أعمال حلوان بطلبهم والايقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا فاما الاسارى فانفذهم الى بغداد وأما الفلّ فصاروا الى الموصل بحال سيئة

وأقام ركن الدولة بهمذان ليتعرّف خبر ابن قراتكين الى ان صح عنده مسير ابن قراتكين من الريّ نحو همذان فبثّ جواسيسَهُ وطلائعه ليتعرّف خبره فأتاه الخبر بانه عدل عن سمت همذان وأخذ على طريق يؤدّى الى اصبهان فسار ركن الدولة فى أثره يقفوهُ حتى انتهى الى جرباذقان ووصل ابن قراتكين الى أصبهان فعاث بها عيثا كثيرا مدة ما أقام ثم عرف قُربَ ركن الدولة منه فسار الى طرف مفازة بقرب من أصبهان

فنزل منها على زرين روذ ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد قطعوا المفازة ومسّهم التعب والعطش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن الدولة ان يعدل الى خان النجان ليلزم سمت قُرى زرين روذ ولا يعدم الماء واتصل ذلك بابن قراتكين فانقلب عن موضعه معترضاً له لئلا يملك عليه ظهره فالتقيا في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرين روذ ولكنه يُخيض ولا يمنع الراجل ولا الفارس [١٨٦] العبور وذلك ان الفصل كان ضيقا . فدامت الحرب بينهما سبعة أيام واشتدت فى اليوم السادس خاصة ثم انهزم ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الى حكاية ابى الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه الوقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضاقة وعوز الميرة والعلوفات وتعذر جميع الاقوات ما لم يلحقها مثله وذلك أن الاكراد أحدقوا بنا فلم يتمكن أحد من اطلاع رأسه عن المعسكر وانقطعت عنا المواد وكنا نصل الى اقواتنا مما تحمله الاكراد الينا ويبيعوناه باوفر الأثمان وكذلك العلوفات فكان يجيئنا الكردى بجراب أو مخلاة أو وعاء فيه دقيق فيبيعناهُ بحكمه فاذا أخذناه ونفضناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه فى رأس الوعاء وأسفله كله تراب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا ينتفع بشيء منه وكذلك يفعل بالشعير والحنطة وكانت لهم حيل تجرى هذا المجرى كثيرة قال : فكنا ننحر الجمل أو الدابة فنتوزع لحمه بين عدد كبير ونتبلغ به على عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة فى الحرب وكان أعداؤنا الاتراك فى مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا [١٨٧] يقنعون بما نقنع (١)

(١) وفي الاصل : بما لا نقنع ولعله سقط « به »

فاذا ذبحنا نحن جزوراً ذبحوا أضعافاً كثيرة ثم ان أصحابنا يعودون الى نشاطهم في الحرب ويتسخط اولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يناصحونه في الحرب الى أن ملوا . وأصبحنا يوما وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وأتانا الخبر برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلاهم العسكر أولا أولا واشفقنا أن يكون لهم كمين أو مكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نضر الله وجهه ان ركن الدوله دعاه في اليوم السابع وقد نفد صبره وصبر أصحابه : وشكا اليّ شدة الامر وصعوبته عليه وكأنه يفكر في حيلة الانهزام وان كانت متعذرة عليه فقلت : أيها الامير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر ممالك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت امرك وولايتك فهو ايضا تحت حكمك حشمة لك يقبل امرك تجملا ويطيعك تهيبا وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء (١٨٨) ليغصبوا عليه ويملكوه منه ولا مفزع لك الا الى الله عز وجل فاخلص نيتك له واعقد عزيمتك على ما بينك وبينه تعالى يطلع على صدقها ويعرف صحتها وانو المسلمين خيرا ولكافة الناس مثله وعاهده على ما تعامله وتفي به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلي الى من تلي عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق لنا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجرى في هذا الباب ما يجري مثله من النذور وصدق النية . وبتنا تلك الليلة

على حالنا فلما كان فى الثلث الاخير من الليل جاءتنى رسله متقاطرة فصرت اليـه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهـدته وقال : يا أبا الفضل انت تعرف مناماتى وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد . قلت : وما ذاك . قال : رأيت كانى على دابتى المعروف بفـيروز وقـد انهزم عدونا وأنت تسير الى جانبي وتذكر لى نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا من حيث لا نحتسب فبينا نحن فى هذا الحديث وشبهه حتي مددت عيني بين غبرة الموكب الى الارض فرأيت خاتما يتلألأ قد سـقط الى الارض عن صاحبـه بين التراب فقلت(١٨٩) للركابي الذي بين يدى « يا غلام هات ذاك الخاتم » فتطأطأ ورفعه الىّ فاذا خاتم فيروزج فاخذته وجعلته فى أصبعى السبابة وتبركت به وانتبهت وقـد تفألت به وأيقنت بالظفر (وذاك ان الفـيروزج معناه الظفر اذا عُرّب وكذلك لقب دابتـه الذى رآه فيروز) .

قال ابو الفضل ابن العميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر والبشرى بأن العـدو قد رحل فما صـدقنا به ولا التفتنا اليـه حتي تواترت الاخبار وعبر سرعان الخيـل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا متعجبين لا نعرف سبب هزيمته حتى عبرنا على حذر من كمين او مكيدة فبينا نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد تعمد ركوب دابته فيروز ليصدق رؤياه اذ صاح الامير بغلام بين يديه « ياغـلام ناولني ذلك الخاتم » فتطأطأ وناوله من الارض خاتم فيروزج فاخذه ولبسه فى سبابته والتفت الى وقال : هذا بلا تأويل هو الخاتم الذى حدثتك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف الاخبار ولولا صدق محدثه وجلالة قدر من حكاه لى وبعـده عن التزيد لما سطرته في كتابي هذا

وفيها تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وقلده معز الدولة (١٩٠) البطائح وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من استأسر من القواد وغيرهم

فاما ابن قراتكين فانه عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية بلياليها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيها انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبي وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من مراكبه ودخل أبو محمد المهلبي بغداد ومعه المراكب والاسارى

﴿ ودخلت سنة احدى وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيها ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها

وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبي بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن أبا محمد المهلبي لما خرج الى عمان واتفق في ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالري ما حدث من ورود جيش خرسان اليها شغله ذلك عما في نفسه منه .

وكان ورد ابو العباس الخناط الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمال يحمل اليه فدفعت الضرورة (١٩١) الى مكاتبة الوزير المهلبي وهو بواسط قد وافاها منهزما وأمر بالعدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

بى العباس الحناط من القالمة وورد الدوض مما يستخرجه وأن يواصل الحمل الى الحضرة ويسرب الجيوش الى الاهواز على طريق اصبهان الى الرى فنفذ لذلك كله وفى نفس الامير معزالدولة عليه مافيها . فلما أصعد المهلبي الى الحضرة اثر فى أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثراً كبيراً وذلك أنه كان قصد البصرة فسبقه أبو محمد المهلبي اليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ مراكبه كما ذكرنا

﴿ ذكر السبب فى طمع ابن وجيه فى البصرة ثم انهزامه منها ﴾

كنا ذكرنا ما كان من استيحاش القرامطة من معز الدولة ومن جوابه اياهم عن رسالتهم واستخفافه بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم فى البصرة وسألهم أن عدوه من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبى يعقوب فى سرية قوية فورد باب البصرة وأنهض ابن وجيه رجاله فى مراكبه من ناحية البحر ونهض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهلبي من الاهواز فبادر الى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والربازب والطيارات وآلات الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عللهم فى الجيش والسلاح وأنفذ اليه معز الدولة [193] مدداً من بغداد. وكان المهلبي رتب على سور المدينة بالبصرة الرجال يحمونه وجمع الى نفسه وجوه القواد مثل تشكرورز بن سهلان وموسى فياذه وموسى بن ما كان وأشباههم من وجوه الناس وطبقات الغلمان وحارب ابن وجيه اياما ثم هزمه وظفر المهلبي بمراكبه ورجاله وأسر جماعة من وجوه أصحابه فخفف بذلك بعض ما كان فى قلب معز الدولة وانجلى هم كثير كان فى نفسه

فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجامله مديدة ثم وقف على طازاذ

مال من ضمانه له قدر وكان سُبّب عليه للأتراك والمهمات فردّ التسبيات وطالب أصحاب المال باستحقاقاتهم وأضجر ذلك معز الدولة فطالب أبا محمد المهلبي وهزّ المهلبي طازاذ فاستسلم وأظلمت القصة. فدخل المهلبي الى معز الدولة فصدقهُ عن الصورة فاغتاظ من جريته فى الامر وأثار ما كان فى نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره الاّ يعود اليه الا بعد ان يستدعيه فانصرف كئيبا. وحرك بطازاذ فصحح له مالا ونهض الى الامير مُحجّبا له من طازاذ بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مقرعة تزازح منها (ثم أمر) بان يرفع عنه الضرب حتى [١٩٣] يوبخه ويبكّته بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد عليه الضرب الى ان تفسّخ وثقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى دجلة ثم تماسك ورده الى منزله ووكل به. وفى اليوم الثانى استدعى طازاذ أيضا وضربه وعمل على صرف المهلبي فلم يرتض خدمة أحد ممن كان بحضرته فى الوقت فترجّح رأيه وصمد وصوّب فلم يقم أحد مقام أبي محمد وكان أبو محمد المهلبي شهما قويّ النفس لا يتحرّك لشيء من نوائب الدهر فعمل عملا يشتمل على ثلاثة عشر الف الف درهم باقية فى الممالك والأعمال وأنفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تمادت الايام فى التوكيل به تمزّقت وطمع فيها فشاور معز الدولة من حضره وكان فيهم أبو مخلد عبد الله بن يحيى وقال: هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل وقد لحقه مني هذا المكروه العظيم؟ فقال أبو مخلد: قد ضرب مرداويج وزيره أبا سهل أعظم من هذا الضرب ولحقه ما لحقك من السوء عنه ثم خلع عليه ورده الى أمره وكان لا يطيق المشي لما حل به من الضرب فركب عمارية ونثر عليه

في الطريق مال ولا يمكنه ان يستقلّ بالجلوس وبقى كذلك مدة ثم عاود مرداويج الانكار عليه فنكبه وأتى على نفسه . (١٩٤) فعند ذلك راسله معز الدولة بالركوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجلد المهلبي وركب بعد أيام يسيرة فخلع عليه وعاد الى أمره

وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذئ اللسان يكثر سبّ وزرائه والمحتشمين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبي رحمه الله من فحشه وشتمه عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكترث له وينصرف الى منزله وكنت أنادمه في الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا ويجلس لانسه نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعد بن ثابت وكان يخلفه ويأنس به يعاتبهُ ويقول في عرض كلامه : ان الامير اذا اتصل به أنسك وقلةُ اكترائك لغضبه وما يلحقك من شتيمته نسبك الى الاستهانة به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى يبلغهُ تحرّمُك وانقباضُك كان أحرى ان يقصّر ويندم ولا يُشتمّ بما . معك وغضه منك . فقال له أبو محمد المهلبي : ما يذهب عليّ ما تقول ولكن هذا امير خرقٌ عجول لا يملك لسانه فان ذهبتُ أظهرُ الاستيحاش من هذيانه وقع له اني قد تنكرت له واني لا أناصحه وانه يتهمني بما لا يدور في فكري فيكون سببا لجائحة ونكبة وليس له غير التغافل والتبسم (١٩٥) في وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه فكان الامر على ذلك .

وحدثني أبو بكر ابن أبي سعيد رحمه الله ان معز الدولة وقت مقامه بالبصرة وهزيمته للبريدى افترى على المهلبي وذكر جرمهُ وأفحش عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لى المافروخي : قد ساءنى أن أجرى هذا الفحش القبيح بحضرتى على الوزير فكيف الطريق الى تسليته؟ (وانما أراد ألاّ يتهمه بالشماتة ولا يراه بعين من علم استهانة الامير به) فقلتُ : الامساك فى مثل هذا أولى من الكلام . فأمسك أياما لا يركب اليه الا مع الناس وقت الاذن ثم اتفق ان دخل المافروخي وأنا معهُ لمهم فوجدناه واجماً مطرقا فقال المافروخي : أرى الوزير واجماً فهل تجدّد أمرٌ ؟ فقال : ويحك انى أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتعاهدنا به من برّه بلسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرقه وأنا متفكرٌ فى ذلك . قال أبو بكر ابن أبى سعيد : فلما خرجنا من عنده قال لى المافروخي : هل رأيتَ أدهى من هذا الرجل وأذكر منه ؟ فقلت : لا

وفيها خرج أبو مخلد وأبو بكر عبد الواحد بن أبى عمرو الشرابى حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان فى الصلح بينه وبين أمراء بني بويه وكتب معهما كتاب عن الخليفة (١) (١٩٦)

﴿ ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيها مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة (٢) وقلد الديوان

---

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطلع أبو محمد المهلبي على قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم ان روح على رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم امرأة تزعم ان روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي انه جبريل فضربوا فتعذروا بالانتماء الى أهل البيت فامر معز الدولة باطلاقهم لميله الى أهل البيت وهذا كان من أفعاله الملعونة . وليراجع ماقال فيه ابن الاثير في الكامل فى سنة ٣٤٠ فى العزاقرية يعنى أصحاب محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن العزاقر (٢) زاد صاحب التكملة : وسنه سبع وسبعين سنة وحمل تابوته الى الكوفة

بعده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .

وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الامير أبو اسحق ابراهيم بن معز الدولة بطالع السنبلة .

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردى منهزما من آذربيجان هزمه السلار المرزبان وهو الذى حكينا ان ركن الدولة أسرهُ وحبسه فى قلعة سُميرم فاحتال حتى فكّ قيدَه وقتل صاحب القلعة وخرج منها وسنحكى حيلته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار الى الحضرة مستجيرا بمعزّ الدولة ومستنصرا فاكرمه معز الدولة جدا ووقع منه وأنس به وعاشره وحمل اليه مالاً وثيابا وكان يسميه فى كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب فى خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾
﴿ تمكّنه منها وانهزامه من بين يدى المرزبان ﴾

كنا ذكرنا خبر ابن عبد الرزاق وتمكّنه من آذربيجان من قبل ركن الدولة واتفق ان أوحش كاتبا له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن محمود لخدمته اياه بالاموال قديما ولخبرته بالبلدان فاستوحش الكاتب وتركه الى ان أشخصه لجباية الاموال فى نواحى ديسم وضم اليه جيشا فلما وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن عبد الرزاق (١٩٧) من آذربيجان وعاد الى الريّ وأخذ معه ابن محمود وسار ديسم الى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراسانى في العود الى بلده فأذن له وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودبّر أمرَهُ أبو عبد الله النعيمى وابن الصقر النصراني وتوافر اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وجبى

الاموال وأعطى البلاد له باليد فتمكن من نشوا ودبيل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الهمداني وابراهيم بن الضابى على سبيل التغلب فصلحت حاله وانتظمت . واتفق ان مات ابن الصقر النصرانى فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما اغضى عنه وهو شيء كثير فتفرد النعيمي بوزارته . ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعيمى وطمع فيه فقبض عليه ونصب فى موضعه كاتبا له يقال له على بن عيسى فاحتال النعيمى[1] * * * الى بذل خطه بكل ما اقترحه عليه ولم يخالفه وسلك سبيل المداراة ثم قال له : ان رددتنى الى العمل وسلمت الي خليفتى علي بن عيسى صححت لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك ورده الى موضعه وقبض على علي بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد فى تلك الايام قد ملك القلعة التى حبس فيها بسميرم وقتل الموكل به وهو شيراسفار وكان أيضا قد أفلت على بن ميشكى المعروف ببلسكا المأسور معه[١٩٨] من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعا كثيرا وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتى قرب من وهسوذان أخى المرزبان فكانا جميعا يدبران على ديسم . ثم وصلت كتب المرزبان اليهما بخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بآذربيجان وليس عند ديسم من الخبر كله الا خبر على بن ميشكي وظن أنه وحده يقاتله . فلحق باردبيل ابن أخت له يقال له غانم مضموما الى وزيره النعيمي ومستوفيا عليه المال الذى ضمنه عن نفسه وعن على بن عيسى خليفته وسار على اغترار بمن معه من الديلم فوجد النعيمي الفرصة لما كان فى نفسه وأفسد غانما على

(١) بياض بالاصل

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالمكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى واحتمل معه كل ماقدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد ان كان بلغ الى زنجان وشغب الديلم عليه فاخرج كل ذخيرة له من الصياغات وغيرها وتوجه الى برذعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن ان خصمهُ على بن ميشكى وليس عنده خبر المرزبان . وكان أنفذ الى أرمينية من يوطّئ له نيات ملوكها من ابن الديرانى وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم ليلجأ اليهم ان حزبهُ أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل مع عدّة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانكفأ ديسم الى أردبيل ووقعت الحرب فقلب (١٩٩) الديلم تراسهم فى وجهه وانحازوا الى ابن ميشكي سوى جستان بن شرمزن فانه أخلص مودة ديسم فقبض الديلم عليه وانهزم ديسم فى نفر من الاكراد الى بلد الارمن فحمل اليه ملوكها ما تمالك به . وورد عليه خبر المرزبان هنالك في مسيره عن قلعة سميرم التى كان محبوسا فيها وحصوله بأردبيل وتسلّمه القلاع والاموال وانفاذهُ على ابن ميشكي فى جيش لطلب ديسم فلم يمكنه المقام فهرب الى الموصل ثم صار الى بغداد وذلك فى سنة ٣٤٢ فتلقاهُ معز الدولة وأكرمه ورتبه فى أعلى مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المبارّ والالطاف وبذل له خمسين الف دينار اقطاعاً فى كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة فى أطيب عيش وأرخى بال فكان يقول ذلك لكتابه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهناهُ أيام مقامي ببغداد

ثم كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغترّ به فنزع الى الامرة والاستبداد فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيرا وثياباً ودوابّ ومراكب

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديراني وابن جاجيق لثقته كانت به وانه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه] (٢٠٠) فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه في القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجابه المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديراني الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه حمله الى حضرته ناقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سمل عينه فلما توفي المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من غائلته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تم عليه حتى ﴾
﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بآذربيجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتصر على القوت اليسير من الحنطة التي يستظهر منه أيضا فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طباخه الذي يثق به ليتولى له ما كان يتولاه من المأكل والمشرب فحصل الطباخ في القلعة معه وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده . وكان الطباخ خفيفاً أحمق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمى به من قلة القلعة فهلك وضيق على المرزبان . وكانت والدة المرزبان خراسويه بنت جستان بن وهسوذان الملك تبذل الاموال في تعرف أخباره وتحتال في خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضابي (وقد تقدم ذكره) في حبس ديسم فتخلص منه ولم يجد مفزعا الا خراسويه فقصدها ولاذ بها (٢٠١) وضمن لها أن يتوصل الى المرزبان فأطلقت له مالا وأنفذته . وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان

يصارع ويقامر ويدخل فى كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها فخاف وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لهما السعى لها فى أمر ابنها فطمعت فى جلادته وأطاقت له مالا وعرّفته خبر ابن الضابي وانه نفذ قبله فاجتمعا ولبسا لباس التجار وأظهرا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة وراسلا شيراسفار وعرّفاه انهما تاجران وانهما كانا فيما مضى يعاملان المرزبان وانه أخذ بضائعهما وامتعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين المرزبان ليتنجزا كتبه وعلاماته بازاحة علتهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار عليه وواصلا الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لعنه وشتمه وكانا يقولان : الحمد لله الذى كفى الناس شر هذا الظالم الذى لا يعرف الله ولا يؤمن بنبيه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لهما وأوصل واحدا واحدا منهما اليه من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما . فاغلظا له وواجهاه بالقبيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : انى لا أعرف حسابهما ولكنى أكتب باذن محاسبا . وكثر (٢٠٢) ترددهما اليه فضمت والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان فى عسكر السلطان قديما ورجلا آخر يعرف بابى الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار وحملوا الالطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون منهم الحوائج ويعدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائعهم انهم يبذلون لهم أموالا جليلة وفى خلال ذلك يكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتنجزون الاجوبة ويدسون اليه فى خلال ذلك الدنانير الكثيرة ليبذلها وينفقها فيما يحتاج اليه .

وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أمرد وضىء الوجه يحمل ترسه

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقا له ومحبة مفرطة فكان يعطيه سرا الشيء بعد الشيء ويعده ان هو تخلص بامور عظيمة وولايات كبار حتى طمع الغلام وواطأه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا فى زنبيل فيه تراب وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الحيل. وأظهر أولئك القوم الذين كانوا فى زى التجار النسك والتأله والخشوع فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوصلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سرا (٣٠٣) وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه ووافق بعض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم. فلما كان فى ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجلدهم وجلس آخر مع البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقون قريبا من الباب ليدخلوا عند التمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد مسمار قيده على مر الايام ولبس فى ذلك اليوم درعه والتف بكسائه وكان يخاطب شيراسفار قديما ويسئله ان يطلقه ويعده المواعيد العظام فيمتنع عليه شيراسفار ويقول: لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل ما يخفف عنك غير هذا الباب. فلما كان فى ذلك اليوم عاد المرزبان في مسئلته وكان توبان حاضرا فقال لهم توبان: بالله الا خلصتمونى من الديون عليكم ثم عودوا لشأنكم. فقال المرزبان لشيراسفار: قد أطلت عنائى. ونهض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر الى الباب فتسلم الترس والزوبين من الغلام ونهض شيراسفار ليتعلق به فوثب توبان اليه وعاركه وصرعه ثم وجأه بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان

اشتلم[1] على عادة الديلم فوثب الرجل[(٢٠٤)] الذى كان فى الدهليز على البواب فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأحدقوا بالمرزبان وكان منغمسا في دم شيراسفار . وكان الموكاوز فى القلمة على تفرق ولعب بالنرد فتداخلهم الرعب واجتمعوا وطلبوا الامان فجمعهم المرزبان فى بيت وأخرج حرم المقتول شيراسفار وحرم الجماعة ثم طالب سلاح القوم الذين فى البيت فملكه ثم أخرجهم من القلمة وتوافى اليه الرجال حتى خرج ولحق بأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب كثيرة على باب الرى ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان فامده بابي على ابن محتاج فى جموع كثيرة وتوجهوا الى الرى وظنوا أنه الاستيصال وانه لا ثبات لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فعلم ركن الدولة أنه لا يقوم لهؤلاء الجمع الكثير الا بالمطاولة والتحصن بحيث يكون القتال من وجه واحد فجعل بلد الرى خلفه وحارب فى الموضع المعروف بطبرك فدامت الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء ومل الخراسانية فلم يصبروا وخافوا ايضاً سقوط الثلج عليهم فاخذوا[(٢٠٥)] فى العتاب والتراسل ورق أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانيــة أبو جعفر الخازن وهو صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح[2] وله تقدم فى علوم الرياضة ومرّ بينهما كلام كثير انتهى الى الموادعة والصلح

(١) كلمة فارسية معناها المنف

(٢) وردت ترجمته فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدولة بان يجهز على الجرح ولا ينفس عن خناق عدوه فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد نفد صبره وماله وشغب عليه جنده « ووراءك بلدة مثل الرى وأنت وادع جامّ بها » ولم ير له احد من نصحائه ان يجيبهم الى الصلح وذاك ان النكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن الدولة هذا الرأى من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة يصدمهم بها لاتى عليهم والله اعلم بعواقب الامور فقبل الصلح وشق ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينتظر ولا يرجو ان يجمع اكثر مما جمع ولا يحتشد اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن محتاج طالب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى اخرجه من طبرستان وجرجان وحصل باسفرايين . وكتب الى نوح بن نصر يعرفه ما جرى ويغريه بابن محتاج فاغتاظ نوح وتحرك منه ما كان فى نفسه على ابن محتاج (٢٠٦) فعزله من الجيش ببكر بن مالك وانفذه فى جيوش عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمكاتبة ابى على ابن محتاج ركن الدولة وعدوله الى طاعته بعد أن أصابه فى نفسه وأسبابه وأحواله مكاره عظيمة أزالت ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجى معها الصلاح .

وكتب الخليفة فى هذا الصلح كتابا نفذ على يد ابن ابى عمرو الشرابى حاجب الخليفة وابى مخلد عبد الله بن يحيى صاحب معز الدولة واتفق موت نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم ابو مخلد من خراسان عائدا ومعه ابو بكر عبد الواحد بن ابى عمرو الشرابى اعترضهما ابن ابى الشوك الكردى من الشاذنجان وكان متقلدا أعمال المعاون بحلوان واليه الجباية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرقا بهما ثم

غدر فنهبهما ونهب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت ابو بكر عبد الواحد بن ابى عمرو الشرابى فطالب ابن ابي الشوك معز الدولة باطلاق رهائنه ووعد أنه ان أطلقوا اطلق ابا مخلد فضمن له ذالك واطلقوا واطلق أبا مخلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراد فدخل حلوان وقرر أمر الاكراد وابن أبي الشوك (٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائه ﴾

وفيها خرج أبوسالم ديسم من بغداد وذلك لما يئس من نصرة معز الدولة .

﴿ ذكر السبب فى يأس ديسم من نصرة معز الدوله اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزبان بن محمد السلار وصاهره وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه وظن انه يجد عند ناصر الدولة عوناً فقصده وأقام عنده بالموصل مدّة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام علته أيضا مدّة

وفى هذه السنة قصد أبو على ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التى ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هرمز فاستقبله ركن الدولة وبالغ فى إكرامه وأضافه وجميع من معه وأقام لهم الانزال الواسعة والتمس ابن محتاج عهداً يكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكوتب معز الدولة في ذلك فتكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقى معز الدولة فاحتشد له احتشاداً كثيرا وأوصله الى الخليفة حتى عقد لابي عليّ على خراسان وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه العقد والخلع وضم (٢٠٨) اليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبي عمرو الشرابى وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكرورذ

نجدةً لابي على ابن محتاج ومُعاونة له على نوح فلما كان بعد مدّة ورد كتاب أبي على ابن محتاج بانه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن خُطب له الى هذه الغاية فى شيء من بلدان خراسان (١) وذكر فى كتابه صحة موت نوح . وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضرته ابن مالك وهو أحد قواده الكبار فغلب على الامور وعقد الامر لعبد الملك بن نوح فى ولاية خراسان وتقلد هو رئاسة الجيش مكان أبي على ابن محتاج . وسار يطلب ابن محتاج وانفل عن ابن محتاج رجالهُ وعادوا الى صاحب خراسان وبقى أبو على فى مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدى ابن مالك . وورد خبرهُ من الدامغان بانه صائر الى ركن الدولة مستجيرا به فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام عنده بالرىّ . ونزل ابن مالك بنيسابور وتتبع أسباب ابن محتاج

وفيها صُرف الابزاعجى عن الشرطة ببغداد واعتقل وصودر على ثلثمائة ألف درهم وقلد الشرطة مكانه تكينك نقيب الاتراك وقد كان طولب قبل صرفه باربعين ألف درهم على ان يقرّر (٢٠١) فى عمله من الشرطة ووعد باقطاع فلم يفعل

﴿ذكر الرأى الخطأ من الابزاعجي حتى استمرت عليه﴾

﴿النكبة وعظمت بعد ان كانت خفيفة﴾

كان الابزاعجى منقطعا الى أبي على الخازن فاستشاره وكان أبو على يعتنى به فاشار عليه الاّ يلتزم شيأ ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب التكملة . وبلغ الخبر بموت موسى قباذه فانحدر المهلبي لحيازة تركته وكانت عظيمة

له : هذا يطمع فيك ويسير رسما عليك فان امتنعت انحسم الطمع فيك وفيما بعده. فقبل رأيه فاداه ذلك الى النكبة وما أراد به أبو على الا الخير ولكنه أخطأ الرأى كما يخطىء الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضا عليه ونكب نكبة ثانية وسُلّم الى تكينك فجرى عليه مكروه عظيم وصودر على مائتين وخمسين الفا فاداها .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو على ابن محتاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خُطب (بمكة والحجاز) لركن الدولة ومعزّ الدولة وبختيار وبعدهم لابن طغج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب معز الدولة وبين المصريين وكان أبو على ابن محمد بن عبيد الله صاحب الخاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة (٢١٠) ﴾

وفيها عقد معز الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرياسة وقلده أمرة الامراء وذلك فى المحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لمعز الدولة علة يقال له فريافسمس وهى علة الانعاظ الدائم ويكون معه وجع شديد مع تواتر القضيب وكان معز الدولة خوارا فى أمراضه فاوصى وقلد ابنه كما حكينا أمرة الامراء ..

وبلغ عمران بن شاهين ان معز الدولة قد مات واجتاز به مال يحمل الى معز الدولة من الاهواز ومعه كار كبير فيه للتجار أمتعة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة الف دينار وما للتجار أضعاف ذلك .فمد عمران يده الى المال والكار على رسمه فى مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض

على المزعبل ملاح معز الدولة الذى كان مع المال فصادره وضربه ضربا عظيما ودهقه الى أن أزمنه ثم أنفذ اليه معز الدولة أبا الحسين الكوكبي [1] نقيب الطالبين برسالة الى ان رد المال وذهبت أمتعة التجار وانتقض الصلح وتأدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور فى جيش كثير ومعه عرادات ومنجنيقات فأقام مدة عليها ولم يمكنه فتحها (٢١١) واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الرى فاحتيج الى انفاذ سبكتكين الى ركن الدولة مددا له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

وفيها ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المفازة من خراسان فهجم هجوما واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب ونفر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلص الامير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن على بن أبي جعفر محمد الكوكبي من ولد محمد الارقط بن عبد الله الباهر بن على زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطالب انه كان نقيب النقباء ببغداد فى أيام معز الدولة : وفى كتاب الافادة في تاريخ الائمة السادة لابى غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوى المتوفى سنة ٤٢٢ . كان فيه زعارة وعنف فشكا العلوية الى معز الدولة سوء معاملته اياهم مرة بعد أخري . فقال لهم . قد عزلته عنكم فاختاروا لانفسكم من ترضونه . فاجتمع العلوية كلهم على الرضي بأبي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس فعارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فاوقع به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قواده وقتل أصحابه قتلا ذريعا . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير (٢١٢) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان يحدثني رحمه الله بخبر هذه الوقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان انهزم عنى أصحابي واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت آنفة فقط من غير رجاء مني في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك انى افكرت فى تلك الحالة وقلت « ان انصرفت بنفسى سالما ومثلت بين يدى صاحبي أى وجه يكون لى عنده وأى لسان يدور بعذر لى بحضرته بعد ان أسلمت أعزته وأولاده وحُرمه وبالجملة ملكه ! » ونظرت فاذا القتل علىّ فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التى تصورتها فصبرت لان أقتل كريما (قال) فكنت واقفا وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أطنابها تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظن انى أثبت فى ذلك الموضع مع تلك الصورة فبينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون عنى بالنهب اذ ثاب الىّ غلامى رو ين وفلان وفلان وراءهم العرب فثاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس الكرّة فقتلنا وأسرنا ولم يفلت أحد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عين تطرف (٢١٣) الا من أخذ أسيرا وحمل الىّ ابن ما كان وبه ضربة فى يده وقد تعلق منها اصبعان بجلدة رقيقة شدّها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدى حتى شق الزحمة اليه

مكار أو ركابيّ فصفعهُ صفعة طنّ بها الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم وأمرتُ بطلبه وهممت بالمثلة به وقطع يده فما وُقف له على أثر ولا عُرف له خبر الى اليوم

وكان ابن ماكان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسه محربا عظيم القوة ورأيت انا جوشنه وهو رزين جدا يعرض على فتيان الديلم واشدائهم أن يلبسه فيستعفى منه اثقله على اليد

وفى هذه السنة أنجد سيف الدولة ديسما وعاضده بعض الاكراد فقصد سلماس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلار غائبا بناحية باب الابواب مشغولا بقوم خرجوا عليه هناك فلما عاد من باب الابواب وأصلح أمره هناك وظفر بعدوه فقصد ديسما فاستأمن رجالهُ الي سلاّر وهرب ديسم ومضى الى ابن الديراني صاحب أرمينية مستجيرا به فقبله ثم غدر به وقبض عليه وقيده وحمله الي السلار . فيقال ان السلاّر سمله ثم قتله

وفيها مات أبو على ابن محتاج وابنه بالرى في وبا حدث هناك

وفيها تم الصلح (٢١٤) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .

وفيها ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن ينفذ اليه خلع ولواء على خراسان فعقد له الخليفة اللواء وسلمه مع الخلع الى ابن أخته الوارد برسالته ورده مع أبى الفضل القاشانى وقاد أيضا اليه فرسا وأضاف الى خلع الولاية خلع منادمة (١)

(١) زاد صاحب التكملة . وفي هذه السنة سد معز الدولة فوهة نهر الرفيل وسد بثق النهروانات وحفر للخلاص حوله وشرع في سد بثق الروبانية بيادوريا . وقال أيضاً

﴿ ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خوطب أبو محمد المهلبي بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلع عليه وزاد في اقطاعه

وفيها خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمي على معز الدولة وخرج أخوه المسمي بلّكا بشيراز وكاشفا بالعصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر أسفار بالاهواز وجاء روزبهان الى الاهواز وكان بها الوزير المهلبي ليحاربه فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذى اصطنعه ونوّه باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فياذه وصغار أصحابه . وأنفذ معز الدولة شيرزيل على مقدمته للحرب واضطرب الديلم بأجمعهم على معز الدولة [215] اضطرابا شديدا وأظهروا أشياء كانت فى نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكل ما كره وأخذوا يستأمنون . فقلدمعز الدولة الابزاعجي الشرطة بواسط وأنفذه اليها وفي يوم الخميس لخمس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها الى قتال روزبهان وزاد الامر في استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة المطيع لله منحدرا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان وما عمله هو واخوته حدث نفسه ببغداد فوجه بابنه أبي المُرجّى وآخر من أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب سبكتكين من واسط لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بنهاوند متقلدا لهـا) يأمره

(٢١٥) وانحدر روزبهان فى شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبي الى زاوطا لمعاونته وترك روزبهان محاربة عمران ومضي الى الاهواز عاصيا

بالتعجل الى بغداد لمضامّة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم مسافر وسبكتكين ولشكرورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل فى أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب الشماسية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأي من استئمانهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من يمنعهم من عبورها قلة ثقة بهم (٢١٦) وخوفا من أن يغدروا به ويشوشوا باقى عسكره لانه كان ينفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فما عبر معه من الديلم الا ليلى بن موسى فياذه وشيرزيل ابن وهرى والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلمانه الاتراك فحارب روزبهان يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كله الى ان سقط القوم (١) ثم حمل بنفسه فى غلمان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قد ربيتكم تربية الاولاد فأرونى غناءكم الساعة . فحملوا معه حملة الصبيان الاغمار فلم يردهم شيء وانهزم روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح اللشكري وأرسلان كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كنّا رجالك فاخرجنا نقاتل بين يديك فانّا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك ويرى الاتراك يقاتلون عنك فتى ظفرت بعدوك خرجنا من المحمدة ومتى ظفر عدوّك فلحقنا العار والسبّة . وكأنهم سلكوا

(١) فى نسخة « الفرس »

في هذا الكلام مسلك الحيلة ليُطلق لهم العبور فيتمكنون من [٢١٧] كسر عسكره والاستئمان الى عدوّه فسألهم التوقّف وقال : انما أريد ان أشامّ القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالامس فاذا كان في غد باكرناهم باجمعنا على تعبية واستعنّا بالله وناجزناهم . وكان يدرّ عليهم النفقات ويواصل العطايا ويكثر المداراة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبّي غلمانه كراديس تتناوب في الحملات الى وقت غروب الشمس فهنالك فشل الاتراك وانقطعت حيلهم وفنى نُشّابهم وشكوا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أمسينا فنستريح الليلة وتُفرّق فينا النشاب ونباكرهم الحرب . فعلم معز الدولة انه ان رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والديلم وثار من خلف وراءه من أصحابه الديلم الذين كان يتهمهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكى بين أيدى غلمانه وكان سريع الدمعة ثم سألهم أن تجمع الكراديس كلها ويحملوا وهو في أولهم فاما ان يظفروا واما ان يُقتل أول من يقتل فطالبوه بالنشاب فقال : قد بقى مع الغلمان الاصاغر نشّاب فخذوه وتوزعوه وكانت عدة من الغلمان الاصاغر تحتهم الخيل الجياد العتاق وعليهم الجُبب والتجافيف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم في الحملة نوبة في الكراديس فلم يأذن لهم [٢١٨] وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح لكم ما سألتم اذنتُ فيه . فوجّه اليهم بنقيب وأومأ بيده أن اقبلوا ما يقول النقيب ليأخذ النشاب منهم فلم يشكوا انه انما أومأ اذنًا لهم فيما كانوا يسألونه ووعدهم به فحملوا وهم مستريحون ، كذلك خيلهم فصدموا صفوف الديلم فكسروا بعضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معز الدولة فوضع فيهم التوت فكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدّقوا به وقدّروا انه أرجف بذلك ارجافا فكانوا يستهزئون استهزاءً ظاهراً ويقولون « نعم كانوا دجاجاً وضع عليهم مكبّة فما أفلت أحد » وكانت نفوسهم اشرأبّت الى روزبهان فلما صح عندهم الخبر ضعفت نفوسهم وانخذلوا . وأسرع معز الدولة الانصراف ليلحق بغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في يومه ذلك فى الماء الى معسكر الحاجب بباب الشماسية فى زبزب ومعه روزبهان فى زبزب آخر مكشوفاً ليراه الناس وكوركير فى زبزب آخر واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة محبين لايام (٢١٦) معز الدولة وذلك لما كان منه فى سد بثق نهر الرفيل وسد بثق بادوريا فانه خرج بنفسه حتي سد هذا البثق وحمل التراب بنفسه فى برّكة قبائه حتى فعل جميع المسكر مثل فعله وسد ذلك البثق ثم خرج الى النهروانات فسد بثقا بها وكانت النهروانات قد بطلت وكذلك بادوريا فلما سد بثوقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقى عشرين رطلا بدرهم فمالت العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه .

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطربل وكان أبو المرجّى وأخوه قد وصلا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الحاجب سبكتكين فلم يلحقهما لاغذاذهما السير .

وحبس روزبهان بالصراة فى حصن كان هناك فكان الديلم يحدّثون أنفسهم بكبس موضعه واخراجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

بقتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من ثقاته : انك ان لم تبادر الى قتله أخذه الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل وغُرّق في سُمَيريّة أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بظفر الاستاذ(٢٢٠) ابن العميد بِلُكًّا أخي روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن ركن الدولة . فانطوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار وانحاز اليه والى أخيه بِلُكًّا الديلم وظنوا انهم قد نقلوا مُلك بني بويه ولله الامر من قبل ومن بعد . ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانيّة وقبض على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الاتراك واصطنعهم وكتب بالفتح الى الامصار

﴿ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة﴾

وفيها ورد الخبر بموت السلار المرزبان بآذربيجان في شهر رمضان وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يئس من نفسه أوصى الى أخيه وهسوذان على ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تقدم الى أصحاب قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلّموها الا الى جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره (١) فلم يذكره لصغره وقال « فان لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخي وهسوذان » ولما وصى الى أخيه وصيته هذه عرّفه علاماته التي بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسوذان(٢٢١) بعلاماته وخاتمه الى المرتّبين في القلاع في تسليمها اليه فابوا عليه وأظهروا وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة ولكين بن خرشيد

(١) وهو مذكور مع الصاحب ابن عباد في ارشاد الاريب ٢ : ٣٠٨

وهو من أكابر الديلم وكان ولـكين هـذا محبوسا من جهة المرزبان باردبيل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحملته على ان يمضي بنفسه ويُخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمّه وهسوذان فاستوحش وهسوذان وفكر في مُخاتلة أخيه له في الوصية وفي اقدام ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولـكين من محبسه بغير اذنه فساء ظنُّه وخرج من أردبيل كالهارب الى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله النعيمي وتوافى اليه قُوّاد أبيه الا جستان بن شرمزن فانه تأخر عنه وفكّر في التغلُّب على ناحية أرمينية وكان والياً بها . وأخذ وهسوذان في التضريب بين أولاد أخيه وتفريق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفّي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطالبوهم بما لا يتسعون له حتى تمكّن منهم وقتل بعضهم وحرض على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد (٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الحلق والماشرا وكثر الموت بهذين الضربين (١) وموت الفجأة وكل من افتصد انصبت الى ذراعه مادّة حادّة عظيمة يتبعها حمى حادّة فيحتاج الى بطّ وما سلم أحد ممن افتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيّة عادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قطّ وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالريّ ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده (٢)

(١) لعله «المرضين» (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقلة الى كربلا لزيارة وبه فالج فمات في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مربعة أبي

﴿ ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها بالجبل خاصة فخربت الابنية وقتلت الخلق (١)

وفيها شغب الاتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى داره وأرادوا الفتك به فحاربهم بغلمانه وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيها ورد الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخطب ابنة معز الدولة ومعه أبو على ابن أبي الفضل القاشاني وزيرا ومعه أبو القاسم اسمعيل بن عبّاد يكتب له على سبيل (٢٢٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت لليلتين خلتا من جمادى الأُولى زُفّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه ثم حملها الى إصبهان

وفيها خرج معز الدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية الى قطربّل وضرب مضاربه هنالك وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عبيد الله . وزاد صاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وكان بالرى ونواحيها زلازل عظيمة وخسف بلد الطالقان فى ذى الحجة ولم يفلت من أهلها الا نحو ثلاثين رجلا وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري واتصل الامر الى حلوان فخسف بأكثرها وقذفت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالرى جبل وعلقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الارض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزى فالله أعلم . وقال أيضا . وفى سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والجبال فاتلفت خلقا عظيما وهدمت الحصون وجاء جراد طبق الدنيا فاتى على جميع الغلات والاشجار .

ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وتردّدت الرسل فأمر معز الدولة ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر أن تُقرأ وتُستوفى أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها : أنت ذاكر ما جرى عليك من تكين الشيرزادي فانه أخرجك من نعمتك وكاد يأتى على مهجتك فلجأت الىّ بعد عداوة سبقت امنك لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت لاحقاد واغتفرتُ الذنوب وآثرتك على تكين وهو اذ ذاك يبذل لى الخدمة والطاعة وحمل المال واقامة الخطبة ولا يلتمس منى الا ترك الدخول بينك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه فآثرتك . وأنفذت كاتبي وعسكرى بأموال أنفقتُها ومؤن تكلّفتها (٢٢٤) حتى أخذت بناصيته وسلمتهُ اليك فشفيت صدرك منه وعدتَ الى وطنك . ثم حصلتَ في يد وزيرى الصيمري حصول المستجير الذليل فوفي لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننت انك تعرف لى حقّ هذه النعمة وتُطالب نفسك عليها بالمجازاة فابيتَ الا غدراً بي وتقبيحا في معاملتي . وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء الاوفياء عملت عمل الاعداء الحزماء فكاتبتني تعرض نفسك علىّ في النائبة العظيمة التي نابتني في أوثق الناس عندى وتبذل لي معاونتك فكنتَ تنفذ عسكرك الى تكريت على انه مددٌ لي فان لاح لك استظهار مني تحمّدت علىّ وتودّدت اليّ وان لاح لك استظهار علىّ أظهرت ما في نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتوعُّد والتهدُّد بالمسير الى أعماله واستيصاله .

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عددت واني معترف به ووالله ما كان عن رأى ولا أمرت به ولكني شيخ لي أولاد أحداث يخالفونني في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأى لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفي ألف درهم فعجلها له (٢٢٥) والتزم مثلها في كل سنة فاظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلت بتلك الفتنة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست فخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخلف سبكتكين بالموصل . وأنفذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجي وهبة الله ابني ناصر الدولة بها وبلغهما خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلهما الامر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شيء فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الغارة والنهب

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجى وأخيه فعادا وكبسا العسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلمى المعروف بسياچشم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشيرمردى وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف

معز الدولة بعد الاستعلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تنحي من بين يدى معز الدولة الا يترك في البلد لا كاتبا (٢٢٦) ولا دليلا ولا أحداً ممن يعرف نفع السلطان وضره ويحشرهم

الى قلاعه مع حسباناته ودواوينه ثم يأمر الصماليك والعرب أن يتطرفوا البلد ويمنعوا العلافة ومن يخرج لطلب العلف والطعام الا أن يكون معهم عسكر قوىّ فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه فى ذلك أن يضيق الميَر والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك فى هذا الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها وخلف حاجبه سبكتكين بالموصل فلما صار ببرقعيد بلغه أن أبا المرجى وهبة الله ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما وندب لذلك جماعة من القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار وكان غلاما أمرد وضيء الوجه منهمكا في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حُنكة فاشار الوزير المهلبي الا يخرجه في مثل هذا الوجه وان يعدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل منه وأنفذه فى خمسمائة رجل فاشرفوا على أبي المُرجّي وهبة الله فارهقوهما عن تقويض الخيم واستصحاب شيء من رحالهما وافلتا على ظهور دوابهما وتركوا جميع مالهم (٢٢٧) فانتهبه العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا الحزم فنزلوها واستقروا فعطف عليهم أولئك وصارت الكبسة لهم فقتلوا وأسروا وغنموا ما شاؤا . وبقى معز الدولة فى عدد يسير ببرقعيد فى طريقه الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعى العساكر فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما قويت عدته سار من برقعيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى ميافارقين وفضّ جيشه عنه باسره وصرفهم فصار جميعهم الى معز الدولة في الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الي معز الدولة ورحل ناصر الدولة من ميافارقين الى حلب مستجيراً باخيه سيف الدولة فتلقاه أخوه باجمل تلق وقبله احسن قبول وخدمه بنفسه حتي تولى نزع خفه بيده . وكان

حامد بن النمس توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة يتطرفان الموصل فى الجانب الشرقى منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافة من عسكر الحاجب ويمنعان ورود (٢٢٨) شيء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذا من الثرثار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلى بن الصقر وحملاه الي القلعة ثم كبسا الحديثة وكان فيها محرز حاجب الوزير ابي محمد المهلبي وأبو العلاء ابن شاذان يتقلد عمالتها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزاً وحملا أبا العلاء الى القلعة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بحمل مال الي الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الي بغداد رد الرسول خائبا .

وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة الي نصيبين وسفر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأي عمرو الصورة استأمن الي معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الي ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيبين قاصداً الموصل

﴿ ذكر اتفاق صعب غير محتسب ﴾

لما صار معز الدولة بين الموزنية وآذرمة فى اليوم الخامس عشر من شباط (١) هبت ريح باردة (٢٢٩) مغربية ووقع دمق فتلف فى ساعات يسيرة

(١) زاد صاحب التكملة : وهو ثالث ذي الحجة

من النهار عدد عظيم من عسكره ولحق معز الدولة غشية وكاد يتلف من كثرة ما عليه من الوبر والخز . فقلع أهل العسكر سقوف آدرمه وأبوابها وأوقدوها فاطلق معز الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم ليبتاعوا بها مكان ما أخذ من انقاضها

﴿ ذكر تدبير سيء ورأي ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾
﴿ بعد فراغه من روزبهان ادى الي تخريب المملكة ﴾
(وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزبهان ان يطرد الديلم الروزبهانية بمسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متهمين عنده وكان وعدهم للعشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للكل لم يتسع له مع ان الفتح للاتراك وكان مائلا اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم ! فابتدأ بمجازى الاتراك بالاحسان فقود منهم جماعة واستحجب جماعة ونقب جماعة ورفع كل طبقة الي ما هو اعلى منها ونفى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم مالهم ويصير ذلك بازاء مايلزمه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهم الي الاهواز وكتب الي وزيره المهلبي بجمعهم (٢٣٠) من جميع النواحي والاعمال والتوكيل بهم والمسير معهم الي آخر الحدود ليتفرقوا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعدة الا انه تلطف واحسن التدبير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة . ثم حمل معز الدولة الاتراك على التحسب على الديلم وتعييرهم بشق العصا وخلع الطاعة وتقريعهم بهذا ونحوه وان عدد الاتراك مع قلته وفوا بهم حتى قهروهم واذلوهم . ثم رسم للاتراك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والتغلب على الاعمال والتسحب على العمال وذاك انه أمر بتسبيب مايستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقائهم المقيمين وان يقام لهم نزل يأخذونه راتبا في كل يوم الي ان يستوفى ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقيبا وأراد ان ينفعهم عاجلا لامؤبداً . وانفتح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضر عليه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقاتهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم (٢٣١) وصيروا اصول اموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسبيباتهم لم ينسبوا شيئا منه الى الاصل وقد بقي لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لئلا يرهقوا بالمال جملة فربما أقاموا سنتين وثلاثة . وحملت التجارات في سدورهم وإجازة مايحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولامؤونة ثم تجاوزه الى الدخول في التلاجيء فملكوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم فضعفت أيدي العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

وفيها وافي أبو محمد الفياضي كاتب سيف الدولة الى الموصل في المحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة بالفي الف درهم وتسعمائة الف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق الاساري الذين أسروا بسنجار. فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلبي والحاجب سبكتكين بالموصل والجيش باسره معهما (٢٣٢) الى أن يحمل

مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضي كاتب سيف الدولة

﴿ ذكر انحدار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾

(تمكنه من ديار ربيعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضاقة الشديدة التي لحقته بعد الامور التي ذكرناها وتأخر أموال الحمول عنه فعلم ناصر الدولة بذلك فانهزم من بين يديه وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فاني لاأقف للحرب . فاستأمن اصحابه الي معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضاقة معز الدولة ولم يمكنه ضبط النواحي ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لايصلون الى غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الي الانحدار ولكنه أنف وأقام على كره ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر الجميل وشكا اليه أخاه وقلة وفائه والغدر به مرة بعد مرة وقال له : ان ضمنته أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

﴿ وفي هذه السنة انقطعت الحمول من واسط الى البصرة والاهواز ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

السبب في ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستضامتهم العمال ومضايقتهم اياهم حتى اضطروهم الى بذل المرافق (٢٣٣) الكثيرة لهم فاقتنوا الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجيء فتغلبوا على حقوق بيت المال وصار العمال يعولون على الغلمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتنجزونها كما يتنجزون تسبيباتهم وتشبه بهم الديلم واصطلح الفريقان على هذا السبيل فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود وسألوا إزالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذي لا يرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والاتراك متطاولين مدلين فلو قمعوا لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة . فجرى الرسم بأن ينقل مارفعه العمال من فاضل ما عليهم الى السنة التي بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدبيراً متعرضاً لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة كالطفل الناشيء لهيبته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد على أولاده ولما أتي عليه الزمان بعد وفاته

وفيها خلع السلطان على الامير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد له لواء وقلده إمرة الامراء ولقبه عز الدولة (١)

وفيها أنفذ لواء وعهد الي أبي على(٢٣٤) [محمد] بن الياس وكان السفير في ذلك كله القاضي أبو بكر أحمد بن سيار الصيمرى وفيها مات أبو الحسن محمد ابن أحمد المافروخي وكان يكتب لمعز الدلة وكتب له بعده أبو محمد على بن عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفي وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر ابن أبي سعيد

وفيها كانت وقعة بين على بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين بيستون ابن وشمكير فكانت على بيستون

وفيها غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب العيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصبهاني وزوجه بابنة أبي منصور لشكرورز بن سهلان فماتت بعد الاجتماع والانتقال وقد كان زوجه بابنة روزبهان فانقطعت بعصيان أبيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة ابي على محمد ابن الياس صاحب كرمان وانفذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمرى القاضي فتمت الوصلة ولم تقع النقلة . وقال أيضا : وفي هذه السنة توفي لشكرورز بن سهلان بعلة القولنج وتبعت وفاته وفاة أخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتهما أمد قريب

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة

وفيها غزا الروم المسلمين فأسروا وقتلوا وسبوا [١] وانصرفوا وذلك في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة)

وفيها ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلا من قواده يسمى بختكين [وكان] من وجوه قواد الاتراك فاضطربت خراسان لاجله

وفيها ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفي بالله ظهر بناحية أرمينية وتلقب بالمستجير بالله يدعو الى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا الرجل مضى الي بلد الجيل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفية (٢٣٥) والمسودة والمتسبين الى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا الي آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ماكان في يد سلار الديلمي . ثم ورد الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلار بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب بالمستجير بالله فاسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة الجيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن شرمزن تحصن بسور أرمية وكان وهسوذان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي حلب واسروا ابا الهيثم ابن القاضي ابي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلمانه من سواد حران.

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمى وانفق بين النعيمى وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمى استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخي جستان وكان يومئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعده أن يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقيم مقام أخيه فعمل ابراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بالاّ يفعل (٢٣٦) فخالفهم وركب هواه وسار الى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ماسكنا اليه فصاروا الى المراغة واستولوا عليها . وقدكان جستان ابن المرزبان صار الى برذعة فلما عرف خبر أخيه ابراهيم وانحيازه الى جستان ابن شرمزن عاد الى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمى وبذل لهما كل مااقترحاه فعاد الي موالاته وتركا ابراهيم وانصرفا عنه الى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى ابراهيم ذلك عاد الى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمعان كل واحد من الاخوين أعني ابراهيم وجستان ابنى المرزبان أنهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلعة في داخلها منيعة واستكثرا من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوين مما نية ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصداه . واتفق ان هرب أبو عبدالله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار الى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفى بالله المتلقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال (٢٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما أطمعه النعيمى صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وبايعه الناس . وسار اليه جستان وابراهيم ابنا المرزبان في جموعهما فلما عبي جستان عسكره تقدم اليهم بان يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم الفضل بن أحمد الكردى القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهدايانية وتلقاهم الهدايانية وابتدأوا بالحرب فانتقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فما شك أصحابه في انهزامه فاقتفوا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهدايانية وأصحاب جستان وابراهيم اكتافهم واضطر جستان بن شرمزن الى الانصراف الي ارمية وظفر باسحق بن عيسي بن المكتفى بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنفه فى الحبس

وتم لوهسوذان تفريق كلمة بنى أخيه وذلك (٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دواب وكاتب ناصراً واستغواه حتي صار الى موقان مفارقا لاخيه ووجد الجند سبيلا الى اقامة سوقهم والمطالبة بالاموال ففارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجأ أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنسير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفى به وقعد به عمه وهسوذان فعلم حينئذ ان وهسوذان عمه كان يغويه وعرفا جميعا مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعته وصارا جميعا الى أردبيل

على اضاقة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطرا الى الخروج الي عمهما وهسوذان مع والدة جستان بعد أن توثقوا منه بالايمان الغليظة والعهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكث واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسوذان وسلم اليه أكبر قلاعه شميران وأخرج الاموال وأرضى الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكى صاحب جيشه واخرجه الى أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الى أرمينية فتأهب (٢٣٩) لمنازعة اسمعيل ومحاربته ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمهما وهسوذان وكان وهسوذان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما عرف وهسوذان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمهما وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا اليه وزحف اسمعيل فهرب ابراهيم الي أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريبا منه فاستولى على عسكره وملك المراغة وأضافها الى أرمية

وفيها غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثر في بلدان الروم آثارا عظيمة وأحرق وفتح حصونا وحصل فى يده سبي كثير وأسارى وانتهى فى غزوه الي خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فما تهيأ له ان يتخلص الا بجهد عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع منه السبي كله والاسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه وقتل من الوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمس وموسى بن سيا كان والقاضى أبو حصين (٢٤٠) وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفا وخرج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

﴿ ذكر السبب فى سلامتهم ومصاب سيف الدولة ﴾

كان هذا الرجل أعني سيف الدولة معجبا يحب أن يستبد برأيه والا تحدث نفسان انه عمل برأي غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بان يخرج معهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب هو بماله وسواده وغلمانه

وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابي العربان أخو عمران بن شاهين وصار الى واسط بحرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في ذي القعدة ولقى معز الدولة

وفيها أملك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي [1] بابنة الوزير أبي محمد المهلبي

وفيها مات ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي [2]

وفيها اسلم من الاتراك نحو مائتى الف خركاه

وفيها انصرف حاج مصر بعد ان قضوا حجهم فنزلوا في واد بمكة فلما كان بالليل حملهم الوادى وهم لايشعرون فغرق اهل مصر وكانوا عددا

(١) قال صاحب التكملة: وفى هذه السنة انحدر أبو أحمد الشيرازى كاتب المستكفى بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه أبا الفضل مائة الف درهم وحصن به

(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون : وأنزله معز الدولة دار حسنة على دجلة وأطلق له ضياعه القديمة التى كانت لابيه فى السواد وأقطعه اقطاعا بعشرة الاف دينار ورسمه بمنادمته ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع أخوته وولده متمتما بملاذه متمتعا بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكبسهم الماء مع امتعتهم الى البحر (٢٤١)

﴿ ودخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتنع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى الوزير ابا محمد المهلبي فى الليل والحاجب سبكتكين فاصلح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فاما كان آخر الليل بال دما بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سلم داره وكراعه وغلمانه الي ابنه عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع المهلبي الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاة به وخرج في عدة يسيرة من غلمانه وخاصته ليمضي الي الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور
الصلاح والبرء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشعاره ان بغداد هى التى أحدثت له الاسقام وهى التى افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاهواز وهى ايام شبابه ووفور قوته وظن أن الاهواز هي التى كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبي بابنه عز الدولة وبالجيش وغيره مما كان فى نفسه وانحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبي بان يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يعجل فأقام بكلواذى وأخذ (٢٤٢) في تقدير بناء قصر ثم انتقل الي الشفيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب قصرا ثم صاح من علته وابو محمد المهلبي في كل ذلك يعلله ويصرف رأيه لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التي تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم

من اوطانهم ومألفهم ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتي صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب] ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه وماؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو فى اعلى بغداد من الجانب الشرقى بقصر فرج واخذ في هدم ما يليه من العقارات وابتياعها من اهلها الي حدود ربيعة الدور وكلف ابا القاسم ابن مكرم وابا القاسم ابن جستان العدلين ابتياع العقارات المجاورة له . واصلح ميدانا على طول دجلة وبنى الاصطبلات على نهر مهدى وقلع الابواب الحديد التي على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتى بالرصافة وعلى شارع نهر المعلى ونقلها الي داره ونقض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الجبس المعروف بالحديد وبني به داره وبالآجر الذي استعمله وطبخه في الاتاتين ووثق البناء واختيرت له الالات (٢٤٣) والجص والنورة وبالغ فى الاحكام وجلب له البناءون الحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سفلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الي وجه الارض بالنورة والاجر الي ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الى ان مات ثلاثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقيما طول المدة فى بستان الصيمرى ثم انتقل الى الدار التى بناها في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥ قبل أن يستتم بناؤها (١)

---

(١) وفى تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقي مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من يراه

وفيها مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لابي جعفر الطبرى وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيأ كثيراً ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بعضهُ قراءة عليه وبعضهُ اجازة لى وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولى معه اجتماع كثير.

وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عُتبة بن عبيد الله (١) وقُبضت أملاكه وصودر محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلبي بحضرتي ضرب التلف لما كان بلغه [عنه] من التخرم والتهتك في أيام (٢٤٤) أبي السائب ولم يكن به الا التشفي منه فنثر كعابهُ ضربا. وكان هذا الرجل عاهرا يتعرض لحرم الناس وكان مرسوما بحجبة قاضي القضاة فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلا مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه

وفيها مات أبو نصر ابراهيم بن على بن عيسى كاتب الخليفة فجأة وتقلد كتبة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا

وفيها قبض معز الدولة على أبي على الخازن (٢) وأبي مخلد وأبي الفرج

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته. عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني القاضي ابو السائب كان أبوه تاجرا يؤم بمسجد همذان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء التصوف والزهد وسافر فلقي الجنيد والعلماء وعني بفهم القران وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه الي ان ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٣٨ وتوفي في ربيع الاول وله ست وثمانون سنة وقد سمع في الكهولة وحدث عن عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى وهو اول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن ابراهيم النصراني. ليراجع ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير المهلبي وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلبي رحمه الله يقصد أبا علي الخازن لشيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا مخلد وأبا الفرج فذكر لمعز الدولة انه يلزم مالا ويلزم كل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتجنه ولا يحتاج اليه مالا يتم به أمر البناء وكان معز الدولة شديد الثقة بأبي علي الخازن وكان أبو علي كثير التمويه متناقرا يظهر من الفقر والاقتصاد أكثر مما يحتمل مثله فقال معز الدولة للوزير أبي محمد : ما تريد من هذا البائس (٢٤٥) الذي قد قنع منا بالقوت اليسير ؟ فقال له الوزير : أنا أستخرج منه وحده ما يحتاج اليه للبناء . وتكلم على غيره بقريب من ذلك فسلم الجميع اليه فحضرتُ مناظرة الوزير أبي محمد للجماعة .

أما أبو مخلد فانه لما خوطب والتمس منه مال قال : اني خدمت الامير معز الدولة ولا أملك الا طنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأثاثا وغلمانا ورُوقة وفرشا فالى ان أعود الى رأس مالي فانا على الربح . فالزمه الوزير خمسمائة الف وجزاه الخير وصرفه الى منزله بعد ان أخذ خطهُ بها فلما خرج التفت الوزير الينا وقال : هذا رجل مقبل كنت أظنه يتمانن ويخاطبني بحسب دالته وموضعه من الامير فقد اتقاني بما قال وحمى نفسه وعرضه وماله وهكذا يصنع الاقبال بصاحبه .

وخاطب أبا علي الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستبيت ولم

يستجيب الى شيء بتة فنُحي من بين يدى الوزير ووُكّل به في ناحية من الدار .

وأما أبو سهل ديزويه فتمارض وشد رأسه بخرقة فأحضر كرّازا ووضعهُ عند رأسه وقال : أنا غريب . فاضحك الناس من نفسه وأعرض الوزير عنه ذلك اليوم

وأما أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة (٢٤٦) فأخذ خطه بثلاثمائة الف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي الفرج صاحب الديوان أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة الف فلما كان بعد أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويُجريه مجرى أبي الفضل ففعل ذلك به .

وبقي أبو علي الخازن على لجاجه لا يلتزم شيأ ثم أنعم بعد التهديد بشيء وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه الوزير وظن ان ذلك يبلغ الامير فيكون سبب اطلاقه فخاطب معز الدولة الوزير فيه وقال : ألم أقل لك انه لا يملك شيئاً . فقال : أيها الامير لا تلتفت الى مخاريقه وخداعه ودعني أستخرج منه مالا عظيما . فسكت عنه وراسل أبو علي الخازن كل من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر وان الوزير يقصده فلما كان في بعض الليالي لسعهُ في ظهره شيء أدماه وتألم منه وكان موضعه الذي وكّل به فيه من دار الوزير موضع غمّ فيما تقدم فظنه الناس لسع طيّوع وقالوا : ليس شيء من الهوام يُخرج بلسعته الدم الا هذا الحيوان أو الافعى . فاتفق ان مات أبو علي الخازن بعد أيام قلائل في اعتقاله وقلعت على الوزير أبي محمد المهلبي القيامة وخاف ان يتهم به ومع (٢٤٧) ذلك فلم يكن ارتفع من جهته الا شيء نزر قليل ثم عرف انه قد وصل اليه من القروض ضعاف ما أداه في مصادرته فتعجب من جلادته وتوقّع عتب الامير معز

الدولة في بابه ووطّن نفسه على [كل] مكروه . ثم رأى ان يبتدىء معز الدولة ويستأذنه في البحث والتنقير عن أسبابه وأظهر انه على ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهته حتى سكّن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنه يرّد عن نفسه في الحال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالا كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض على غلمانه وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتّهم موضعا من داره بدفين أو يتّهم مُعاملا له بوديعة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيأ مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد ولست أتّهم أحدا الا أنه طرد غلاما له مزينا من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياما . فعبر الوزير بنفسه الى دار أبي على الخازن والتمس حجرة المزيّن وكان غلاما حبشيا أو نوبيا فجلس فيها فحفر مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه (١) وكان في جملة المدفون آلة شبيهة (٢٤٨) بميزان أعني بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترابيعه شبيها بحوض وعليه طبقة مهندما عليه وهو خال لا شيء فيه فعجب منه ثم قلب ذلك الطبق فوجد عليه كتابة فحمل تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فعهدي به يقلّب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٣ ويقال فيه ان الوزير استخرج عدة قماقم فيها نيف وتسعون ألف دينار

مفردة لا يقترن بها شيء يستدل به على صاحبه . فما شك الوزير ان تلك الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « عليّ » مكررا فان استخرجناه أخرج لنا باقي الاسماء . فقيل له : كم من رجل اسمه عليّ كان يواصل هذا الرجل . فقال : لا تفعلوا فان المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان منهم يصلح للوديعة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أظنه « أحمد » فقال : هذا اسم صيرفي في دار أبي على (وهو في درب عون) فاحضروني به . فأحضر وقال له الوزير : قد وجدنا ثبتا باسمك وبخط أبي على بمبلغ ما عندك فانفذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون [٢٤٩] له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به فحبسه وقيده بقيد ثقيل فيه ثلاثون منا فتفسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدّده فاعترف . وكان باسمه سبعة أنوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « انوكى » فقال الوزير : فطالبوه بسبع بدر دنانير استظهارا . ففعل ذلك فوافق تخمينه صحة الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه . وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانبسط لسانه وجاهه وصار مقبول القول عنده بعد ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له منه امانة وثقة ودينا . وتقلد مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبي على

وفيها تقلد القاضي أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب القضاء في جانبي بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاة وخلع عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة [1] وبين يديه الدبادب والدرك والبوقات وفى موكبه الغلمان الاتراك والجيش . (٢٥٠) وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسلان الجامدار فتى معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانة الامير فى كل سنة مائتى الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجعلت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضى في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضى ما فعله من سماجته وقبح ذكره سببا لان ضُمِّنت الحسبة ببغداد وضمنت الشرطة بعشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الاهلّة وهذا القاضى مع قبح فعله قبيح الصورة مشوّهها .

وفيها وافي أبو القاسم أخو عمران مستأمنا .

وفيها ورد الخبر بان عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر [2] به فرسه فمات وافتتنت خراسان ونُصب مكانه أخ له يسمى منصورا

وفيها حُمل الى ابراهيم السلار من دار السلطان خلع وعقد له على آذربيجان . [3]

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة [4]

---

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب فى تاريخ الاسلام (٢) لعله « تقنطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب التكملة : وفي شعبان ابتدىء ببناء المغيض بنهر الرفيل تولى البناء أبو بكر ابن الحلبي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فقلت السنة من حيث الغلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ كذا فى ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) كتابا عن المطيع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيها دخل الامير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها وشمكير الى جرجان واستأمن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل

وفيها ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سفح جبل والجبل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ قطعة من جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل عين زربة ان الجبل قد مُلك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان مع الدمستق دُبّابات كثيرة وانه قد أخذ في نقب السور طلبوا منه الامان فامنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اعطائهم الامان فنادى فى البلد من أول الليل بان يخرج جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر فى منزله قُتل فخرج من أمكنه الخروج فلما أصبح أنفذ رجالته فى المدينة وكانوا ستين الف رجل وكل من وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عالما من الرجال والنساء والصبيان والاطفال وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان في جملته أربعون الف رمح وقُطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة . ونادى

(٢٥١) ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالتقريب وان الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفى كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا » فكانت هذه الزيادة بازاء ذلك فاما الفرس فانهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهورها اثنى عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور اثنى عشر لقبا وسموا الايام باسامي وأفردوا الايام الخمسة الزائدة وسموا المشرقة وكبسوا الربع فى كل مائة وعشرين شهرا فلما انقضت ملكهم بطل ذلك . . . . وذكر كلاما طويلا حاصله تعجيل الخراج وحساب أيام الكبيس .

فيمن حصل في المسجد الجامع من الناس بان يخرجوا عن البلد الى حيث شاؤا وان من أمسى ولم يخرج قتل فخرج الناس مبادرين وتزاحموا في الابواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ومروا على وجوههم (٢٥٢) حفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات ومن وُجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلّفه الناس من أمتعتهم وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل . وبقي الدمستق مقيما في بلدان الاسلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التى فتحت بالامان حصن أمر أهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض بعض الارمن للنساء اللواتى خرجن منه فلحق رجالهن غيرة عليهن فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق منهم وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حدثة أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بعد الفطر وزعم انه خلّف جيشه بقيسارية . وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فاوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة وأنفذ اليه رسلا فلما وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحه واعتمّ وخرج الى روشن داره وكانت داره على شاطئ نهر فرمى بنفسه من داره الى (٢٥٣) النهر فغرّقها

وفيها دخل ركن الدولة جرجان وذلك في المحرم

وفيها ورد الخبر بان صاحب خراسان أنفذ جيشاً كثيفا الى غلام له

شذ عنه يقال له الفتكين وان الفتكين أوقع بالجيش وهزمه واستأسر وجوه القوّاد وفيهم خال صاحب خراسان

وفيها لقّب الخليفة الامير أبا شجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب .

وفيها أسر الروم أبا فراس ابن أبي العلاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الي حلب وملكها وكان الدمستق وافاها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لانها كانت كبسة فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل أكثر من معه وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابنٌ للحسين بن حمدان فانهزم سيف الدولة فى نفر يسير وظفر الدمستق بداره وهى خارج مدينة حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثلثمائة وتسعون بدرة فأخذها ووجد له الف وأربعمائة بغل فتسلمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الربض . وقاتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلمة[٣٥٤] من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطمع الروم فى تلك الثلمة فأكبوا عليها ودفعهم أهل البلد عنها فلما جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا وعلوا عليها وكبروا وبعد الروم قليلا الى جبل هناك يعرف بجبل جوشن . وذهب رجالة الشرطة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس « الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت » فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا الى منازلهم مبادرين ليدفعوا عنها فلما رأي الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضعوا السيف في الناس فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى الروم الف ومائتا رجل فتخاصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادي بهم فأخذهم الدمستق وسبي من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار مالا يحد ولا يوصف كثرة فلما لم يبق معه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد (٢٥٥) الى الحباب التي يحرز فيها الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد وأقام فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل البلد قبل أن يفتحه الامان على أن يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حدّها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا له الى ذلك . وذكر انعدّة رجاله كانت مائتي الف رجل وانعدة أصحاب الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للهدم ولتطريق الثلج أربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره (١) بالليل وخركاهات عليها لبود مغربية فمن صعد قلعة حلب تخاص بحشاشته فلما كان بعد تسعة أيام أراد الدمستق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقال له ابن أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازائنا من يدفعنا عنه ومن كان فيه من العلوية وبنى هاشم والوزراء والكتاب ومن لهم أموال مقيمون في القلعة فباى سبب ننصرف عنه قبل فتح القلعة ؟ فقال له الدمستق : قد وصلنا الى

(١) وفي التكملة · يحتدقون به على عسكرهم

مالم نسكن نقدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وسبينا وأسرنا وأحرقنا وهدمنا وخاصنا أسراءنا وأخذنا من أردنا أن نفادي به بلا فدية وغنمنا غنيمة ماسمع بمثلها (٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عُراة واذا نزلوا هلكوا لانهم لايجدون قوتا والرأي ان تنصرف عنهم فان طلب النهايات والغايات ردى . فأقام ابن أخت الملك على أمره ولجّ وقال : لا أنصرف أو افتح القلعة . فلما لج قال له الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تقود من فيها الى فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريدُ فاني أنا مقيم في عسكري على باب المدينة . فلما كان من غد ترجل وأخذ سيفا ودرقة وصعد راجلا والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يحمل أن يسلكه أكثر من واحد فصعد وتبعه أصحابه واحدا واحدا . وقد كان حصل في القلعة الجماعة من الديلم فتركوه حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجرا فوقع عليه وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماهُ واحد من الديلم بخشب فانفذ صدره وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولا أحضر من كان أسر من المسلمين فضرب أعناقهم باجمعهم . وسار الى بلد الروم بما معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها وقال لاهلها : هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا في العمارة فانا بعد قليل نعود اليكم (١) (٢٥٧)

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ علي بن محمد الشمشاطي (وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذي القعدة أقبلت الروم فخرجوا من الدروب فخرج سيف الدولة من حلب فتقدم الى عزاز في أربعة آلاف فارس وراجل ثم تيقن أنه لا طاقة له بلقاء الروم لكثرتهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك ثم جاءه الخبر بان الروم مالوا نحو العمق فجهز فتاه نجا في ثلاثة آلاف لقصدهم ثم لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظهر بنفسه . ونادى في الرعية : من لحق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بان قوما من رجالة الارمن صاروا الى الرها فاستاقوا

دينار . فلما سار فرسخا لقيه بعض العرب فاخبره ان الروم لم يبرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قويق ثم تحول من الغد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للرعية . واشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوقع القتال في اماكن شتى فلما كان العصر وافى ساقة العدو في اربعين الف راجل بالرماح وفيهم ابن الشمشقيق وامتد الجيوش على النهر واحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما ساواهم لوي رأس فرسه وقصد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمشقيق في عشرين الفا فانكى في اصحابه وانهزمت الرعية الذين كانوا على النهر عند ما انصرف سلطانهم واطابهم السيف وازدحموا في الابواب وتعلق طائفة من السور بالحبال فقتل منهم فوق الثلاثمائة وقتل من الكبار ابو طالب بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي وامر كاتب سيف الدولة الفياضي وابو نصر الي ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملاعين ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصى .

ثم تقدم من العدو منتصر حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين تعتمدون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق فقربهما وقال : اني احببت ان احقن دماءكم فتخيروا اما ان تسلموا البلد او تخرجوا عنه باهلكم . وانما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه في مشاورة الناس فلما كان من الغد اتى الحاجب فقال : لتخرج الينا عشرة منكم لتعرف ما عمل عليه اهل البلد . وكان رأي اهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صح ما بلغني عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلغني انكم قد اقمتم مقاتلتكم في الازقة مختفين فاذا خرج الحرم والصبيان ودخل اصحابي للنهب اغتالوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحلفوا . فحلفوا له وانما اراد ان يعرف صورة البلد فحينئذ تقدم بجيوشه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القلعة . ونصبت الروم سلالم على باب اربعين وعند باب اليهود وصعدوا فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضي الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وبقي السيف يعمل بها ستة ايام الي يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة فزحف الدمستق وابن الشمشقيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمشقيق من عظمائهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى مخيمه ونودى : من

خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا نفرا من المسلمين وانصرفوا موفورين

وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكثم القضاء بمدينة السلام على أن يتولى ذلك بلا رزق وأعفى مما كان يحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب [1] وخلع عليه وأمر بالا يمضي شيئا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم قلد قضاء القضاة .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلبي ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الآخرة فانحدر وبلغ الى هلتى [2] من فم البحر واعتل فكنت أسمع من طبيبه فيروز بانه مسموم لا محالة وكنت أساله عمن سمه فلا يصرح باسمه الى ان كان بعد ذلك بمدة وانقضت تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ

كان معه أسير فليقتله . فقتلوا خلقا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو قنسرين وكانت نجدة لهم فتوهم الدمستق أنها نجدة لسيف الدولة فترحل خائفا .

وفيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الجامدة برد وزن البعض منه رطل ونصف بالعراقي

وقال صاحب التكملة : وفيه خلع معز الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو ابن فسانجس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين

(١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي الشوارب عن القضاء وقد ذكر انه ضمنه فكان النظار يحيلون عليه بمشاهرة الساسة والنفاطين وكانوا يجيئونه ويشدون نالهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخور . فأتى أبو عبد الله ابن الداعي العلوي معز الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا رضي الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تقطعني ما على القضاء » وتأمر بازالته . قال : قد فعلت . وهكذا رواية ابن الصابي في كتاب القضاة لابي عمر الكندي ص ٥٤٥

(٢) وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٤ . ٩٧٩ : هلتا

داره والمستولى على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعم الى حر شديد وشقاء كثير وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سمه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا أنهم يسلمون ويعودون (٢٠٨) الى نعمهم . وكان فيروز الطبيب لما أحس بذلك استأذن في العود الى بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب في مال كثير فامتنع ثم أرهب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف . فلما كان في النصف من شعبان ثقل ورد الى الابله زائل العقل مسبوتاً فيئس منه وعملت له آلة شبه المحفة يحمله أربعون رجلا يتناوبون عليه وينام فيها ورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزاوطا .

وكان معز الدولة لما سمع بخبر علته أنفذ أبا علي حمولي اليه لتعرف خبره وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفى ان يحتاط على تركته واسبابه ففعل ذلك وقبض على كتابه وأسبابه وحمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان (١) وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالتوبخنية بمقابر قريش . وروى أيضا عن أبي على التنوخي الحكاية التي وردت في ارشاد الاريب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان المهلبي قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني الكاتب واستكتبه على خاصه وأطلعه على أموال وذخائر دفنها فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذين وعوقب أشد عقوبة وضرب أبرح ضرب وهو لا يقر بشيء ولا يعترف بذخيرة . فعدل أبوالفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فسانجس) الى تجنى (وهي أم أبي الغنائم الفضل بن الوزير المهلبي) وأمرا بضرب ابنها أبي الغنائم بين يديها فبكي من عرفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان مولاى المهلبي فعل هذا بي حين استدعي الآلات المعقوبة لزوجة أبي على الطبري لما

ومن دخـل يوما اليه مثلا وصودروا حتى المكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله الا على عـدو مكاشف واستفظع الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة . وكانت مـدة وزارته ثلاث عشرة سـنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن الكتاب الكرم والفضل رحمه الله .(٢٥٩) ولما مات الوزير أبو محمد المهلبي رحمه الله نظر أبو الفضل وأبو الفرج في الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيها ورد الخبر بأن الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ودخل نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فغنم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا العلاء ابن أبرونا . فاحضروه وحمل في سبنية بين أربع فراشين فطرح بين يديها فجعلت تسأله عن شيء شيء وهو يخبرها بمكانه حتى كان في جملة ذلك ثلاثون الف دينـار فقال له من حضر : ويلك ألست من الآدميين ! تقتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وأنت لاتعترف ! فقال : ياسبحان الله أكون ابن ابرونا الطبيب الفصاد على الطريق بدانق ونصف دانق يأخذني الوزير أبو محمد ويصطنعني ويجعلني كاتب سره وأعرف بخدمته واطلع الناس على ذخيرة دخرها لولده ! والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلكت . فاستحسن فعله وكان ذلك سببا لاطلاقه وتقدم بذلك عند أبي الفضـل وأبي الفرج وابن بقية وتوفي سـنة ٣٦٩ في أيام عضد الدولة . وروى أيضا عن التنوخي : قال المهلبي : لما عزم معز الدولة على إنفاذي الى عمان طرقني أمر عظيم فبت بليلة مابت في عمري مثلها لافي فقري ولا في صـغر حالي وما زلت أطلب شيأ يسلي به عما دهمني فلم أجد الا أني ذكرت أني كنت حصلت في أيام صباي بسيراف لما خرجت اليها هاربا فعرفت هناك قوما أولوني جميلا وحصلت لهم على أياد ففكرت وقلت «لعلي إذا قصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعقابهم فأكافيهم على تلك الايادي» فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل عليّ ووطنت نفسي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ليراجع ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الاريب ٣ : ١٨٣

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان عليلا من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين فلما خرج نجا والطرسوسيون عاد سيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن منها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنحا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلم عليه ويهنئه بعيد الفطر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبا الحسين ابن دنحا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان فى يده فوقع فى لبته ومضى يركض يريد الهرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك انفيرة لحقته من تعرض ابن دنحا لغلام من غلمانه . وبلغ هبة الله أن عمه لم يمت وأنه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما فعله بابن دنحا فجد فى السير الى حران .

وابن دنحا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل (٢٦٠) ببغداد الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحين الى ماذكرت . فتبع نجا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأوهم أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستنجده لينجده بالرجال ويقيم بحران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بان يحلفوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسلما لمن سالمه وظن أهل حران أن الذى خبرهم به صحيح فحلفوا له على ما أراد واستثنوا فى يمينهم الا أن يكون الذى يحاربه عمه سيف الدولة فانهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نما أخو نجا غلام سيف الدولة فاغلق هبة الله واهل حران ابواب حران فى وجوههم وعلم نما انه لا يمكنه فيهم حيلة فاظهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن وميافارقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجا (يعرفه ما جرى ويغريه بأهل حران فسار نجا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل حران فنزل نجا) خارج حران وخرج اليه وجوه اهلها واشرافها وهم سبعون شيخا ليسلموا عليه فوكل بهم وتهددهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف الف درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب فى وجه اخيه ولم يسمع لهم عذرا وجرت [٢٦١] لهم معه خطوب الى ان تنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجالة والزمهم الاجمال الثقيلة ورسم ان يستخرج له المال فى يوم واحد وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام وتقسط المال على أهل البلد وأدخل فيه المليّ والذمى والسوقة والنساء الارامل وغيرهم ووضع عليهم المعيّ والضرب فى دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم فاخرجوا أمتعتهم وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ولم يجدوا من يشترى لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون فاشترى اصحاب نجا الامتعة والحلي بحكمهم وعما أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد وافتقر اهله وانصرف عنهم نجا الى ميافارقين بعد ان استوفى جميع المال وترك البلد شاغرا بلا سلطان فتسلط عليهم العيارون . وأظهر نجا الخلاف على مولاه سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع فى هذه السنة أحد بديار مضر كبير شيء للجور الذي كانوا فيه . [١]

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان) ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الهراسين والطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعور مضجات يلطمن في الشوارع ويقمن المأتم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد

وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذى الحجة عمل عيد غدير خم وضربت الدبادب

﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر من حرّان بانه اجتاز بهم الغازى الوارد من خراسان في نحو خمسة (٢٦٢) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق اذربيجان ثم الى أرمينية ثم الى ميافارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازى اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة . وكان ببلاد ارمينية وملازجرد رجل يعرف بابي الورد قد استولى عليها فطمع نجا فيه ولم يلتفت الى حديث الغزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الي مقابر قريش للصلاة هناك والي مشهد الشيعة

(٢٦٢) واستنصرت الروم على الاسلام بكائنة حلب فضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي ظهر فيها اسباب العدو ومزقهم فلله الامر وما شاء الله كان . ففيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ناصر الدولة فضمن لهم الغزو . ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخلافة ومعهم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الي الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فعرفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمني ماجرى وأنتم تعلمون أن سبق معزالدولة وأنا أرسله في هذا . فقالوا : لانقنع الا بخروجك أنت وان تكتب الى سائر الافاق وتجمع الجيوش والا فانعزل لتولي غيرك . فتلطفه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب ومعه الاتراك فصرفهم صرفا قبيحا ثم ابطأ الله وجاءت الاخبار بموت طاغية الروم وان الخلف وقع بينهم في من يملكونه . فتابع عسكر طرسوس ودخلوا أرض الروم في عدة وافرة وأوقعوا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر مثلها فلما وردوا الى الدرب اذاهم ابن الملايني على الدرب فاقتتلوا طول النهار ونصر المسلمون . وبلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فبادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة الف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستظهار على العدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطف على ملطية فملا يديه سبيا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا الورد[1] فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله مايكثر قدره فاقام في القلعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش. ومضى الغازى الخراساني الى سيف الدولة فلما اجتمع معه نفر الى المصيصة وورد الخبر[2] بنزول الروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدمستق وانه اقام عليها سبعة أيام ونقب في سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لما ضاقت به الميرة وغلا السعر وبعد ان أقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً. وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس. ولما مضى سيف الدولة (٢٦٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراساني لشدة الغلاء في الثغور وبحلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان. وقبل انصراف الدمستق عن المصيصة[3]

---

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميافارقين : وصل الخبر بان أبا الورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلك وملك البلاد جميعها نجا غلام سيف الدولة وقتاه. وقال أيضا في هذه السنة حضر نجا ميافارقين ليأخذها ويسلمها الى معز الدولة وأمده بالعساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي الورد وثب على ملازجرد وأخذها فانفصل عن ميافارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميافارقين فنهبت عسكره.

(٢) زادصاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستنجد أهل اذنة بأهل طرسوس فجاءوهم في خمسة عشر الف فارس وراجل فالتقوا واشتد القتال وركب المسلمون أقفية الروم وأتبعوهم فخرج للروم كمين اقتطع اربعة الاف راجل فقاتلوا عن أنفسهم وتحيزوا الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم نازلوا المصيصة الخ. وفيها ملك المسلمون حصن اليمانية بجيلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد. (٣) وفي الاصل : الضيعة.

وجه الى أهلها بانى منصرف عنكم لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوفة وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعى فلينتقل ومن وجدته بعد عودي قتلته .

وفيها اجتمع الاكراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فملكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء فان الدمستق قد جمع الجموع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بحران مقيم بعد الذى جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور فى معاملاتهم وان الغلاء بها وبالرقة شديد جدا .

وفيها استهدى الهجريون من سيف الدولة[٢٦٤] حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهى من حديد وسد مكانها وأخذ حديدا بديار مضر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : انا قد استغنينا عن الحديد . فاخذ القاضى أبو حصين الابواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب الهجريون يلتمسون الحديد فأخذ الابواب التى عملها أبو حصين وسائر ماقدر عليه من الحديد وحمله فى الفرات الى هيت ثم منها اليهم فى البرية .

وفيها ورد أبو الحسين الباهلى برسالة ناصر الدولة ليقرر مابينه وبين معز الدولة فتقرر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلثمائة الف درهم وعن سنتى ثلاث وأربع الفي الف درهم يتقدم منها مائتى الف درهم والباقي فى نجوم . ولما تقرر الامر بذل ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبي تغلب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادى الآخرة وردت الخمسمائة الالف الدرهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزانة . وأظهر معز الدولة الاصعاد الى الموصل وأخذ يستعد له فسأله الباهلي التوقف (٢٦٥) عن المسير الى أن يمضي برسالة الى ناصر الدولة ويعود فقيل له : تمضي وتلتمس رد مالزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربه الى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومد الجسر الذي ببغداد الى السن وعقد هنالك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة و بذل ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عوضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتمم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على لقائه رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخلف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الغلات و يستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي ووهري وجماعة من الاتراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه سار من نصيبين الى ميافارقين (يوم السبت للنصف من شعبان وسار خلفه الحاجب الكبير فلما قرب من ميافارقين) رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه (٢٦٦) وانه لايدري اين قصد فرحل معز الدولة

للوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة واخوته الى الموصل ووقع بينهم و بين من خلفهم معز الدولة بها حرب شديدة وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب معز الدولة التي كانت ببلد وزواريق العسكر التي كانت بالموصل و بلغ ذلك معز الدولة فسكنت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا بيكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معز الدولة الذى كان خلفه بالموصل واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ تراسهم وأحرقها ووهب لكل واحد منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسر بكتوزون وسبكتكين وسائر الاتراك ووهرى وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فياذه وكان قد أصعد من الاهواز ليتظلم الى معز الدولة من وضيعة لحقته في ضمان كان في يده [1] وأخذ بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي الف درهم كانت (حملت اليه من بغداد ومائتي الف درهم كانت) للحاجب وحمل جميع ذلك مع الاسارى (٢٦٧) الى القلعة . و بلغ ناصر الدولة وأولاده مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وصار معز الدولة الى برقعيد ولم يكن عنده ما جرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقعيد ان ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعدل من برقعيد الى الجزيرة . فبلغه اقبال حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو مستأمن اليه مع علوان القشيرى وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

(١) وفي التكملة : وكان قد ضمن الاهواز واصعد منها ليفسخ ضمانه

وبلغه فى طريقه ماجرى على أصحابه بالموصل فكتب الى الحاجب وهو بنصيبين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد وانفذ سواده الى تكريت . ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنا وسار يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة يلتمس الصلح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى ولم يهج فى ايام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم واظهر جميلا

ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتكين خاربه هناك وأقبل معز الدولة الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاء معز الدولة فنزل مكانه واستأمن (٢٦٨) اليه هزارمرد الصغير من غلمان أبى تغلب وجاء المسيّب والمهيأ بكشمرد أسيراً فخلع على المسيب والمهيأ وطوّقا وسوّرا . وراسل أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن على بن عمرو بن ميمون وجرت له خطوب استقرّت على ان ضمن أبو تغلب ما كان فى يد أبيه ناصر الدولة من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف ومائتى الف درهم وان يعجّل حمل الستمائة الالف مع الاسارى الذين في يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة ما حصل فى أيديهم من المال والامتعة التى أخذت في وقت الايقاع يكتوزون ما حصل فى يده بقسطه ووعد بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والعدول وقاضي البلد بامضاء ذلك وكتب الى الفتكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثة وورد صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون (٢٦٩) وسبكتكين العجمى وسار الى بغداد .

وفيها ورد الخبر بالموصل بان أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعي الحسنى (١) خرج من بغداد سرا الى بلد الديلم وخلف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين .

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالري وقتل سنة ٣١٦ (صلة عريب ص ١٣٧) وأما أبو عبد الله فقال صاحب التكملة انه كان لزم الكرخى والحنبلى وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصرى ومنشاه بطبرستان وكان يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزمه معز الدولة النظر فى نقابة الطالبيين ببغداد سنة تسع وأربعين ففعل مخيرا وعمر وقومهم . وسأله معز الدولة عن طلحة والزبير فقال : هما من أهل الجنة لان النبي صلعم بشرهما بالجنة . وكان المهلبي يخافه فوضع عليه موضوعات منها انه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له انه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاء بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين تخلف ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي فخاطبه بعض أصحاب عز الدولة فى معنى علوى خطابا أوما عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقى وأظهر انه مريض وخرج مختفيا ومعه ابنه الاكبر وخلف أولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكلما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفا وسلك طريق شهرزور ومضى الى هوسم . وسمه علوى هناك قام بعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين وكذا فى الكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخى فهو أبو الحسن شيخ الحنفية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن دلال وعن الخطيب : انه لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج في آخر عمره حضرته وحضر اصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الشاشى وأبو عبد الله البصرى وقالوا : هذا مرض يحتاج الى نفقة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغي ان نبذله للناس . فكتبوا الى سيف الدولة ابن حمدان فأحس أبو الحسن بما هم فيه فبكى وقال : اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتني . فمات قبل ان يحمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

وصار سيف الدولة الى ميافارقين واحتال أصحابه على القلعة التى كانت حصلت له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى [الروم] وأخ لنجا .

وأقام الدمستق على المصيصة وهادى سيف الدولة ببغال ودواب وثياب ديباج رومية وصياغات ذهب وقابله سيف الدولة بهدايا فصار سبباً لمقام الدمستق فى بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لاينازعه أحد ولا يمكنه فتح المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع فى أصحابه الوبأ فاضطر الى الانصراف بعد ان حُمل اليه مال من المصيصة

وفيها ظهر بالكوفة رجل ذكر انه علَويّ وكان مبرقعا فوقعت بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد هرب المبرقع .

وورد الخبر بان نجا صار الى مولاه سيف الدولة فأعاده الى مرتبته (٢٧٠)

آلاف درهم فتصدق بها . توفى سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصرى فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الاشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام وصنف التصانيف وتليه درس القاضى أبو بكر ابن الطيب الباقلاني هذا الفن (وفى ترجمة الباقلانى انه أخذ عنه علم النظر) وقال الخطيب : ذكر لنا غير واحد انه كان تخين الستر حسن التدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ - ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .

وأما أبو على الشاشى فقيه أيضا انه الحسن بن صاحب بن حميد وانه طواف جوال أرخه الخطيب ونعته بالحفظ الخليلي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذكور فى كتاب الانساب للسمعاني ص ٣٢٥

وفيه أيضا (ص ٢١٩) ان أبا بكر الدامغاني هو أحمد بن منصور الانصارى أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرأى فدرس ببغداد على أبي الحسن الكرخى ولما فلج الكرخى حمل الفتوى اليه دون أصحابه فاقام ببغداد دهرا طويلا .

﴿ودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة﴾

وفيها فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه[1] ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ان يُجر برجل نجا ففعل ذلك الى ان أخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والاقذار وبقى فيه الى الغد وقت العصر ثم أخرج وكُفّن ودُفن

وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة أوصله معز الدولة فقلده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء .

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتنعوا من نُصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحببتم ان نعاونكم فاسلموا . فاسلموا الا ملكهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعى لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه . ثم أوقع بقائد كبير من قواد وشمكير وانه تلقّب بالمهدى لدين الله[2]

(١) وقال صاحب تاريخ ميافارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمى نجاحا فضربه على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميافارقين ودفن بها وندم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها .

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن الهادي الى الحق يحيى امام الزيدية استعان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبي القاسم محمد بن يحيى) في سنة ٣٠١ وقام الناصر فيهم وتوفى سنة ٣٢٥ وله أولاد منهم الحسن وجعفر ويحيى كذا في كتاب الحدائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه وكان يلقب المنتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيى على الامامية ويلقب

وورد الخبر بان نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة (٢٧١) وهي تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها ونقل اليها عياله ليقرب عليه ما يريد من بلدان الاسلام (١) وان أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم إتاوة يؤدونها اليه على ان ينفذ اليهم صاحبا له ليقيم فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جداً وانه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وانه لم تبق أقوات وانه قد آل الامر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب [و] الميتة وانه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة فانصرف رأيه عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم وضرب له مثلا وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت وضعفت حتى يقدّر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها وأدفأها انتعشت ولدغته وأنتم انما بخعتم بالطاعة لما ضعفتم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذّيت بكم . وأخذ الكتاب الذى أورده فاحرقه على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرّفهم انه ليس عندي الا السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على ان ينفذ (٢٧٢) جيشاً الى

بالمنصور كان فيه خير أنفذ رجلا الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في أيام معز الدولة وقال له : اختبر حاله فان رأيته أفضل مني وأولى مني بالامامة فاكتب الي بذلك لابايعه له وأدعو اليه . وفي الحدائق أنه لما قام ابن الداعي في سنة ٣٥٣ حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الثائر المعروف بابيركا وانه أنفذ اليه من جرجان نصر ابن محمد الاستندار لمحاربته فالتقوا بشالوس ثم وقع تخابط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان وعاد الى هوسم فاقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالجبل وكان ينادي بتلونهم ونفاقهم وقلة وفائهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد وتوفي سنة ٣٦٠

(١) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها ليغير كل وقت وترك أباه بالقسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشا الى ميافارقين وكان سيف الدولة بميافارقين [قد] تخلّص البطارقة الذين فى يد نجا وكان بميافارقين نحو الف كُرّ حنطة ففرّقها وفرقها لئلا تأخذها الروم

ثم ان ملك الروم أنفذ الى المصيصة قائدا من قواده فأقام عليها يحارب أهلها ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فى أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يُساق من بقى فى المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم وكانوا نحو مائتى الف انسان ثم سار عنها الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فاعطاهم الملك الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقى أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم الى طعامه فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه ما أطاق حمله ويُخلّف الباقى ففعلوا وساروا وسيّر معهم ثلاثة نفر من البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الارمن فاوقع الملك بهم وعاقبهم وقطع انافهم لمخالفتهم أمرهُ . ولم يزل طول طريقهم يتعرّف أخبارهم بكتُبه ورسله الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر فى شلنديّات له الى حيث ارادوا . (٢٧٣)

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلا لدوابّه ونقل ما كان فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقا من بطارقته فى خمسة آلاف رجل وقلد المصيصة بطريقا آخر وتقدم بعمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز بها رطلين بدانق فتراجع أهلها اليها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصر بعضهم وعمل الملك على ان يجعلها حصنا ومعقلا له لحصانتها وليقرُب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام . (١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة اليها وتنصروا وكان السبب في فتح المصيصة انهم هدموا سورها بالنقوب فأشار عليهم رجل بحيث أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم الملك نقفور فاخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه في فتحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بازاء طرسوس فاخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جموع الروم وضعفت عزائمهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من الغلة والغلاء . وعجز سيف الدولة عن نجدتهم وانقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا نقفور ملك الروم فى أن يسلموا اليه البلد بالامان على أنفسهم وأموالهم واستوثقوا منه بايمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والاواني المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بحريمهم وسلاحهم وأموالهم .

فوافى تبح الثملي من مصر في البحر في مراكب فاتصل بملك الروم خبره فقال لاهل طرسوس . غدرتم . فقالوا : لا والله ولو جاءت جيوش الاسلام كلها . فبعث الى الثملي : ياهذا لا تفسد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل نقفور دعوة لكبار أهل البلد وخلع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بجيش حتى حصلوا بيغراس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فاكرمهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فاحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلاط وبها أخو نجا غلامه عصيا عليه فتملك المواضع ورد الى ميافارقين . وعمد أهل انطاكية فطردوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . نداري بيت المال ملك الروم أو نبرح عن أنطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم انهم أمروا عليهم رشيقا النسيمي الذى كان على طرسوس فكاتب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن انطاكية فتقرر الامر على حمل أربعمائة الف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والنصارى ثلاثين درهما والامر لله .

وفي هذه السنة ورد الخبر باجابة نقفور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب الى عمان فلقى أميرها نافعا ووافقه على الدخول فى طاعة الامير معز الدولة واقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدراهم واستجاب نافع الى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدراهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجريين القرامطة وسلموا البلد اليهم فهم يقيمون فيه[٢٧٤] نهارهم ويروحون الى معسكرهم فى آخر النهار وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الامر بما يعملون به .

وورد الخبر بان نقفور ملك الروم عاد الى قسطنطينية وان الدمستق وهو ابن الشمسقيق كتب اليه يستأذنه فى قصد سيف الدولة الى ميافارقين فكتب اليه بالتوقف الى أن يلحق به بقسطنطينية فمضى اليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل ابي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وان يفادى بغلمان سيف الدولة عدة من الروم وان يبتاع ما يفضل من الاسرى ببلد الروم كل واحد بثمانين دينارا فأحضر سيف الدولة أعان النى راس وذلك مائة وستون الف دينار فعاينها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين الى سيف الدولة ليأخذ منهم الاسارى فانهم عجزوا عن أقواتهم للغلاء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبى فراس ابن حمدان من الاسر بتصحيح أمر الفداء ونفذ شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالاحمر وخطوط بطارقته على ان يأخذوا عندهم ستة من بنى حمدان ويأخذه سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الاخبار أن ملك الروم أرسل الى أهل طرسوس يهادنهم على أن يخربوا سور المدينة وان يبنوا بيعة كانت لهم تخربت فلم يجيبوا فسار حتى نزل عليهم وحاصرهم وبذلوا له ثلاثمائة الف دينار واطلاق ما عندهم من الاسارى فابى الا أن يخرجو بالامان بما قدروا على حمله أو ان يكونوا في طاعته ويخربوا سورهم فامتنعوا وأخذت الروم ثغر المصيصة فقتلوا كل الرجال فلم يفلت منهم الا سبعة نفر فما شاء الله كان

قلد رشيقا النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس في جملة من سلمها الي ملك الروم خرج الى انطاكية . فالتصق به انسان صغير القدر يعرف بابن الاهوازى كان يتضمن الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فاغوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع عنده من المال وأطمعه فى أن سيف الدولة لايعود الى الشام وخرج معه الى حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب فتحصن فيها فانفذ سيف الدولة خادما له أسود ويعرف ببشارة ليكون مع قرغويه في القلعة فنزل هذا الخادم فى بعض الأيام وانضم اليه قطعة من الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والغلمان فلما[٢٧٥] أحس بهم رشيق انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بني معاوية عرفه فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كل مالهم فى ظاهر حلب وهرب ابن الاهوازى الى أنطاكية وكان أخوه مقيما بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه دِزْبَر وسماه الامير واعتضد برجل علويّ أفطسي ووعده العلوى ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدبر وتسمى بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية وجرت بينهما وقعة فكانت على الاهوازى أكثر الليل وقطعة من النهار ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلد عاونوه

وقد كان سيف الدولة كتب الى قرغويه الا يخرج الى أنطاكية فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من الفداء ودخل حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الاهوازى فى ضيعة فى طريق بالس يعرف بتسمين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازى فطرح نفسه فى بيوت بنى كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فسلموه اليه (٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازى مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل سيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازى (١) فقتل بحضرته .

وفى هذه السنة أنفذ أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التى كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

﴿ ودخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن بنى سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة فى سنه ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التى لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثنى عشر الف حمل وكان فى الاعدال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يعرف بالخواتيمى قاضى طرسوس مائة وعشرون الف دينار عينا وان بنى سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقى الناس رجالة (٢) منقطعا بهم (٢٧٧) كما أصاب الناس في الهبير سنة القرمطى (٣) فمن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازى (٢) وفي الاصل : رجالهم
(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله العلوى ابن الداعى لبس الصوف وأظهر النسك والصوم وتقلد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزمه وأسر جماعة من أصحابه وقواده وعمل على المسير الى طبرستان وكتب الى العراق كتابا يدعوهم فيه الى الجهاد

وفيها لقب الحبشي بن معز الدولة بسند الدولة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جرى فى عمان ﴾

كنا حكينا من أمر عمان ماجرى فى أمرها الى وقت دخول القرامطة اليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف بعلى بن أحمد وكان هو الذى ينظر فى أمر البلد والجيش . وكان قاضى البلد رجلا له عشيرة وعزّ منيع فرأى مع وجوه البلد بعد نفى نافع من البلد ان ينصبوا فى الامرة رجلا يعرف بابن طغان وكان من صغار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فخاف من القواد الذين فوقه فى المرتبة والمحل ان يغلبوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم وقتل بعضهم وغرّق بعضهم . وقدم الى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا عن حاله فعرفا انه غرق فامسكا وأقاما مدة فلما (٢٧٨) كان يوم من أيام السلام دخلا فى جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجلس فتكا به وقتلاه . فاجمع رأى الناس على عقد الامر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي فوجهوا يلتمسونه فاستتر فألزموا القاضى احضاره والزامه تقلد امارة البلد ففعل القاضى ذلك وراسله فظهر وتقلد الامر وبويع له واستكتب له على بن أحمد الكاتب الذى كان وافى مع الهجريين ووافق على بن احمد الجيش على أن يطلق لهم رزقتين صلة فأخرجت الاموال وابتدأ على بن أحمد ينفق فى الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال[1] لهم : ان الامير عبد الوهاب أمرنى أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجلسه وقال لهم : انكم اذا مضيتم لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقة واحدة فهل لكم أن تبايعونى وأطلق لكم رزقتين وتكون الامارة لى ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا على بن أحمد[٢٧٦] ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : بانا قد عقدنا الامر لغيرك فاخرج عن البلد . فخرج وحصل الامر لعلى بن احمد .

وفيها خرج الامير معز الدولة الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأنفذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادى عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه فقبله . ونظر معز الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سنذكره وانحدر من واسط الى الابلة ونزل فى شاطئها فى شاطىء عثمان فى دار البريديين وأخذ فى الاستعداد لانفاذ جيش الى عمان وبنى الشذاآت والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الا قوما وهم بضعة عشر رجلا فانهم امتنعوا فامر بطردهم فانقاد الديلم والاتراك الى ما أراد وندب أبا الفرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتدبير الحرب

(١) الواو هاهنا زائدة

وولاية البلد اذا فتحه

فلما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش فى المراكب والشذا آت وهى مائة قطعة ومعهم المعروف بابى عبد الله جبّ ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف (٢٨٠) انضم اليه جيش عضد الدولة فى مراكب وشذا آت وكان أعدهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو الفرج الى عمان مع الجيش دخلها وملكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي تسعة وسبعون مركبا . فاما عمران بن شاهين فانه أنفذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والحاجب الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستتم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الي بغداد مات فدفعت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦

وفى هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدى أبيالقاسم ابن ميشكى باآذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يفلت معه أحد فأكرمه ركن الدولة للوصلة التيكان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق منأخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة فى اعظامابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفى خزائنهم . وكنت حاضرا بالرى فركبت (٢٨١) للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من تخوت الثياب والرزم والاسفاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على

صواني فضة وآلاتها من الادراج وغيرها وكانت على أيدي ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال] فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما أكياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهما وكانت أكياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بآلات الفرش الثقيل والخيم والخركاهات والشرع والسرادقات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية فى وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب فى هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾
﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدى اسماعيل بن وهسوذان وأبي القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتدأ فى أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصلح ناحية جستان بن شرمزن ورغب الناس (٣٨٢) فى الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها. واتفق ان توفى اسماعيل بن وهسوذان فسار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسوذان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعا عمه وطالبا بثار اخويه جستان وناصر فاحجم وهسوذان عن اقائه والثبات له وشجعه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله فخبط أسبابه ودوخ دياره وبحث عن أمواله وبالغ فى الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان . وجمع وهسوذان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا الى الطرم وسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقد قواه وهسوذان بالمال والرجال فنزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسوذان فتقطع الناس عنه حتى بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لائذا به .

وفى هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضى أبى حصين (١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفى هذه السنة قدم ابو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الاسر الى ميافارقين أخذته أخت الملك لتفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنفذ سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن الهتاخ فلما شاهد بعضهم بعض سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقيا في وسط الطريق وتعانقا ثم صار كل واحد الى أصحابه فترجلوا له وقبلوا الارض ثم احتفل سيف الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والمماليك والعدد التامة فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم . وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فانفق في سنة وثلاثة أشهر نيفا وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار وتم الفداء في رجب فخلص من الاسر من بين أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أمر أربعة أعوام . وأرسل أبا القاسم الحسين بن على المغربى لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة آلاف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك وانفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة الف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الي بلد الشام فعاث وافسد واقام به نحو خمسين يوما فبعث سيف الدولة يستنجد اخاه ناصر الدولة يقول : أن نقفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربى أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضي الى بلده ويهادن عنه . وان اهل انطاكية راسلوا نقفور وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد يحيي بن زكريا عليهما السلام والكرسي وان يدخل بيعة انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيها لقب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيد الدولة وكتب (٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحنقه احراق بيعة القدس في هذا العام وكان البترك كتب الى كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فكاتب متولى القدس بالشد على يده فجاءه من الناس مالم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زينتها فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال: بل انا ابنيها بالسيف واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه: ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر سار اليها. وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وأجفل الناس وعظم الخطب واخليت نصيبين. ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج وأحرق الربض وخرج اليه أهلها فاقرهم ولم يوذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا الى قنسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة تخرج الا أوقعوا بها. وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال: لا أجيبه الا أن يعطيني نصف الشام فان طريقي الى ناحية الموصل على الشام. فقال سيف الدولة: لا أعطيه ولا حجرا واحدا. ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر وانكت العربان في الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على انطاكية يحاصرها ثمانية أيام ليلا ونهارا وبذل الامان لاهلها فابوا فقال: أنتم كاتبتموني ووعدتموني بالطاعة. فاجابوا: أنما كاتبنا الملك حيث كان سيف الدولة بارمينية بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا. فناجزهم الحرب من جوانبها فحاربوه أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب أنطاكية محمد بن موسي الى قرغويه متولى نيابة حلب بتفاصيل الامور وبثبات الناس على القتال «وأنا ليلي ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان اللعين قد ترحل عنا ونزل الجسر»

وفيها أوقع تقي السيفي بسرية الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب ثم جاء الخبر بأن نائب أنطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الاموال التي في خزائن أنطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقيل انه كان عزم على تسليم أنطاكية للملك فلم يمكنه لاجتماع أهل البلد على ضبطه فخشي أن ينم خبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيها ورد جيش من خراسان عظيم

﴿ ذكر خبر الغزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالري ﴾

(على الديلم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالرى بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين الفا ويظهرون انهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك انهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤساءهم فلم يجد عندهم نكيرا ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم فى دخولهم مجتمعين وان يراسلهم فى أن تصير منهم عدة فى نحو الفى رجل الى الرى فاذا خرجت هذه العدة منها وردمثلها حتى يتتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه « ولا يتحدث الملوك اني احترزت من لفيف خراسان وخشيت نايرتهم » فقال له وزيره أعنى الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فكاتب عساكرك فانهم متفرقون عنك بالجبل واصبهان وغيرها حتى تتوافى اليك فان معك بالرى (٢٨٤) عدة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطأة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعلة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه فى هذا الرأى ولم يحفل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويفرج عن وجوههم ولا يُصيِّد للشر مبدأ .

فسار القوم باجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالرى

واجتمع رؤساؤهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه فى مسئلة الامير ركن الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان القليل يسعهم على رسم الغزاة فاذاهم يطمعون فى شيء كثير وقالوا : نحتاج الى مال خراج هذه البلدان كلها التى في أيديكم فانكم انما جبيتموها لبيت مال المسلمين لنائبة ان نابتهم ولا نائبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمون اليهم وأخذوا فى هذا النحو من الكلام وتبسطوا فى الاقتراح ورفع الاصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقفال[1] وغيره . فتبين الاستاذ الرئيس[٢٨٥] خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم ويلعنونهم وكان ذلك فى شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسى والسهام ويزعمون انهم يأمرون بالمعروف فيسلبون العامة مناديلهم وعمائمهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا فيه والناس مع ذلك يدارونهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب ابراهيم بن بابى خصومة لم يحتملها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمى واجتمع رفقاؤه للقتال فاجتمع من الغزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن على بن اسمعيل الامام أبو بكر الشاشى الفقيه الشافعى توفي سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ١٩١ وهو الذى أجاب عن الخليفة المطيع لله للقصيدة التى وردت من نقفور عظيم الروم على المسلمين ساءتهم وشقت عليهم لما كان فيها من التثريب وضروب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدتين موجودة في كتابخانة وين : ٤٦٤

ابراهيم بن بابى فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى أن راسله ركن الدولة بالكف وراسلهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريبا لنصرة الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم يضربون بطبولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ (٢٨٦) الرئيس (وبرز للقائهم وبين يديه حاجبه روين وكان شهما شجاعا فحمل عليهم فى غلمان دار الاستاذ الرئيس) فحار بهم وكسرهم حتى رجعوا الى الدرب الذى دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخلت فى كم درعه وانفذت الى ساعده فخرقته وكثر الناس عليه وحامى عليه الاتراك الذين معه حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضعف وانكسر الاستاذ الرئيس ومضي كل من معه وثبت بنفسه على عادته . فتعلق به السلار وكان حاضرا معه وقال له : ايها الاستاذ ارجع الي الامير ولا تفجعه بنفسك فانه لم يبق حواليك أحد . وأخذ بلجامه ورده وسمعته يقول : عَصّبها بى وانت بريء من عارها . فرجعا الي دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة جامة الى أن اتى الليل وانصرفوا وكان اليّ خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحدا يشرب فيه ماء فانفذ اليه ابن حمزة العلوى فرشا وآلة . واشتغل قلبه بدفاتره ولم يكن شيء اعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر وزيادة فلما رآني سألني عنها فقلت : هى بحالها لم تمسها يد . فسرّى عنه وقال : اشهد (٢٨٧) انك ميمون النقية اما سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه

الخزانة هي التي لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : با كر بها في غد الى الموضع الفلانى . ففعلت وسلمت باجمعها من بين جميع ماله

واجتمع الخراسانيـة من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدولة فى آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين الحاجب لينتهبوا داره وكان طريحا فيها غير مستقل فامر غلمانه بطرح الحطب المعد للشتاء خلف الباب واشعاله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب وراموا أن يتسوّروا سورها فرماهم الغلمان بالسهام فتراجعوا عنها . وعملوا على مبا كرتها من الغـد فلما أصبحوا راسـلهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن ينقلموا من ممـلكته فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا ينتظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصحاؤه بالمسير الى اصبهان مع أولاده وحرمه ويترك هؤلاء والرى حتي يجتمع اليه عساكره ويقصدهم بعديد وعباد فابى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان فى خمسمائة من قواده وخواصه ونحو ثلاثمـائة من الغلمان وباقي [٢٨٨] عسكره كما ذكرنا متفرقون فى ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان تفرق الخراسانيـة [١] على أبواب المدينـة وهجموا من كل وجـه فامتلأت منهم الشوارع والمحال ونادوا فى البلد بما يسكن الناس والرعيـة وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصـغار الاولاد الى طريق اصبهان لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه الى حيث شاءوا فاغتص الميـدان الذي فى الدار بالبغال التى عليها صـناديق

(١) وفي الاصل : الحاشية

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب فى غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبابيس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلاليم وعندهم ان ركن الدولة يتحصن فى داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابه من الابواب الأخر وصدموا القوم (٢٨٩) وصدقهم الديلم فى المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرفنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا فى السعة صافوا رجالهم للحرب

﴿ ذكر مكيدة لركن الدولة فى الوقت نفذت له ﴾

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لاصحابه : طيبوا نفساً فان الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود على بن كامه وتقدم الى الركابية والمجرين أن يبادروا الى نحو طريق على بن كامه الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويثيروا الغبرة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الرهج وكبر الناس وقالوا : هذا على بن كامه . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احملوا حملة قبل وروده . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت اياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا فدس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخرسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك العسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فامنهم

على أن يتخلى لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد (٢٩٠) كثير بالبلد يذبحون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل فى بلد الكفر بالكفار فبينما هم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلوى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خيل أخرى نحو الفى رجل بالعدة والسلاح ولم يلحقوا أصحابهم الا مفلولين هاربين فراسلهم ركن الدولة بأن يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم بقزوين أو فى بعض الممالك عبث واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجلوا بالرحيل فى اثر أصحابهم فاسرع فى طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الرى بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم فى الخروج واطلق أساراهم وأمر لهم بنفقات فخرجوا . وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذى كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولكثرت غزاة المسلمين معهم ولله أمر هو بالغه .

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أر قوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم (٢٩١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو انتهزوا بعضها لتم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الرى فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس ببابه كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم و بينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك فى وجوههم أحد و كانت ليلة مقمرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا واضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد الفطر والناس مشغولون (بالصلاة) بمصلاهم غارون وأنتظروا أيضا المدد الذى وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقربهم منهم فعملوا على ذلك . وأبت المقادير الا صنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس (١).

وكان لابراهيم السلار فى هذه الايام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصابت بطنه حربة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سمينا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفى هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية ميافارقين فتلقاهم أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالاطعمة والعلوفات ورئيسهم أبوبكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٥٦ أن فيها دخلت الخراسانية فغزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حلب ومعه قوم من الخراسانية ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن النصارى سمته . وغزت الخراسانية مع لؤلؤ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصيصة فالتقاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفا من الروم وأسروا خلقا وردا بالغنائم الى أنطاكية ثم عادوا غزوا ثانيا . ودخل الثغر محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسى فظفروا وغنموا ووردوا بالغنائم وتأخر في الساقة محمد بن عيسى وابن شاكر في نحو ثمانمائة فارس فدهمهم جموع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار بن شاكر يكشفهم فاذاهم فيما يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لاطاقة لك بهؤلاء . فلم يقبل والتقاهم وقاتلوا أشد قتال وأنكوا في الروم نكاية عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقى محمد بن عيسى فى مائة وخمسين فارسا فقال له ابن شاكر : لاتلق بيدك الى التهلكة . فقال له فقيه معه : إن وليت الدبر لحقوك وقتلوك وأنت فار . فقاتل حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسى وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشترى نفسه بمائة الف درهم وبمائة وعشرين علجا كانوا بانطاكية ورطل فصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظفر رحمه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولكنها صارت فتقا فكان يشدها بمصائب ورفائد الى أن توفى بعد ذلك بسنين .

وفى هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مددا له فى نخب الرجال من الديلم والعرب (٢٩٢) واصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالرى)

﴿ ذكر تدبير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد ﴾
(ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأي زكاء أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعها فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزراً قليلا جدا وذلك لسوء تدبير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعاملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحى . ثم قد عرف بالتزيد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فعلم الاستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحية عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سعى (٢٩٣) ركن الدولة وسعيه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه مقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويعوض ابراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما

يرتفع له) من هذه الجملة بعد مايخرج فى أقطاعات الديلم والاكراد وبعد ما يستولى عليه قوم متعززون لايتمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضيع بالاهمال وترك العمارة أقل من الفي الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همذان هذا المقدار ويجلس آمنا فارغ البال ويشتغل بما يؤثره من صحبة المغنين والمساخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذربيجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجو أكثر منه ولكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر فى شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال: يتحدث الناس انى افتتحت البلاد لرجل لجأ الىّ ثم طمعت فيه! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فاذكر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يحدثني بالشدة التى قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها وثمرتها وانها لو أثمرت نعمة باقية عند ابراهيم لكان محتملا لها وراغبا فيما ينشر (٢٩٤) من الاحدوثة الجميلة عنه بعدها ثم قال: ولكني سأضرب لك مثلا لما نحن فيه وتأمله الآن لتتذكره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابريسم ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوالجة من الزجاج . قلت: بلى . قال: اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتتبع أذناب تلك المغازل ويتعاهدها بالفتل؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابريسم ممدود والفتل مستمر به فاذا فارقنا الموضع ابتدأت القوة التى فى الدوران تضعف وليس لها من يمدها بحركة فيبتدئ فى الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم تبتدئ فى

الانتكاث وتنقلب راجعة بعكس ما كانت تدور ثم لاتجد أيضا من يتعاهدها فيتساقط أولا أولا حتى لا يبقى منها شيء . فكأنّ هذا المثل كان وحيا فانه ما أخطأ شيأ من صورة ابراهيم بعد خروجنا وانتهى أمره بعد ذلك النظم الذي نظم له الى أن طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئا بعد شيء الى أن أسر وحبس فى بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله (٢٩٥)

﴿ ودخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه الا بحضور بساطه . فاتفق ان اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط وخلّف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يتماثل فيعاود واشتدت به العلة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فافتوه بصحتها ولقّنوه ما يجب ان يقول ويفعل [1] وتصدّق با كثر ماله وأعتق مماليكه وردّ شيأ كثيراً من المظالم [2] وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ [3] وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصرى وتاب على يده وكان مع أبي عبد الله صاحبه أبو القاسم الواسطى فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار وصليا فى مسجد على بابها فسألهما عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة في الدار المغصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله سابقتهم وان عليا زوّج عمر ابنته أم كلثوم رضي الله عنهم فاستعظم ذلك وقال : ما سمعت هذا قط . (٢) وفى الاصل : الممالك

(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها انفاذه جيش الماء والديلم الى عمان حتى فُتحت له ولم يكن فيها مايستفاد منه تجربة فطويناها

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لعز الدولة فرأينا اثباته ليكون معدودا فى جملة أمثالها من الاتفاقات العجيبة

﴿ ذكر اتفاق حسن (٢٩٦) ﴾

لما مات معز الدولة ألحّ المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردّد النقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجاب السماء عن سكون الجند ورضاء الكافة. فكاتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد ففعل ونفِّس خناق عمران. وصولح صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيها وردت الاخبار باقبال جيش قوىّ من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما اعتل أبو على [محمد] بن الياس وفُلِج بكرمان وخالفه أولادهُ وقصده عضد الدولة رحل الى خراسان ولقي صاحب خراسان وبرى بعض البرء وصار نديما له يعاشره ويؤانسه فهوّل له قصد ممالك الديلم وأطمعه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرشى. فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبة بين وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

الفيرزان الى ان وقعت المعاضدة والموافقة على[٢٩٧] ان يدبّر جميع الجيوش وشمكير . وأنفذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيرزان هدايا كثيرة من دوابّ وغلمان وآلات وسرّب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سيمجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن فى الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الغاية وليس الا الفيصل فكاتب عضد الدولة يستمدّه الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمثل ذلك . فاما عضد الدولة فامدّه بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص بنفسه الى اصطخر ليسير الى خراسان وسير أحمد حجّابه فى جيش المقدّمة الى طُرَيثيث وأظهر فى عسكره ان جيش خراسان قد ساروا باجمعهم مع لفيف البلدان وغُزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء واتصل ذلك بالقوم فاحجموا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق العجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما قيد اليه من جهة صاحب خراسان فكان فى جملتها فرس أدهم حسن الصورة فاعجبه وأمر باسراجه وعزم على ركوبه والتصيُّد فى ذلك اليوم . فدخل اليه منجّمهُ فنهاه عن الركوب فخالفه فلما أصحر عارضهُ خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة[٢٩٨] فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسهُ فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحمل ميتاً وذلك يوم السبت فى أول يوم المحرّم سنة ٣٥٧ .

وقد كان بختيار عز الدولة اجتهد في اخراج سبكتكين مع جيش كثيف على الرسم فامتنع سبكتكين عليه فاوحشه بذلك واضطرب بختيار لانه لم يجد من يطيعه في الخروج الى ان انتدب الفتكين وقد كان يتلو سبكتكين في المرتبة وأحب أن يظهر في تلك الحالة فضلا وحسن طاعة للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتكين فضم اليه جيشا وورد الريّ وقد استغنى عنه فعاد

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لمملكته ولنفسه حتى فسد جنده ﴾
﴿ وطمعوا فيه ثم طمع أعداؤه أيضا فيه ﴾
(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أبوه معز الدولة حين أيقن بالتلف وصاه بطاعة ركن الدولة واستشارته في كل ما يعرض له من مهمّ وكذلك بطاعته لابن عمه عضد الدولة لانه أسن منه وأقوم بالسياسة . ووصّاه باقرار كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أكفي من غيرهما وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداراة الديلم وازاحة عللهم عند أوقات استحقاقاتهم لئلا يخرقوا هيبته بالشغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان الي الاتراك فانهم جمرة عسكره واذا (٢٩٩) رابهُ من الديلم ريبٌ أمكنه ان يقمعهم به . ووصاه بعد الاحسان الى الاتراك بكبار الحاشية وصغارهم وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالف هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء وأوحش كاتبيه وضرّب بينهما حتى استوحشا جميعا منه وطمع في اقطاعات كبار حاشيته وفي سبكتكين خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه بألاّ يقطع أمراً دونه

وكان ذا ارب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابهُ الجميع ويطيعونه واحتجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والسكر الدائم . وابتدأ بمناوأة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من شرى الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحسّ بطمعه فيه وفي نعمته انقبض عنه فصار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصر على التراسل على أيدي المتوسطين وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصة وله عيون وجواسيس من خاصة حاشيته وبطانته فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته فضلا عن تدابيره . فاما كاتباهُ أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمد بن العباس فانهما لما عرفا قصدهُ في افساد نية بعضهما لبعض (فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المرتبة وتحاسد في النعمة) أخذا جميعا أهبة التحرّز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال باحدهما نعمة الآخر . ثم قبض عليه باصاغر الحاشية وأداني الحشم ومكّن منهما الاوغاد والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطر الى الاستعانة بمن رفعه من السُقّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصلح للتوسط بين نفسين فضلا عن العسكر المضطرب فاختلت أصول أمره وفروعها (٣٠٠)

وأما كبار الديلم ووجوههم فانه نفاهم عن مملكته طمعا في اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم فتبسّط أصاغرهم واستلانوا جانبهُ وتحالفوا عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر الى النزول على حكمهم ثم عجز عن ارضائهم . وأما الاتراك فانهم نظروا الى ما تمّ للديلم من التحكم فعملوا مثل

عمامهم من الاشتطاط والتسحب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطر الى التدبير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظا فما تم له عليه شيء من تدبيراته فتحزب الاتراك وصاروا يداً واحدة . وتحركت الاحقاد والحفائظ(٣٠١) التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجنن وساموه ان يثبت من أسقطه معز الدولة وان يعطيهم أرزاقهم ويعجل لهم رزقة منسوبة الى البيعة غير محسوبة . فجمع بختيار الاتراك الى داره مع أسلحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم في الصحراء ثلاثة أيام فغاظهم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه وفى الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقة غير محتسب به

وخيّر أصحاب الاقطاعات بين الاقامة في أيديهم والتمسك بنواحيهم وبين تعريضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحا فى الديلم أو صريحا فى الجيل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم . فلما تمّ لهم ودخلوا البلد اجتمع الاتراك أيضا على الشغب فخرجوا الى الصحراء واستدعوا الاصاغر من غلمان الحجر فى دار بختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا وتعاهدوا ان تكون كلمتهم متفقة وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقويهم ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم سبيل أبيه فى الاستحجاب والتقويد والتنقيب والزيادة (٣٠٢) فى المنازل والمراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الاّ يعارض كل فريق منهم صاحبه في طلب الحظ لنفسه وتعاهدوا على ذلك فقادته الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحة العلل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا المال والنظر فى جمعه من أين كان وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداما من أبى الفرج فضمن ذلك لهم واستمان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سُرخاب وكان متمكنا من بختيار قريبا منه يسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا يحمله اليه فى كل سنة فسعى له شيرزاد فى الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا ظهرت كفايتك فيما ضمنته من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة عليك » فاخذ فى مصادرة الحاشية وألزمهم أموالا علم انهم يفون بها ولا يُجحف بهم وافتتح الخراج واجتهد حتى وفّى الديلم ما ضمن لهم وفرّق الاتراك فى النواحى لتنجز تسبيباتهم فتم لهم أيضا ما التمسوه وذلك لجمام الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الحاشية جامة والنواحى فى بقايا العمارة فمشى أمره فى هذه السنة .

واتصل خبره بابى الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان خرج اليها فى حياة (٣٠٣) معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى استوسقوا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبى الفضل في الوزارة وسعى شيرزاد له فيها لم يلبث ان سلّم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن نبهان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب عضد الدولة وأقبل مسرعا الى العراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه أبى محمد على بن العباس الخازن وكتّابه وكتُبه يشيرون عليه بالمبادرة وترك التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابى الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد وصار الناس حزبين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد الى ان تمت له الوزارة

﴿ ذكر رأى صواب لبنى حمدان رآه ناصر الدولة فخولف ﴾

لما سمع أولاد ناصر الدولة باضطراب بختيار وسوء سياسته وشغله عن تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراق هيبته هموا باخراج الاموال والانحدار الى بغداد ومقارعة بختيار عن سرير الملك فقال لهم أبوهم ناصر الدولة : لا تعجلوا فان معز الدولة قد خلف لابنه خميرة من المال يسيرة وسيفرقها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضا كتّابه وعمّاله أيضا من نواحيه ومن مصادرات أسبابه ما أمكنهم ولستم بمستظهرين عليه ولا (٣٠٤) متمكنين من دولته الا بعد ان تفنى حيله وتخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فانحدروا اليه وكاثروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة . وكان الرأى ما قال فان معز الدولة كان أتلف ماله على البناء الذى أحدثه وعلى الاتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلفه أربعمائة ألف دينار فاخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات . وكان كتّابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان يردّوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استغرقت النفقات والنوائب جميع ذلك بعد مديدة يسيرة .

واختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم وكان مبدأ الشر بينهم ان أبا تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الخلق والتقتير على أولاده وعلى حاشيته فلما قبض عليه أصعده الى قلعته ووكل به من يخدمه ويزيح علته فى حاجاته . فامتنع بعض اخوته

وانتشر النظام الذى كان يجمعهم فشغلهم حفظ ما فى أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجديد عقد الضمان والتماس الخلع والعهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته المخالفين والموافقين فانفذ كاتبهُ أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون (٣٠٥) حتي أخذ له من السلطان ذلك وبذل لبختيار الف الف ومائتى ألف درهم فى كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته قرير العين بما تم على يده غير مفكر فى شىء مما كان يهم به .

وفى هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتتابعوا وكان مدخل القران التاسع فهلك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وهلك سيف الدولة (١) وهلك نقفور ملك الروم وهلك كافور صاحب مصر (٢) وهلك وشمكير بن زيار وهلك الحسن بن الفيرزان وهلك

---

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون احتاز وهو راكب فرسه وبيده رمحه وبين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت فسألوه عن الرجل فقال : ذاك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسايره يوما وهو في موكب خفيف مؤيد متنزها وبين يديه غلمانه وعدة جنائب بمراكب ذهب ومراكب فضة وخلفه بغال الموكب والفرس كما تكون الملوك فسقطت مقرعته من يده ولم تراها ركابيته فنزلت من دابتي وأخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني الى ان تفعل هذا . ثم ودعني فلما سرت التفت

أبو على محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقى ركن الدولة من بينهم وعُمِّر الى أن استوفى أجلهُ .[1]

﴿ ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتبين في خطبة الوزارة وسعي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للامور فى السنة التى مد يده فيها الى الحاشية وما وجده فى النواحى وما تأول به على العمال حتى أرضى الجند . فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكفاية التى وعده بها وذكر ان دخل المملكة يعجز عن خرجها وانه ان قلد الوزارة جبر هذا العجز وقام بالامر كما قام به (٣٠٦) فى تلك السنة وضمن لشيرزاد اذا تم له الوزارة مالا . وشخص الى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشمر عن ساقه فى فسخ نية بختيار وزعم أن الذى ذكره أبو الفضل[2] من عجز الدخل عن الخرج لا حقيقة له وأن الاموال التى استخرجها ومشى بها الامور انما كانت من مصادرات الناس ومن بقايا فى النواحى وأنه لم

فاذا خافي البغال كلها والجنائب فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمر الاستاذ ان يحمل هذا اليك فامتلأت داري وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار . (١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف، وولى القضاء بالجانب الغربي وخلع على ابن سيار وقلد القضاء بالجانب الشرقي . وقل أيضا في ترجمة سنة ٣٥٩ : وفى شهر ربيع الاول صرف القاضى أبو بكر ابن سيار عن القضاء فى حريم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاة . وكان وفاة ابن سيار سنة ٣٦٨ (٢) في الاصل أبا الفرج

يؤثر أثرا ولافتح فتحا ولا أستحق من المراتب ما لايستحق مثله واتصل ذلك بأبي الفضل فوافى من الكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما ينضاف اليها وعملا لاصول النفقات الراتبة وما ينضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال . فاما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد فى عمله أصول العقود على عبرها وأبوابا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم يظهر العجز وقام الدخل بالخرج . وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما نسبه الى المنكسر وما ينظر به للضمناء واعتد بالزاجى دون التاوى (٣٠٧) واستظهر فى تقدير النفقات الحادثة وزاد فى مبالغه حتي أوجب فى عمله عجزا فى الدخل عن الخرج . ثم حكى فى عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه ان بقيت منه بقية نقلها في كل سنة الى التى تليها على الرسم الجارى فى ذلك . وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين وفيهم شيرزاد على ابطال الوزارة والتراضى بالاشتراك في الكتابة . ثم جد شيرزاد سرا فى أوقات خلواته ببختيار فى السعى لابى الفضل وبذل عنه لبختيار مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقداما وبسالة يحتاج اليهما فى الوقت وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبي الفرج اضعافا وانه ذو حيلة وتأول وبطش وأبو الفرج صاحب تقشف وتوقف وتعقد وأن الامر بمثله لا يمشى فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى بختيار العزيمة

وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحليين بالذهب وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكره[(٣٠٨)] أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجرى على رسمه فى تقلد الديوان ليشغله عن تتبعه والطعن عليه وأيضا ليراه بعين من يغدو و يروح اليه وينحط عن رتبة المساواة التى كان فيها الى رتبة الاتباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخوطب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلائق بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطّرحا بعرض النكبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعدائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستونف بتقليده اياه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل فى وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبى الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبى عبد الله الايسر المعروف بالجبّ ثم تجرد للاهواز ومحاسبة آزاذرويه وكتابه

واتفق فى وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع فى البصرة والتفرد بها

﴿ ذكر السبب فى عصيان الحبشى وتمكن أبي الفضل منه ﴾
(وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له)

لما توفى معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطمعوه فى البصرة وأقاموا فى نفسه أن المال الذى يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش[(٣٠٩)] المقيمين بها وباقيه مصروف الى نفقاته وليس يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه وينفض عنه . ثم أوهموه مع ذلك ان أخاه بختيارا لا يتمكن من الوصول

اليه مع حصانتها لوهم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على العمال ويتحيفهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المسكى أبا طاهر فعمل على القبض عليه والتشفى منه وازالة الحشمة فيه ونمى الخبر الى العامل فهرب الى الحضرة . وكتب الحبشي فى أثره الى بختيار يذمه ويطعن عليه وينسبه الى الخرق والجهل وانه لم يخف شيأ أنكره ولكن قصد التشنيع وذكر فى الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجرى على رسمه فى التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلى بينه وبين تدبيره وأن يواقف على ارتفاعه ويحتسب له بنفقاته التى تخصه وباموال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبّب عليه ليزيح العلّة فيها فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعده أن يعمل بحسبه . ثم زاد تبسط الحبشى حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة والمعاتبة اللطيفة[310] وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز وانه سيراسله منها ويبلغ محابه فى الامور التى التمسها . وندب وزيره العباس للشخوص وأمره بالحيلة عليه حتى ينتزع البصرة من يده اما مكراً وخديعةً واما حربا ومكاشفة فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصرانى بالحضرة وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل ديزويه العارض وجرد معه عسكرا وأزاح علته فى السلاح والجنن والآلات سراً . فلما وصل الى واسط أقام بها شهراً ونظر فى أمورها ومصالح أعمالها ومظالم أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلى بن موسى فياذه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم حديدياته وسفنه على أن فيها أثقاله وكانت مملوة بالسلاح وأمر أصحابه

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلة ولا يدخلوها ويقصدوا بيسان ويظهروا أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدى وحدر الطيارات والزبازب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير الى بيان وكان يتقلد حصن مهدى وأن يحفظ هذه الآلات واطلعه على التدبير . وكتب الى الحبشى بن معز الدولة (٣١١) من واسط بانه يفعل كل ما يوثره ويهواه ويتحمد عليه بان مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعى كاتبه اليها ويوافقه على ارتفاع البصرة ويسلمها اليه وأومأ فى اخر الكتاب الى التماس صلح[1] منه على ذلك ويقول فى جملة تعريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة غرما ثقيلا » ويسئله معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشى الى قوله ووعده وحمل اليه عاجلا مائتي الف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما وصلت اليه أنفذها الى بختيار . ورحل كانه يريد الاهواز الى الحويزة ونهر العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشى رسل قد أنفذهم باطيار ليكاتبوه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فثار الحبشى وهاج ولم يملك نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقيما من الغلمان الاتراك فى تسبيباتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكرا قويا مع ليلى بن موسى فياذة وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبازب عندهم والملاحون والجنن والآلات والسلاح . وأخرج الحبشي عسكره الى الابلة ورتب غلمانه وأثبت من عشائر العرب قوما رتبهم على أفواه الانهار وقلد حاجبا له تركيا يقال له بكتيجور (٣١٢) رياسة عسكر الماء وجعل اسفهسلار الديلم فى عسكر الظهر صعلوك بن باطاهر[2] أحد وجوه قواد

(١) يعني مرفق كذا في التكملة وفي النسخة التي في اكسفرد (٢) كذا في الاصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجّه الى ليلى بن موسى فياذة والى أحمد الطويل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد اليه على تعبية من جانب دجلة الشرقى المعروف بالفرات ولا يعبروا فى طريقهم الى الأبلة ولا يقاتلوا أصحاب الحبشي ولا يهيجوهم الى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والغلمان وقد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاتراك الذين هربوا اليهم من البصرة وأقام ليلته ينتظرهم وتعذرت الميرة عليه وانقطعت المادة عن عسكره وتحير فى أمره حتى لو تأخر الفتح يوما لما أمكنه المقام ولاحتاج الى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الغد أصعد ليلى بن موسى والجماعة على أهبة وتعبية وعملوا على امتثال الامر وترك التعرض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشي فلما جازوا الابلة خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليلى بن موسى ومن معهم اليهم وواقعوهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشي ناجيا(٣١٣) بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طمعوا في الظهر فتقدموا الى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثم تهيأ لطائفة ان صعدوا الى شاطىء الابلة وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهزموا وقتل منهم نفر وانهزم قوم واستأمن آخرون وملكت الابلة .

وأنفذ ليلى غلاما له فى بعض الزبازب الى الوزير أبي الفضل مبشرا بالفتح فالتمس السفن والزبازب وعبر الى قرية فوق الابلة وعسكر بها وكتب الى الحبشي يشير عليه بالخروج الى الاهواز فالتمس منه الامان والتوثقة فآمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فتنبه الحبشي

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فعبي الوزير أبو الفضل عسكره وزبازبه وزحف الى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيالجة[1] ولم يزل ينفذ اليه رسولا بعد رسول من شجعان الاتراك والديلم ويأمرهم أن يقيموا عنده ويتوكلوا به ولا ينصرفوا بالجواب الى ان أحاط به منهم بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أنفذ أبا سهل ديزويه العارض في طائفة وافرة من العسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقبيح وحمل معه أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير (٣١٤) اليه وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدى ففعل ذلك وأقام هناك معتقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخرى ثم الي رامهرمز واعتقل بها اعتقالا جميلا ثم أزيل التوكيل عنه وحمل الى عمه ركن الدولة بحديث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه اقطاعا يسعهُ ومن معه وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفى فى آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وأنفذ اليه بختيار خلعا جليلة فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسطت يده وقوى سلطانه وصادر أصحاب الحبشي وكتابه وحاشيته ومعامليه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال والجواهر واستخرج من الاموال شيئا كثيرا وظفر بخزائنه كلها فكان فى جملتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمشرس[2] غير

(١) في نسخة اكسفرد « بالسباجية » (٢) كذا في الاصل وعند ابن الاثير . وفي القاموس المشرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرز ومسرس المشرز المشدود بعضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو مسرس بسينين

المجلد ووجد له من خزائن الاسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله فحمل ذلك كله الى بختيار وقلد بختيار ابنه المرزبان البصرة وسنه ثمان سنين (٣١٥) واستكتب له أبا الغنائم المفضل بن أبى محمد المهلبي وهو خال ولد الوزير أبي الفضل .

وفى هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذى ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فتطلعت اليه نفوس العامة وجعل دعاته يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فمن كان من أهل السنة قيل له انه عباسى ومن كان من أهل التشيع قيل له انه علوى وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت فى المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناه عنه فحصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل فى أول وزارته فتقدم باذكاء العيون على الطائفة الخائضة فى هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدر قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته أبى العلاء صاعد بن ثابت بالجد في طلبهم . فلما نظر فى ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا فى هذا الامر وبايعوا الدعاة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والاتراك والعرب (٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين العجمى أحد اكابر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الاتراك بمنزلة من لا يخالف فى الرضاء والسخط وكان يتشيع وقيل له ان الرجل علوى وانه يقلدك أمرة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

﴿ ذكر السبب فى اضمحلال أمره حتى ظفر به وبأسبابه ﴾
(ودعاته وجميع من دخل معه في بيعته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكفى طرأ الى مصر فتقبله كافور الاخشيدي الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكاتب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه فجرى أمره كما حكيناه (١) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقووا بمكان سبكتكين العجمى كاتبوه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : انى أقوم لك بالامر. فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين العجمى وكان يتقلد حماية طريق الفرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر فى مصالح عمله فتلقاه وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وانفذ اليه فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاما كثيرا وشرابا . وعمل على ايقاع حريق وفتنة فى ليلة النيروز المعتضدى لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع (٣١٧) به وواطأه على ذلك خلق من الجند فظهر له قبل النيروز انه عباسى وليس بعلوي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتال وواجه بعض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه أنه كذاب مموّه وتثاقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكفى أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعاته بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن فى الهرب وعرف السلطان خبرهم فكاتب العمال بالتيقظ

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فلاذ به جماعة وأطمعوه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدى من يعدى يواطي اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبي » وان أنت قدمت بغداد بايعك الديلم . وممن بايعوه أبوا القاسم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجى وترتب له وزيراً .

في طلبهم واذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التتبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفى وأخوه فاوصله بختيار اليه واستشرحه الامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه. فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودافع عنه وقال : قد آمنته . فبذل المطيع لله لهما الامان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجدع أنف محمد بن المستكفي وقطع أنف أخيه وحبسهما مدة ثم هربا وخفى خبرهما ووقع الاستقصاء على كل من دخل في بيعته فصودروا وأدبوا ضروب التأديب (١) ولم يقع الاقدام على سبكتكين العجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وانما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنح فى الجواب الى الانكار وأغضى عنه وعن الجند (٣١٨)

وفى هذه السنة صفت كرمان لعضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهى خزانة أبى على ابن الياس التى جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامتعة الفاخرة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو علي ابن الياس لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصعلكين وآمن ناحية عماد الدولة على بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك اللصوص وصعاليك القفص والبلوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : ثم جدع أنفه وقطع شفته العليا وشحمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه على وانهما هربا من الدار فى يوم عيد واختلطا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى بهراة شيئا عن المتنبي من شعره وله شعر وادب ومات بخراسان خاملا بعد .

من جهتهم مال عظيم فى القلعة التي وصفناها . ولما مات على بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فناخسره كان فى نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصلح له نية أبيه وعاد اليه فوعده بولاية العهد ورياسة العسكر . ولما كان فى هذه السنة وقع القفص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه فى الطريق علة الفالج ورُدّ الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان والياس فخاطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر (٣١٩) الى اليسع من النبوة التى سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تدبير عسكره وولاية عهده ومن بعده الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصغد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفائنه وودائعه هنالك وأراد بذلك ابعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهما فأظهرت الجماعة قبول أمره والانتهاء الى رأيه . وشخص سليمان نحو الصغد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك السمت وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذى كان أبوه شخص لتسلمها فتم له الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد الى السيرجان وكان يتولاها من جهة أبيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب من مخالفته اياه واغتاظ منه فامر اليسع بطلبه وقواه بالرجال وقد كان العسكر مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصغد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصاه ان خرج نحو الصغد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه . فخرج اليسع الى السيرجان وتحصن سليمان منه واقتتلا أياما ثم استظهر اليسع فحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة قاصدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امتثالا لامر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(اليه امره حتى أخرج أباه الى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي ويلقب بشُوَيه شديد الغلبة عليه والتمكن منه وبينه وبين اليسع وحشة متأكدة تخافه على نفسه فاجتمع مع اسرائيل المتطبب وكان أيضا مكينا عنده ومهندس يكان معه يقال له المرزبان على إفساد نية أبي على ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحركوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بان ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابه يقال له ترمش ليكون الامر غير خارج عن يده ما دام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأى وكتب الى اليسع بان ينكفي اليه واستدعاه الي القلعة وكان لا يصعدها الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع . فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمه وجواريه قبض عليه وقيده وفوض أمر الجيش الي ترمش الحاجب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به . فمشت والدة (٣٢١) اليسع الى والدة الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عقد لولدينا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابنى ما سيتم مثله على ابنك وحينئذ تخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنتقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاجب) والصواب أن تساعديني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول فساعدتها وقبلت رأيها .

وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في علته فاتفقت المرأتان على أن جمعتا الجوارى وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدى بسوية ليوقمن به فاتفق له ان أفلت وهرب واستأذن اليسع وعالجن قيده فلم يكملن لكسره وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه حبالا متينة من ثياب ديباج حتى تدلي من القلعة الي الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل في الارض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط العسكر فاستبشروا به وعادوا الى طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحاجب وجمع اليسع الجيش ليسير بهم الي تحت القلعة ويحاصرها ويتغلب عليها وكان الشيخ في جميع ذلك (٣٢٢) مغمى عليه لايعقل شيأ مما جرى فلما أفاق من غمرته وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على نفسه وحرمه ومن معه حتي يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل الي خراسان ويكون عونا له هناك متى احتاج اليه . فأجابه إبنه الي ذلك ومكنه من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج اليه من الآلات والكراع وشعّث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الالات والكسوة ورحل فلم يؤاخذه اليسع بما فعل بل احتمله ووفي له بالامان الذي بذله له وتركه حتى نفذ الى مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسامهم الي كاتبه ومدبر أمره أبي نصر محمد بن اسمعيل البمّي وأمره بمطالبتهم فاستخرج منهم مالا عظيما . وتلف اسرائيل الطبيب ثم وجه للمعروف بسويه كتابا كتبه الي خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد عفا عنه فأعاده الى العقوبة

حتى هلك فيها

وابتدأ فناخسره عضد الدولة في تخبيب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والاتراك وكان حينئذ أبو على ابن الياس بخراسان يطمع صاحبها فى مملكة[٣٢٣] الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرّغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأي أو نجدة من خبّبه وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بردسير وهي عظيمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وانهزم اليسع الي خراسان وصادف وصول اليسع الى خراسان موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ماسلم معه من بقية ماله وكراعه . ولما تمّ لعضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأنفذ الى عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخلعه من الطوق والسوارين والعقد على أعمال كرمان كلها فقلد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخلف له عليها كوركير بن جستان وكان وجه قواد عسكره وانصرف الى شيراز [١]

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذى القعدة أقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلتفتوا اليه فهددهم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف ومائتى نسمة ثم نزل على معرة النعمان فاحرق جامعها وكان الناس قد هربوا فى كل وجه الى الحصون والبراري والجبال المنيعة ثم سار الي كفر طاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقى بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [٣٢٤] ﴾

وفيها استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوّغه ارتفاعها وكان أبو

فأمنهم ودخلها فصلى فى البيعة وأخذ منها رأس يحيي بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الي عرقة فافتتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ريضها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فارضاه أهل انطاكية بمال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص وملـها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالى ابن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى بالس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالى الي ميافارقين لما تفرق عنه جنده وصاروا الي ابن عمه صاحب الموصل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالى الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى سروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوا له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فكتب اليه يعرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الي ميافارقين فى ثلثمائة فارس . فقل مابيده ووافت الروم الى ناحية ميافارقين وارزن يعيثون ويقتلون وأقاموا ببلد الاسلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما لا يحصى .

وكان الحج في هذا العام ضعيفا الى الغاية لما لحقهم من العطش والقتل مات من حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة خرج عليهم الطالبيون والبكريون فوضعوا في الحجيج السيف وأخذوا الركب بما حوى ولم يحج من مصر ولا الشام أحد . وكان حجاج المغرب خلقا فرجع معهم خلق من التجار فأخذوا فيقال انه أخذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار فانا لله وانا اليه راجعون .

وفى آخر العام جاءت القرامطة من البرية وتوثبوا على دمشق فملكوها وساروا الى الرملة فالتقاهم الحسن بن عبيد الله الاخشيدى فهزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشد قتال واستباحها بعد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسهم بمائة الف وعشرين الف دينار وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصد مصر ليملكوها فجاء العبيديون فاخذوها وقامت دولة الرفض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختهما المسماة جميلة بني زوجته فاطمة بنت أحمد الكردى وكانت مالكة أمر أبيهم فاستولي أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده فيما همّ به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانه الذين تابعوا أبا تغلب فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . واتصل ذلك بحمدان فامتعض لابيه وكان عدوّا مباينا لاخوته هؤلاء وهو أشجع أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها ثم سار من الرقة الى نصيبين ..واستفز على أبي تغلب من أطاعه [(٣٢٥)] من أهله واخوته وجندهم وطالبهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصن بالرقة ومنها فى الرافقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطلحا على دخل وعاد كل واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعمّاله كل قبيح مع حمدان في ضياعه وأملاكه وطرد عنها وكلاؤه [(١)] وانخرقت

---

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان يحلف بطلاق ابنة سعيد بن حمدان وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان انتصف والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه وطرد وكلاءه وأنفذ أخاه الخ

الحشمة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزما واحتمل حرمه وعياله وغلمانه ومن تبعه وورد هيت مستأمنا الى بختيار وكتب اليه يستأذنه في الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فتلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء[1] وفرشها فرشا فاخرا وحمل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين برسالة في الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة (٣٢٦) وحمل اليه بختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعه بختيار مع جيشه[2] ثم عاد

(١) وفي التكملة : وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافا من ديباج وعتابي ودبيقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : وفيها مات ناصر الدولة وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طمع في تملك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطمعوه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضيهم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة الف درهم . فلما أحس بان أبا المعالي ابن سيف الدولة يقصده صار فنزل على بني كلاب وخلع عليهم واعطاهم الاموال ونفذ حرمه معهم الى البرية ثم سار أبو المعالي وقرغويه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال : قد أخليت لهم البلد . ثم سار الي قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يتبعونه الي ناحية جبل سنير فتقنطر به فرسه بعد العصر فقتلوه وله شعر رائق .

ومات الخادم كافور صاحب مصر ورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طغج الاخشيدي فوقع الخلاف بين الكافورية وبينه وتحاربوا ونظم البلاء فقتل بينهم خلق ثم هزمت الاخشيدية الكافورية وطردوهم عن مصر فصاروا الي الرملة وفيهم ابن

مستأمنا دفعة ثانية على ما سنذكره

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزقوا

﴿ وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجبر وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزما ولا يقرر أمرا الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجندية وادّعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقربا اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي[1] وشره الى اكتساب الارباح من غير وجوهها ولم ينقبض عن شيء همّ به ولم يمكن أحد ان يعتصم منه . ومنع بختيار من عطاياه التي كان يبذلها للديلم والاتراك وقوّى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وابو منحل وفنك وفاتك المندى فقدموا على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طغج فلم يقبل عليهم وقال : لا أحارب ابن عمي . ثم ضاق نفقاتهم فتوجهوا الى دمشق ومتوليهم فاتك الاخشيدى فتم بينهم قتال وبلاء . وقال في ترجمة هذه السنة : وفيها ولي أمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج الاخشيدى فاقام شهرا ورحل فى شعبان واستناب بها شمون الكافورى ثم سار الى الرملة فالتقى العبيديين فى ذى الحجة بالرملة فانهزم جيشه وأخذ أسيرا وحمل الى المغرب الى المعز . وأما ابن سيف الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من ميافارقين ونازل حلب وبقى القتال عليها مدة . واستولى على انطاكية الرعيلى رجل شاطر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها فى ليلة وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان فنجوا الى الشام وكان أخذها فى ذى الحجة وأسر أهلها وقتل جماعة من أكابرها

(١) التلجئة هي أن يلجيء الضعيف ضيعته الى قوي ليحامى عليها قاله صاحب مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطأ بعض الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع باموله ونعمته. وعزم على تقلد الجيش والتسمية (٣٢٧) بالاسفهسلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان يأتي بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرّز واستظهار. وثقل أمر شيرزاد على الجند لان بختيار كان عوّدهم الا يردهم عن شيء يلتمسونه من واجب ومحال وقليل وكثير فمنعه شيرزاد من ذلك وناصبه الكُتّاب أيضا العداوة للخوف من شره وانقباض أيديهم عمن يلتجي اليه وكثر الدعاء عليه من أفناء الناس. واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فمشى بعضهم الى بعض وتوافقوا على الفتك به ثم رأوا ان يستأذنوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك. ونمى الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصير الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس عليه ومسئلته كفّ القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذ ذاك منافقة لم ينهتك سترها فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الاتراك عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخويفه حتى يهرب والا يقارّوه بالحضرة فامسكوا عن قتله (٣٢٨) بعد ان هموا به. وكان يجرى أمره مجرى صالح بن وصيف بسرّ من رأى أيام المهتدي بالله (١)

فلما وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطباه وتضرعا اليه صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خطره على الاتراك لقُتل شيرزاد ولما تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرحيل من ساعته الى حيث شاء. فخرج

(١) وهذا فى سنة ٢٥٦ : طبرى ٣ : ١٧٨٧

وهو يائس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الاتراك مجتمعين في دار سبكتكين يموجون في أمره ويتوعدونه ويغلظون له ويشتمونه فاسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرّفه ما جرى ثم التفت الى الوزير فاسمعه غليظ ما يكره وقال له : هذا من عملك وتدبيرك . فحلف له بالطلاق على براءته مما ظنه به فأجابه بيمين الطلاق انه كاذب في جحوده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد فحذره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته ونعم أسبابه ووافقه على ان يحرس عليه بعد خروجه دارهُ وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتنحسم عنها اطماع الديلم والجند الى ان يستصلح نيات الاتراك ونيات سائر العسكر (٣٢٩) ثم يعود الى حاله ويجري على رسمه في الخدمة وانحدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يومئذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريبا لشيرزاد وكان قد توفى ففجع به جدا ووجد به وجدا شديدا فلما وصل اليه شيرزاد رأى فيه شبها منه وتخيل فيه شمائله فعطف عليه وتحفّى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتبا مؤكدة ووعده بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم ببابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان خرج الى الريّ وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه ثاني يوم خروجه قبض اقطاعه وضياعه وأملاكه وجواريه ودوره ونكب كاتبه وأسبابه واستثار أمواله وودائعه ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل على ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه . وحكى أيضا ان نفى شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نفي شيرزاد قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتّابه وأسبابه واستصفى اموالهم وقلد الوزارة [٣٣٠] ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قُرة الحسين بن محمد القنائي .

﴿ ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو رجل من دير قُنّى حسن الذكاء قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص باحمد ابن على القُنّائي فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط رئاسة من قبل السلطان فاقتنى أموالا جليلة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجرأة على السلطان يقدم على أمواله اقداما لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتدائه الى وجوه الحيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فانه كان يُرفق الوزراء والعمال باليسير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو الفضل في وزارته ليختار عند الحاجة والاضاقة الى معاملته وكان يشتري منه غلات القضيم بالثمن الزائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسعرها في وقت البيدر فربما قام عليه الكر بثلاثة ا كرار هذا الى أمثال ذلك في معاملات الحنطة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيته بواسط فانبسطت يده عليهم [٣٣١] فتأوّل عليهم وقوى باموالهم . وكان الواحد منهم اذا تظلّم منه لم ينصف وردّ اليه أمره فيبسط المكروه عليه فصارت رعيته تشكره على طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الي الموصل أيام معز الدولة مكنه واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شيرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويمنع منه مراغمة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرة يُهدى الي شيرزاد ويلاطفه ويكثر وجوه المرافق والمبارّ له ليمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أعنى أبا الفرج وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من الكتّاب ان يستوفيها عليه فيقرر باكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التى ذكرناها وسوي ما يستغلّه من أملاكه وسوى مايستخرجه من المصادرات والمصانعات . وكان شيرزاد يطالب الوزير أبا الفضل بما كان وافقه عليه اذا تمّم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتدّ عليه بما يصل اليه من جهة أبي قرة وقال له : هذا الرجل عاملي وانما ضممته اليك لينوب عنى (٣٣٢) عند غيبتى عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغى ان احتسب به عليك وتعتدهُ لى . ويستجيبه شيرزاد بانه لا يحتسب له الا بما يصل اليه من صلب ماله وخاص اقطاعه وارتفاقاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل واحد من صاحبه واستوحش أبو قرة أيضا واختص زيادة اختصاص بشيرزاد . فطمع فى المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم للحال المتأثلة واليسار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وايناسه والاستعانة به على شيرزاد وهوكان سبب اتصاله به . فلما تم على شيرزاد ماتم من النفي همّ الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبر أمره على ان تدارك غلاتهُ وخشى في الحال ان مدّ يده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيمه من تضمير

الكراع ووافق بختيار على انه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي الف دينار.

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئا من اسرار نفسه ولو فيما جرّ عليه ذهاب النفس والملك فاخرج حديثه وسرّه فبلغ أبا قرة ما جرى وكان يخشى عداوة أبي الفرج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له وَزَر[1] غير شيرزاد (٣٣٣) وكان قد نفي فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبهاني صاحبه وثقته ذلك المال الذي كان يرتفق به شيرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شيرزاد فصار في ظل أحصن من الظل الاول وتعذر على الوزير ان يملأ عينه منه فضلا (عن) أن يمدّ يده اليه. فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاقة وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرض[2] التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها حسده له على ظاهر حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والمروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الاتراك ومكاثرته اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختكين آزاذرويه وكاتبه سهل ابن بشر اياه لقصده اياهما بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرته اياهما ومنها عداوة صاحب الديوان أبي الفرج وأخيه علي بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرة عليه للاسباب التي ذكرناها فخلا من كل صديق

(١) يعني ملجأ ومن ابيات اليتيمة (٤، ٣٣٢)

شر السباع العوادي دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر

(٢) لعله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر (٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الي مصادقة أبي قرّة ليتعاضد على أبي الفضل لا لمودّة حقيقية فاتّفقا على ان يخاطبا سبكتكين الحاجب في مراسلة بختيار وموافقته على القبض على أبي الفضل وضمنه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتّابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان ففعل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق القول فيه .

فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج فى وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بما ضمنه لبختيار وتمكن أبو قرة من السعى عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتكين عنه

﴿ شرح الحال في ذلك وسبب تمكن أبي الفضل بعد نكبه ﴾
(حتي أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلع على أبي الفرج الخلعة التى تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان التزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها (٣٣٥) بما صح من خاص أمواله وأثمان غلاته وآلاته وكراعه ويوفي ما يبقى واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستسفهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيس عنه خوفا من نفاذ حيلته عليه وأعاده الى الحبس والتضييق وانفسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه فثني المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهقهم وجازفهم ومات في حبسه صهر لابي الفضل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهكى فاتهم به وانه قتله بالعذاب والمطالبة . وخلع على أبي قرة لتقلد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأقرت واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضمناء وتلقب بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحصينا لهذا اللقب عن أبي قرة

﴿ ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قرة وما تم له من
(عزله وتولية أبي الفضل) ﴾

وابتدأ أبو قرة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم انها من (٣٣٦) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيها فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزيد حتى ترامت الى نهاية الفساد وضمن أبو قرة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتي أمضى له وخرج الامر بان يخاطب به . وكان معز الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند اخراجه اياهما الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أبوابهما بالدبادب في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمر لا عليه ولم يقطعاه عند انصرافهما من وجه الحروب فلما تقلد أبو قرة الديوان أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفى واحب أن يضرب على بابه بالدبادب فسأل بختيار ذلك فأجابه اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه أبو قرة مالا فخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة في التنافس الى أبعد غاية وفي العداوة الى أقصى نهاية وكان

صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تتميز من سواها

فتقدم الوزير أبو الفرج الى كتابه بعمل لابي قرة ومؤامرة تشتمل على ما يجب عليه في مردود حسباناته التي عملها في سني ضمانه واثارة جميع ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة (٣٣٧) والحديثة فعملت هذه المؤامرة واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الى جهاتها وعرضت على بختيار وأطمع في وجوبها وأن حاله تفي بها فامر بمطالبته . واعتصم بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واغتاظ بختيار من تعززه عليه ووجد خصومه الطريق الي اغرائه به وأقاموا في نفسه أنه سيحمل سبكتكين على خلع طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه نقيبا ووكله به في دار سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه بختيار ومنابذته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبي قرة لمرفق يأخذه منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة في نفسه وحمية في قلبه ووعد أبا قرة انه سيتكلم فيه ويستنقذه . فلما صار عند بختيار سلمه الي الوزير أبي الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الى اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من اقامة التضمين للكراع ومهمات التسبيبات عليه . وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان يعامله به من المجاملة والنفاق ورأي (٣٣٨) انه على علاته كان أصلح له من أبي الفرج وضعف قلب أبي الفرج بفساد رأيه .

وكان أخوه أبو محمد على بن العباس الخازن مستوليا على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والمنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما جرى على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبى قرة وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر فى حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول ويعتزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضيم ونفذ الامور المتعلقة به وانحدر الي واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السعي لابى الفضل في الوزارة وانقاذه من محبسه والقبض على أبى الفرج وأبى محمد على بن العباس وأسبابهما

وقد كان الوزير أبوالفرج عطّل ديوان أبي قرة ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبة العمال وكان له كاتب اهوازي يعرف بابن السكر قد اتسعت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع . واتصل الخبر بأبي الفرج فغلظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر (٣٣٩) على أن يتقلد كاتبه هذا الديوان على مراغمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبى قرة الي نفسه وكان أخف على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر فيه فكوتب بالاصعاد فورد وجددت له الخلع وقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبى الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به من غلمان الوزير أبى الفرج ووسع عليهم وأكثر فى برهم والاحسان اليهم فلم يمنعوه من مكاتبة من يريد مكاتبته ووصلوا اليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الحيل وتم له أكثر ماحاوله فلما ورد أبو قرة

بغداد تمكن من اتمام أمره والسعى له .

واشتدت الاضاقة بابى الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط انغلقت عليه بابي قرة والبصرة والاهواز انغلقتا عليه بالاتراك الذين استبدوا باموالهما في تسبيباتهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبى الفضل لانه اقتصر على أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسعى في الوزارة (وهو لا يعلم انه قد سعى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له [٣٤٠] ولاخيه وتعصب الجند عليهما كحال أبى الفضل لما قبض عليه

﴿ ذكر ما احتال به فى هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأحال على أموال وقفت عليه بالاهواز وانه يريد الشخوص اليها فمنعه بختيار من الخروج الا بعد اقامة الوجوه للنفقات التي بحضرته لئلا تتوجه عليه المطالبات بعد خروجه ويقع اخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بحضرته حتي ضمن له ذلك . ووافقه على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته المعروف بابي القاسم على بن الحسين المشرف على أنه ناظر في الدواوين والحسبانات وشخص الي واسط . وشخص أبو قرة على أثره بعد أن قرر أمر أبى الفضل وفرغ منه ولكن تداق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده بها أبو الفرج والضمانات التى ضمنها أخوه فلما حصلا بواسط ضايقه أبو قرة فى الامور وعارضه فى التدبير وكان مستوليا على البلد بالضمان ثم على سائر الاعمال بحق النظر فى الديوان ثم بالعناية التى كانت له من سبكتكين فغنمه

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تدبيره وعمله [(٣٤١)] على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط. وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل باحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقاطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقدر محمد بن العباس الوزير ان يصل الي أمواله فانتقل الى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الى مضايق البطيحة . ووجد أبو قرة فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حق له في شيء مما يصل اليه من أموال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الى بلاد لم يجد فيها شيئاً ولو وجده لنازعه فيه أبو قرة وحصل منازلا لخاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الاعمال انساناً يكلمه ولا حبة من غلة ولا أثراً من مال فجنح الى مراسلة خاقان والتماس مصالحته فامتنع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل [(٣٤٢)] وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم المواد فاضطر الى الرحيل ورضى بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير . ووقعت المنازعة فيه بينه وبين ابي قرة حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الي الاهواز .

وكاتب أبو قرة بختيار يعلمه انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « مستروحا الي البعد عنك لتندفع عنه النكبة التي خافها من جهتك » وكتب

الى بختكين آزاذ رويه يحذره منه فكتب بختكين الى بختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسبيبات الاتراك وازالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الي أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة . ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده ولكثرة الاراجيف باخيه وبه وبان بختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف الف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدر النفقات . فكتب بختيار الى بختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم (٣٤٣) الى الاهواز وكتب الي أبي قرة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض بختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادمته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان في دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة [1]

---

(١) قال صاحب التكملة . فاما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي فولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهلبي وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما . وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهي التي كانت بستانا لنقيب النقباء الكامل وانتقلت الى الفضلوني وانفق عليها ابو الفضل زائدا على مائة الف دينار ثم احترقت فامر عضد الدولة ببسطها بستانا . وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل في وسط السماط قصرا من السكر فيها مخانيث واغاني يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملأها وغطا دجلة . ولم تنزل ببغداد قيان حتى احضرها وذلك في سنة ٣٥٤ فلما كان في سنة ٥٥ قال له معز الدولة : يا ابا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد الى الجبل في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي

﴿ ذكر السبب في ذلك [(١)] ﴾

كان حسنويه بن الحسين الكردى قد قوى واستفحل أمره لما وقع من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولانه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التى يتسط فيها والاضافات التى يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الى ان قصده ابن مسافر بالحرب [(٣٤٤)] فهزمه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكاشفه ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهي

بلا اخت . فقال : بل هى في كل سنة . وعمل دعوة انفق فيها الفى الف درهم ووهب فيها جوارى وغلمانا وأرا كا وضياعات واستمد بعد عملها عند الشرابين الف حمل مشوى وحمل الي ابي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا

واما ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فوالده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة فى ذى الحجة سنة ٣٣٨ وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادره عماد الدولة على ستمائة الف دينار وقال : انى كسبت معه خمسين الف درهم . وجاء مع معز الدولة الى بغداد وولاه الزمام على المهلبي وتوفى سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بامر ابنه حتى رد اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الاريب (٥ : ٣٦٨) عن ابى على مسكويه

الامر بينهما الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حواليهم ومنعوهم من الميرة وتفرقوا بازائهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسنويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحميت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ بكظمهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان فرفق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستئصال شافته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتى اجتاز به العسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة ورضي العدة والقوة (٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح وكان شابا قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة وعرف تدبير المملكة وسياسة الجند فهو بذكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفاقا شديدا على ركن الدولة وهو مع ذلك لقلة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويحب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخلع عليهم خلعا كثيرة ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول الفرّه بالمراكب الثقال ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتى لا يأنف

أحد من تقبيل الارض بين يديه والمشى قدامه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لايؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لوكان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه .

ولقد سمعته فى كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم فى الحسد والجشع وانه ما ملكهم أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا يبطرهم ولا يخرجهم الى التحاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أوسطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمته (٣٤٦) والسعي على ازالتها وترقب أوقات الغرة فى آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملأ قلبه رعبا وانه سيكف عن السيرة التى شرع فيها فما هو الا ان يفارق مجلسه ذاك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سفرته هذه ان يتركه بحضرة صاحبه فيلج فى هذه الاخلاق ويغتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهى الى ما لا يتلافاه فسيره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا على محمد بن أحمد المعروف بابن البيع وكان فاضلا أديبا ركينا حسن الصورة مقبول الجملة حسن المخبر خلقا وأدبا .

فلما كان فى بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا ينتقل على ظهور الدواب لافراط علة النقرس وغيرها عليه التفت حوله فلم ير في موكبه احدا وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيرى فسألنى عن الخبر فقلتُ له : ان الجماعة باسرهم مالت مع أبي الفتح الى الصيد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عمن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القوّاد على مائدته التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقباؤهم فلما كان في ذلك اليوم (٣٤٧) لم يحضره أحد واستقصي في السؤال فقيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء » فاشتط من ذلك وساءه ان يجرى مثل هذا ولا يستأذن فيه . وقد كان أنكر خلوّ موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من المعسكر فتم عليه حيله فدعا أكبر حجابه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته وظن ان هذا المبلغ من الانكار سيغض منه وينهى العسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر. وعاد الفتى الى عادته واتبعه العسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يخليهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يحب ان يخرق هيبة نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالغ في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعنى ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلني الا جرع الغيظ التي تجرعتها منه .

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سألته عن عاقبة أمر حسنويه معه وهل الي استئصاله سبيل فقال : اما بهذه (٣٤٨) السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكننا سنعود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء ويعود حسنويه وهو كما كان ونقصان شيء ثم يُدبر أمره على الايام . فلما حصل بهمذان اشتدت علته فتوفي بها رحمه الله وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان العسكر كما

ذكرت مائلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنّاهم وبذل لهم طعامه ومنادمته وأكثر من الخلع عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه على الطاعة وأومأ الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أنفق على ذلك العسكر وتتوفر بعد ذلك بقيته على خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل [ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من حسنويه ولأنه يحب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه ولم يؤثر في أمره أثرا يسمع به وليّه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه ببابه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب (وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ماعرفه بالكفاية والسداد) فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه الى ان تقرر أمره على خمسين(٣٤٩) الف دينار ينكسر بعضها وجبي كورة الجبل وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة الف دينار ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشد مُنّته وأحمد جميع ما كان دبره وأمر بالعود الى الحضرة بالرى

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمذان في صفر ليلة الخميس السادس منه سنة ستين وثلثمائة ففُقد به الفضل اجمع وعدمت المحاسن التي ما اجتمعت لغيره في الاسلام (١)

---

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الصابي : قيل ان مما نقم به ابن العميد على ركن الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالري واختار له موضعا وكانت فيه شجرة ذات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة فقدر لقلعها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك انه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الاستاذ الرئيس كان(٣٥٠) يستنشده اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق عليّ وأحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الاستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيأ فأعياني ذلك حتى وقع اليّ ديوان الكميت وهو مكثر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطعا فقال ابن العميد : أنا أكفى الامير هذه الكلفة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد واقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الازراء : افعل . فاستدعا حبالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقيل فلما رتب ما رتبه ونصب ما نصبه اقام نفرا قليلا حتى مدوا ومنع ان يقف احد على جربان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج اصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في موكبه ينظر فما راعهم الا تزعزع الأرض وانفتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الي ابي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا يعظم عند من يعرف الحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

قصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الاستاذ الرئيس وحفظته اياها وتوخيت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات أبا القاسم أنشدني شيأ مما حفظته بعدي . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده اياها فخجلت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فانشده القصيدة الاخري فأسقط فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فعلمت ان الرجل بحر لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أديبا كاتبا .

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلا ونهارا انه ما أُنشد شعر قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سألته يوما وقلت : أيها الاستاذ كيف تفرغ (٣٥١) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك تظن أني أتكلف حفظ مثل هذا انما يتحفظ لى اذا مر بسمعي مرة . وقد صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسى الابيات التى تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فيعيدها بعد ذلك مستحسنا وربما سألنى عنها ويستنشدني شيأ منها فلا أتوم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكرنيها ويعيدها . وحدثني غير مرة انه كان في حداثته يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزنا وأكثر قدرا من أن يتزيد فقلت له : كيف كان يتأتي لك ذلك . فقال . كانت لى شريطة وهى أن يقترح علىّ من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدتها . فقلت وما معنى البراءة عن عهدتها . قال : لا أكلف اعادتها بعد ذلك . قال : فكنت أنشدها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بغيرها حتي أفرغ من الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يخف عليه علو طبقته فيها وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل فانه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازله . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة (٣٥٢) وأعلى رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه ان يدعيها بحضرته الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون المذاكرة . وقد رأيت بحضرته أبا الحسن العامري [1] رحمه الله وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلسوف تام وقد شرح كتب أرسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واستانف القراءة عليه وكان يعدّ نفسه في منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب مستغلقة ففتحها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضى الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الاريب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١ فليراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتحبس فيها ولا يتلعثم . ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذى قصده به واطلاق القول بأنه لم ير مثله ولا ظن انه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة (٣٥٣) أخلاقه ونزاهة نفسه اذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه الا قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى اذا طاوله وأتت الشهور والسنون على محاضرته واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجرى بحضرته نبذ منه فرغب اليه في اتمامه تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه بارع فى ذلك الفن والمعني وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم ولكن بعد أن يمد لهم فى الميدان ويرخي من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى ينفد ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته فى العلوم والاداب المعروفة ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها الي أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقيل ومعرفة مراكز الاثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيدا وتؤثر آثارا عظيمة ومرايي تحرق على مسافة بعيدة جدا ولطف كف لم يسمع بمثله ومعرفة بدقائق علم (٣٥٤) التصاوير وتعاط له بديع ولقد رأيته يتناول من مجلسه الذي يخلو فيه بثقاته وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره

بالالات المعدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتى له مثلها

فاذا حضر المعارك وباشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلى بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع ثبات جأش وحضور رأى وعلم بمواضع الفرص وبصر بسياسة العساكر والجيوش ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاعه بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار الاموال فقد دلت عليه رسائله ولا سيما رسالته الى أبي محمد ابن هندو [1] التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب ان يتلافى به حتى تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منه من بسط العدل في ممالكه وعمارة ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغنم ما يتعجل له ولا يري النظر في عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ما لا يمكن أحدا [٣٥٥] تلافيه وردهم عنه وكان مضطرا الى فعل ذلك لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمتثل جميع أمره وانما يرأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه ومسامحة في أشياء لا يحتملها أمير عن مأمور وهذه سيرة اذا عوّدها الجند لم يمكن ان يفطموا عنها بل تزداد على الايام وتتمادى حتي ينتهى الى ما انتهى اليه جند عصرنا من تسحبهم على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التي تضرأ ولا تقبل الادب

(١) هو على بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دارى جنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزة وباشروا مع عجزهم أمورا مضطربة وجندا متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤا لايمنعهم أحد منها وانما أميرهم يسمى بالامرة ما دام يستجيب لهم الى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به. وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسعان عليهم في الاقطاعات ويبذلان لهم من الرغائب ما لا يبقي لهم معها حجة ولا موضع طلبة وهم مع ذلك يتحكمون ويبسطون أيديهم ويطمعون فيما لامطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدبر ان يقيم (٣٥٦) كل يوم وجها لنفقة الامير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أوحيلة على من يتهم بيسار كائنا من كان وربما تعذر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين فاما نفقات الحشم وجراياتهم وما يقيم ارماقهم فكانت تتمحل وربما امتنع عليهم اقامتها أياما ومع ذلك فان هؤلاء المدبرين كانوا لا يتمكنون من الفكر في وجوه الحيل لكثرة من يزدحم عليهم من الجند أعني الديلم والاتراك وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل الى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا الى الصحراء ويجتمعون على ظهور دوابهم ويثنون أرجلهم على أعناقها بقدر مايديرون الرأي في وجه الحيلة واقامة وظيفة ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفايتهم في صناعتهم. فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الامير ركن الدولة استقام الامر حتى رأيناه يركب الى ديوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتابه ثم يلقى صاحبه فلا يدور بينهما الا عوارض المهم الذي لايخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولا بالعلم وأهله . وبسط عدله وأقام هيبته في صدور الجند والرعية حتى كان يكفيه رفع الطرف الى أحدهم على طريق الانكار (٣٥٧) فترتعد الفرائص وتضطرب الاعضاء وتسترخي المفاصل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لاطلت هذا الفصل اطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا ان صاحبه كان لا يستجيب الى عمارة نواحيه كما حكيته في أول هذا الجزء خوفا من اخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت ويري ان دولته مقرونة بدولة الاكراد فلذلك لا يمنعهم من العيث ولا يطلق يد حماة الاطراف في قصدهم ويرضى ان يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشى » فيقول « لان هؤلاء أيضا [يعني الاكراد] يحتاجون الى القوت » ولقد قيل مرة ان الاكراد وقعوا على بغال له خرجت للملوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يلحقون ان طلبوا فقال فى الجواب : كم كانت البغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الاكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب ان تكون البغال سبعة بعددهم . فاذا كان هذا رأيه فى الانكار على أهل العيث وذلك رأيه في توفير العمارات واستغزار الاموال فما حيلة وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر الى سيرة ملك قد عوّد وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايتهم من تمشية (٣٥٨) أمره يوما بيوم

ثم آلت الحال الى النظام الذى ذكرته واطردت الامور اطرادها المشهور الذى دبره الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أى كفاية كانت له وأي سياسة مشت بين يديه ولكنه رحمه الله لما حصل بفارس علم عضا

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التي هى صناعة الصناعات واتقنه ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقنا وتلميذا فهما حتى سمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذنا وكان لا يذكره في حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يعتد له بجميع ما يتم من تدابيره وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه ومأخوذ عن رأيه وعلمه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا انتهينا الى سيرة عضد الدولة وما تم له من حيازة الممالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة الملك الى رسومه القديمة ان أخّر الله فى الاجل . ولعل من يطلع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن انا أعرناه شهادة أو ادعينا له أكثر من قدر علمه (٣٥٩) ومبلغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا الا نقول الا به .

﴿ ودخلت سنة ستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة رأى بختيار ورئي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك ورؤساء الديلم مصاهرات لتزول العداوات التي نشأت بينهم فابتدىء بعقد مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المعروف بآزاذرويه مولى معز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين بكتجور مولى معز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحلف كل فريق منهما لصاحبه فحلفوا جميعا على موالاة عز الدولة بختيار بن معز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله (١) فثقل لسانه وجانبه الايمن وذلك فى يوم السبت لليلة خلت من صفر سنة ٣٦٠ ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه الحال الى الوقت الذى سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفى هذه السنة ورد حاجب (٢) لابى تغلب ابن حمدان وهو عدة الدولة فعقد مصاهرة بين أبى تغلب باحدى بناته وبين عز الدولة بختيار على صداق مائة الف دينار وجدد على أبى تغلب عقد (٣٦٠) أعماله لاربع سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأنفذت اليه الخلع

وفى هذه السنة كانت وزارة أبى الفضل العباس بن الحسين الثانية لعز الدولة والقبض على أبى الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

قد كنا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آزاذرويه بالقبض على أبى

(١) وفى الاصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفى أول صفر لحق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاء جانبه الايمن وثقل لسانه

(٢) قال صاحب التكملة : وفى شهر ربيع الاول وصل أبو الحسن على بن عمرو ابن ميمون وقد ثبتت وكالته عند القاضى أبى محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له بنت عز الدولة وسنها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكنى الخليفة أبا تغلب وجدد له ضمان الموصل وسائر أعماله بديار ربيعة ومضر في كل سنة بالف الف ومائتي الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبى عمر محمد بن فناخسر الخازن حتى سلم اليه الخلع لصاحبه والسيف . والراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد على كما تقدم ذكره .

الفرج ومن معه فى يوم وصولهم الي الاهواز وانه كتب أيضاً الى أبي قرة بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخي أبي الفرج في مجلسه وكان يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وخلع عليه للوزارة وذلك يوم الثلثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه أبي عمرو ابن أدمى وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصبهاني وتقرب اليه فى مظاهرة أبي قرة ومساعدته . وقلد أخاه الحسن بن محمد القنائى خزانة عز الدولة مضافا الى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قرة على الدواوين وقلد أبا أحمد ابن حفص ديوانا كانت تجري فيه نواحٍ اختصها بختيار لنفسه وسماه ديوان الخاص وكتب الى أبي قرة يستدعيه من الاهواز الى الحضرة وأمر بانفاذ أبي الفرج محمد بن العباس(٣٦١) الى البصرة موكلا به . فورد أبو قرة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير أبو الفضل فى اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما معاهدة ومحالفة بامر عز الدولة وسبكتكين اياهما واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل فى أمره وزيادة خرجه على دخله وقلبه ظهراً لبطن فلم يروجها غير اطماع عز الدولة فى أموال عمران فحرضه عليه وقرب عليه أمره واتفق ورود أبي قرة وقد تمت العزيمة . فشخص بختيار متقدما وسار فى الجانب الغربى على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قرة انحدرا فى الماء واجتمعت الجماعة بواسط وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفى هذه السنة ارتفع امر ابن بقية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ الوزارة كما سنحكيه باذن الله

﴿ ذكر ارتفاع ابن بقية ﴾

كان هذا الرجل من القرية المعروفة باوانا وكان أبوه مزارعا وجدّه بقية واليه كان ينتسب ونشأ فى أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل فى غمارهم وأنتسب الى بعض عياريهم وكان جرى رسمه بتقلد الماصير . واتفق له ان اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بعمله وكان ضامنا لتسكريت[٣٦٢] وما يجرى معها من الماصير العليا وأبواب المال فلما خدم عمله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها وفوضها اليه و كان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادهما من الحال التى نشأ عليها . واتفق على عمله اتفاق سيء من عال اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بقية فى ضمان أعماله وعنى به جماعة من الكتاب لاجل ما كان يبذله لهم فعقدت الاعمال عليه الا انه لم ينفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره[١] ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تتزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبى الفضل وقرب منه وتعلق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فنفق على عز الدولة بختيار وبذل له مرفقا يوصله اليه مما ينظر فيه فقبل

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان يخدم في مطابخ معز الدولة حتي خدم أباالفضل الشيرازى وكان واسع النفس وكانت وظيفته فى كل يوم الف رطل ثلجا وفي كل شهر أربعة الاف منا شمعا وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس فى الدسوت الكاملة ويضع وراء مجلسه أساطين الشمع و بين يديه عدة أتوار فيها الموكبيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تورقيه ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي أيدى الفراشين الموكبيات بين يدي من يدخل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كوانين الفحم فيها جمر الغضا ويترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتعل أحسن اشتعال

بختيار منه ذلك وردت اليه الوكالة وتقلد المطبخ فبالغ بالمرفق الذى بذله لبختيار عشرة الاف درهم فى كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب الدواوين ومنعهم من الاستقصاء عليه ويشد على يده فى استيفاء أموال تسبيباته من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرفق الذى ذكرته مشاهرة ثم أنس به فى خلواته ومجالس لهوه وانبسط اليه بانواع من المزاح (٣٦٣) كان يستعملها فى مجالسه مع ندمائه فلطف موقعه ودخل معه كل مدخل . ثم صار يهاديه بالخيل والبغال والجوارح والالطاف والجواري والعبيد ودخل فى جلالة العز فعرض جاهه عنده حتى صار يتوسط بينه وبين كل رافع ظلامة وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التى نحن فى ذكرها الى أبى الفضل كان ابن بقية قد استولى غاية الاستيلاء وصار فى مثل منزلة شيرزاد اختصاصا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأنفذه الى بغداد ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجري عليهما ببغداد أمر قبيح يجرى مجرى التشفى من غير ضرب ولا مكروه فى الجسم بل بضروب من الاستخفاف والاهانة والاسماع فتم لهما الهرب واستترا عند بعض أسباب سبكتكين . فعادت الوحشة بين أبى الفضل وبين سبكتكين واتهم بانه يسفر له في العود الى الوزارة والجأته الحال الى مطالبة عز الدولة بختيار باليمين الغموس على الا يستوزره أبداً ولا يستعين به في شيء من الاعمال ان لم يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين (٣٦٤) وحلف له عز الدولة بحضرة القواد

والقضاة والشهود ووجوه الحاشية وكان في اليمين كل ما يكون في أيمان البيعة ولقنه بنفسه حرفا حرفا وبقي الامر كذلك وأبو الفرج مستتر الى أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولاخيه امان فظهرا بعناية سبكتكين . وضعف أمر الوزير أبي الفضل وضعفت مُنته وتأدى أمره الى النكبة التي هلك فيها ووفى بختيار باليمين وقلد أبا طاهر ابن بقية الوزارة فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لايستوزر ولا يشرع في شيء من فساد حاله ونفى أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أصعد الى بغداد بغير أمره وذاك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن بقية فاغتاظ لذلك وقبض عليه ونفاه الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أصعد سراً واستتر ببغداد في عرض الفتن التي كانت تجري ثم تمكن ابن بقية منه ومن أخيه وطالبهما ثم نفاه ونفى أبا الفرج الى سر من راي واعتقله بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبي قرة بعد حصوله بواسط ﴾
(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما أنس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظلموا اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرب بلادهم وأفقرهم وظلمهم وغشمهم وصادرهم وملك (٣٦٥) عليهم ضياعهم وانه استحل منهم ما حرمه الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بختيار ذلك وغاظه فعله وتمكنه من النعم الكثيرة حتى أزالها واستبد بها فصرفه عن واسط وتقدم الى ابن بقية أن ينظر فيها على سبيل الامانة . فاتهم أبو قرة الوزير أبا الفضل بانه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكتب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ما جرى ويحرضه على أبي الفضل ويعلمه انه قد حنث في يمينه وعقوده التي بينهما وعاد الى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف أبو قرة على أبي طاهر ابن بقية فخاطبه بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطالبه بالحسبانات لما يجرى على يده دخلا وخرجا فاستطال عليه ابن بقية وانتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قرة . واتصل بسهل بن بشر النصراني كاتب بختكين آزاذرويه وهو بالاهواز ما جرى على ابي قرة وضعف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب الى بختيار يضمنه بمال عظيم وساعده ابن بقية فقبض على أبي قرة وأسبابه واستبيح ماله وقبضت ضياعه وغلاته فسارع الى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه واسبابه وبذل بعد ذلك أموالا عظيمة يثيرها من محاسبات الضمناء واستمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل (٣٦٦) واحد منهما ناصرا لصاحبه . ثم ان بختيار مال الى ما بذله أبو قرة فامر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التي سبقت الى سبكتكين في أمره

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبي قرة بعد تماسكه ﴾
(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليلبسها فكره المنجمون له الوقت واشاروا عليه بالتوقف ليختار له يوم فورد للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آزاذرويه صاحبه يسئلان تسليم أبي قرة اليه بزيادة بذلها وضمنه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سعايتهم به وانه عدو لهم يستأصلهم فسعوا الى ابن بقية به حتي أشار على عز الدولة بتسليمه الى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة فى الخلاص والعود الى التعزز عليه بسبكتكين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من ليلته الى الاهواز وصودر هناك وتشفى منه وتلف في أنواع المكاره التى جرت عليه[1] وقلد ديوانه أبو احمد ابن حفص[2] ثم أفضت الوزارة الى ابن بقية فضعفت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفى هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب فى ذلك والاتفاق الحادث ﴾
﴿ عن قصد وغير قصد ﴾ (٣٦٧)

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتمام الصلح بينه وبين أخيه أبى تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساده فانفذ أبو تغلب أخاه المكني بابى البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلك طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة نخلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفا

وانتهى حمدان الى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الاتمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام وتهيأ لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلمة فى السور غامضة كانوا

---

(١) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة قبض على أبي قرة بالجامدة وحمل الى جنديسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نقل القبة التى على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالشؤم ونصبها على مجلس في داره وكان القاسم قد تقوي في عملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا فى التكملة

يهتدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستتر وراء السور وضرب بالبوق فبادر القوم الى الباب منقطعين متفرقين وايس يعلمون بحصول حمدان من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملي الخراج والمونة ووجد في أيديهم غلات قد وردت في السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قرقيسيا .
واتصل خبره بابي البركات وهو سائر الى الموصل فعطف عليه وحازاه من الجانب الجزرى وتخاطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا البركات (٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الخابور . فاتفق أن صار الى حمدان مائتا فارس من بنى نمير مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام فصار فى خمسمائة فارس فتتبعت نفسه العبور في أثر أخيه والتصملك على عسكر وكان فيه جرأة واقدام فخاطر وعبر فى جريدة خيل وسار حتى أدركه بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجتاز فنزل منه على فرسخين وبكر فى الغلس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على غير استعداد لانه لم يقع فى ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما .
فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه فى طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون فبث حمدان أولئك العرب فى الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم شمله وحقق على أبى البركات فى الحملة مع غلمانه فوجده متسرعا فى أول الناس فاجتمعا متصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيوف ولم تكن على أبى البركات جُنّة فضربه حمدان على رأسه فسقط الى الارض وأخذه أسيراً وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى واستبقى البعض وانكفأ الى قرقيسيا

ليعالج أخاه من ضربتـه وظن انه ينجو فتلف بعـد ثلاث [٣٦٩] فانفذه فى تابوت الى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب [١]

واختلف باقى الاخوة وتخاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقـين فى أعمالهم فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد كاتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستدعاه وأطمعه في الاحسان والزيادة فاغتر محمد وصار اليـه فقبض عليه واعتقله فى قلعة أردمشت وضيق عليه هناك وثقله بالحـديد حتى أطلقه عضد الدولة لما ملك تلك الديار [٢] وكنت مندوبا لنقل ما فى تلك القلعة من الذخائر مأمونا على ما فيها فجرى ما سأذكره اذا انتهيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيهم محمد وأقبل أبو تغلب يستميلهم فخدعهم واحـداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتقلب بهم سوى أبي طاهر ابراهيم فانه لم يسكن اليـه ورحل الى بغداد مستأمنا الى عزالدولة بختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأنفذ منها أخاه أبا القاسم هبة الله سرية فى جيش كثيف الى الرحبة تقديرا أن يكبس أخاه ويأخذه اسيرا فما أحس به حتى أطل عليه فخرج هاربا واتبعه ابنه وطائفة

(١) قال صاحب التكملة : واعتذر حمـدان بانه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب : والله لالحقنـه به ولو ذهب ملكى . ولما عرف هبـة الله بن ناصر الدولة ما جرى على أبي الفوارس ثار به المرار وأنكر فعـل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه أبي تغلب وهو صاحب الحـديثة يقول : ان ابنه قد وفق الامير في افعاله ونحن وان كنا أخوة فنحن عبيد ولو أمرنى بالقبض عليه لفعلت . وقال أبو تغلب : هذا كتاب من يريد أن يسلم

(٢) وقصة اطلاقه من القلعة موجودة في الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

من غلمانه ولحقه هبة الله فابق عليه حتى نجا . ثم وقعت (٣٧٠) عليه سرية للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به فتعرف اليهم وكان متعلقا بينهم بذمام فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما أحبه فسألهم أن يسير معه نفر منهم الى طريق عانة ففعلوا وعدل الى مدينة السلام فاستقر الاخوان بها في ذي الحجة سنة ٣٦ وكتب بختيار اليهما بالانحدار اليه الى واسط فانحدرا ووصلا اليه في صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما واكرمهما [1] وأمر بحمل انزال كثيرة اليهما وردّهما الى بغداد بعد أن حمل الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب والبغال والمراكب . وسنذكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾
(لما استوحش منه فانعكس عليه)

قد قلنا ان أبا الفضل اتهم سبكتكين بانه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامى عليهما وانه يريد ان يسعي لابى الفرج فى الوزارة وكان سبكتكين اتهم أبا الفضل بانه دبر علي أبي قرة حتى قتل بعد ذلك بالعذاب الطويل فشرع أبو الفضل في استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الى ذلك سبيلا فصبر حينئذ على عداوته وأخذ فى التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بختيار بان يستدعى آزاذرويه من الاهواز ويزيد فى حاله ومحله ويقيمه كالضد لسبكتكين لينجذب الاتراك (٣٧١) الى هذا ويفلّهم عن ذلك فقبل بختيار بما أشار به عليه . وورد بختكين واسطا فعظم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

(١) زاد صاحب التكملة . وأنزل حمدان دار أبي قرة وأنزل أبا طاهر ابراهيم في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من انفضاض الاتراك عن سبكتكين وذلك أنهم تنبهوا على القصد وعلموا أنه انما دبر على تفريق شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والا يتفرقوا. واشفق بختكين آزاذرويه من أن يعتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر الى العود الى بابه والنزول تحت حكمه وطلب سامه بعد معاتبات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد زاد فى منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفهسلار وتموهت الوحشة واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط قدما أبا طاهر ابن بقية الى سبكتكين ليصلح ما تشعث بينه وبين الوزير أبي الفضل ويستعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا فى ذلك على نفاق ووحشة فى السر واندمل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف والنكبة واتصل بقتله وابادته

وفى هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة وكل من اتصل به وعفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض نافخ ضرمة (٣٧٢)

﴿ ذكر السبب فى اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى اتسعت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع فى يسير ماله وكانت البصرة معتدلة الحال مستقيمة الامور . فأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم في نفسه انه يصل منها الى مال كثير ولم يكن وراءها فسار اليها ولم يجد بها ما كان مولعا به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولاطفه هذا العامل بالهدايا والتحف ووافقه على مرفق يرفقه به ومشاهرة يقيمها له وتجاوز ذلك الى أن ضمن له اثارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والمعاملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيحة لان المد وافى وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج الى الانتظار الى وقت النقصان فامره بختيار بالخلع على أبي طاهر العامل وتقبل ما بذله له. ولم يستطب البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فعاد الى واسط ووصى الوزير بتقوية يد العامل والزيادة في بسطه (٣٧٣) والرفع منه فاضطر الوزير الى امتثال مارسم له وهو لا يختاره ولا يستصوبه . فبسط أبو طاهر العامل يده في القبض على التجار والعوام وتأول عليهم بالمحال واستخرج منهم أموالا كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بعهد يثق به وانه ممن يعتمد على قوله وذمامه وحدثت نفسه بمنزلة أبي قرة وان يرتقي منها الى منزلة الوزارة فساء رأي الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسعي على دمه فكتب الى بختيار يعرفه انه قد أخرب البصرة وأفسد نيات أهلها وانهم عرب لا يحملون ما يحمله غيرهم ويزعم ان أموالهم الآن قد حصلت والصواب يقتضي ارضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرته على مال ينضاف الى مصادرتهم ثم دس الى عز الدولة من يغريه به ويعظم عليه جناياته ويطمعه في ماله الى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمتصلين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كلهم وعقد

البصرة على على بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه لعداوة كان يعرفه بينهما وأخذ خطه بان يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما وأصعد عن البصرة لاستتمام منازلة عمران بن شاهين . وكان هذا العامل (أعنى أباطاهر) من أهل الشر فكثر خصماؤه [٣٧٤] وطلاب الطوائل عنده فعسفه على بن الحسين وسلمه الى مستخرج كان قد وتره فنالته منه مكاره عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فاتى على نفسه ثم ألحق به أخاه وأقاربه وزوجته فاتاف الجماعة بأسرها وعفى آثارها . ثم عطف على بن الحسين على معامليه ومخاطبيه وقوم تأول عليهم فصادرهم لصحة المال الذي ضمنه فما صح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانمحت آثار أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انحدر من ﴾
﴿ بغداد الى أن خرج عائداً اليها وما تم لعمران ﴾
(من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج الى التصيد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهقه عن التحرز منه والاستعداد له . وقد تفعل الملوك مثل هذا ولكن مع اتمام العزائم والصبر على مطاولة العدو بالمكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللعب والاشتغال عنه بالعبث وبترك الاستظهار واهمال الجند حتى تخرق الهيبة وتزول الحشمة ويظهر للعدو عصيان الجند وقلة النظر فى الحرب والتعويل على الجد دون الجد حتى يطمع

على الحيرة والتبلد ومكان (٣٧٥) العورة والضرورة الداعية الى مقاربته فى طلب الصلح منه والجنوح الي السلم بعد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل فى المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استطاب التصيد الذى أظهره مكيدة لعدوّه وأقام بالنعمانية شهرا مع عساكره التى علم معها عمران ان قصده بهم اياه[1] لاغيره . ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبني أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويعدل بها الى غيره وان يبنى مسنّاة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشياً الى معقله وهذا ضد مابنى عليه أمره فى الابتداء ولا يشبه الحيلة التى تؤدى الى ارهاق العدوّ ومنعه من الفكر فان الهجوم والكبس والبيات يتم بالمعاجلة والركض الى الغاية دون التمهل والاخذ والتدابير البعيدة والاعمال الطويلة

فلما طالت المدة في عمل هذه السدود وجرت فى اضعافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتمامها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد فى جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول (٣٧٦) احتال فى تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ايقاع ثلمة يسيرة فى احد نواحى السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته فى الهدم والتخريب فربما أفسد فى ساعة من الليل أو النهار تعب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام فى وجوه المياه الجارية عند ضعف

(١) لعله انه قصد بهم

جريانها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حدورها كفى منها اليسير من المونة حتى تنبعث ويدفع بعضها بعضا وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة ثم يوسعه الماء وينتهى فيه الى حيث لا حيلة فى سده ولما عمل بختيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأنى المد كان قصاراهما حفظ ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة فى هدمه فعدل عمران عن هدم سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل غلاته وزواربقه وجميع أمتعته الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من السنة الثانية وجد مكان عمران خاليا منه ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب غلاته فلم يجد فيها شيأ فانصرف خائبا. وضجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وانقطاع المواد التى الفوها فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بألسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والاتراك (٣٧٧) على التعصب واتفاق الكلمة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر بختيار الى طلب مصالحته على مال يلتمسه منه (وقد كان هابه فى أول الامر فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طاب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل الفى الف درهم بوساطة سهل بن بشر كاتب بختكين آزاذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجّم عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين أيضا فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما حلف. وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عليهم الزلة

وحدث للعسكر زيادة على المعهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان حمله معه

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار فى ارتجاع شىء منه فما أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجرائى (وكان ينظر فى أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا نقموها عليه وأبوا ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرته فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقده حتى صار فى جملة من سعى به ودبر فى هلاكه (٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها فى كرمان والقفص والبلوص فى طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستغوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة فى شق العصا . فلقيه كوركير بين جيرفت وبم وجرت بينهما حرب أجلت عن قتل سليمان (١) وبكر والحسين ابنى اليسع أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضمومين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأنفذها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت المنوجانية وسائر القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصى وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة فى الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابد بن على فسارا الى جيرفت فيمن معهما من العساكر فوقعت الوقعة يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ٣٦٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قاتله زرزاذ ودفن بدارزين . كذا فى تاريخ هلال الصابى فيما بعد

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابي سعيد البلوصي وحصل المعروف بأبي الفوارس الموجاني في الاسر وابن أخيه (٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجرون مجراهم ثم صمد عابد بن علي اقتصّ آثارهم والتولّج الى مكامنهم ليبيد غضراءهم فتابع الايقاع بهم والاثخان فيهم وانتهى الى هرموز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك فى الحروب الفا أسير من رجالهم ونسائهم وذراريهم فلاذوا بطلب الامان وبذلوا تسليم المعاقل والجبال على ان يدخلوا فى السلم وينزعوا شعار الحرب ويقتنعوا بالاقوات التى تحل وتطيب ويتحلوا بسيماء المسلمين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويتمسكوا بسائر شروط الايمان فعقدوا على أنفسهم بذلك عقدا وثيقا . ثم عدل عابد بن علي الى طوائف أخر من الامم المخالفة فى حال تصاقبهم يعرفون بالحرّمية والجاشكية يُخيفون السبل فى البر والبحر وكانوا ضامّوا سليمان بن محمد بن الياس فاوقع بهم وقتل كثيرا منهم وحصل فى يده رئيسهم أبو علي بن كلاب فضرب عنقه وقبض على خلق منهم فانفذهم الى شيراز فتوطأت تلك الاعمال وصلحت مدّة من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف باسا وأوعدهم جانبا وأشدهم كفرا ان اشتاقوا الى عاداتهم من اخافة السبل وسفك الدماء الحرام ونقض (٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك العهود فلما فعلوا ذلك اعتقد عضد الدولة الا حيلة فى صلاحهم ويئس منهم فرأى الا يبقى عليهم وعزم على المسير بنفسه الى كرمان فسار فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ فلما انتهي الى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا فى الاعمال وسعوا فيها بالفساد

ونصبوا للرئاسة عليهم على بن محمد البارزى ولقى الناس منهم عنتا شديدا فى
جميع طرقات كرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن على فى عسكر
كثيف من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكراد والزطّ
والرجال السيفية وأنفذه اليهم فلما أحسوا باطلاله عليهم أوغلوا فى الهرب
وسلكوا طرقا ضيقة شاقة ظنوا ان العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها
ثم ان عابدا أنفذ أخاه فى سريّة قوية خلفهم وسار هو فى باقى الجيش من
طريق آخر الى بلادهم التى يأوونها الى جبال البارز ففتحها[1] عنوة واستنزل
عنها محمد بن على البارزي وظفر بصهره أبى دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم
وعيونا ليأتيهم بالاخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر
منهم فكانوا ساكنين غارّين الى ان أطل الجيش في الموضع الذى ظنوا
انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معدلا عن المجاهدة فثبتوا سحابة (٣٨١)
يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ
طلوع الشمس الى غروبها ثم انجلت الوقعة عن قتل الرجال المقاتلة الا القليل
وعن الاحاطة بحرمهم وذراريهم وأملاكهم ونجا فى الوقت رئيسهم المعروف
بابن أبى الرجال البلوصى مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا
جميعا ودخل نفر يسير ممن بقى تحت الامان وتشبثوا بالعهد والذمام فنقلوا
عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الاكرة المزارعين والمستورين
من أجناس الرعية حتى طبّقوا تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال
من معرّة أولئك المفسدين

ثم عاد عابد بن على الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجرى مجراها

(١) فى الاصل « من فتحها »

من الدعار وكانوا وراء جبال القفص مما يلى التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم معرّة شديدة وفساد كثير وجنايات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه فى عسكر قوى من الديلم والاتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات في البر وعلى الشذاآت والمراكب فى البحر من سيراف الى مكلّي هرموز وسواحل كرمان فقطع عدّة مضايق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فاوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات (٣٨٢) الدعار في تلك النواحى أحدا .

وفي هذه السفرة تنكر عضد الدولة لكوركير فقبض عليه وردّه الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصلح

﴿ ودخلت سنة احدى وستين وثلثمائة ﴾

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمهما الله من الوزارة[1] بعد أبيه وفوض اليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكنه من أعنة الخيل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده الا أن والده باشر هذه الامور في كمال من أدواته وتمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لوفور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التى يراعيها ويدبر الجميع تدبيرا ملائما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة الا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه فى جاهه أو تحطه عن المنزلة العالية التى يرقى اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيبته وتمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثباتا .

(١) ليراجع ترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ٣٤٧

فاما ابنه أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله وأدب الكتابة وتيقظه وفراسته [٣٨٣] نزق الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشار فى المواكب التى يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التى يلتزم فيها الخلع والحملان على الدواب والمراكب والاسراف فى الصلات والنفقات تشبها بوزراء عزالدولة بختيار الذين لا خبرة لهم بعواقب الامور ولا نظر لهم فى مصالح الملك وانما همة أحدهم فى تناول شهواته والوصول الى لذاته واثارة غيظ حسادهم باظهار الزينة التى فوق طاقته. وليس يعلم ان أول من ينكر ذلك فى نفسه وان لم يبده له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له فى الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التى يرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجماعهم على جوده وسخائه واعتدادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولى نعمهم . فكان أبو الفتح ابن العميد يسرف في ركوب هذه الاهواء ويحب أن يبلغ غاية ما يقدر عليه منها فجلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والاقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسة أمور الجند وأحب الراحة والدعة ففوض اليه الامور ورآه شابا [٣٨٤] قد استقبل الدنيا استقبالا فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه الانتصاب للامر والنهي ومخالطة الجند والركوب الي الصيد ومشي خواص الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاربتهم ومؤانستهم والاحسان اليهم بالخلع والحملان . فاول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب فى موكب عظيم

ويغشي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الامارة حتى لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والحاشية فقط . ثم ترقي أمره في قيادة الجيش والتحقق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف من الرى والاجماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذى وقع بينه وبين الاتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار ولقب بذى الكفايتين من جهة الطائع لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أمور خالف فيها عضد الدولة وأوحشه وتأدي أمره الى الهلاك . وانما ذكرنا ها هنا جملة من سوء تدبيره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة في الامور التى حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبر بها المعتبرون ويجرى مجري تجارب الامم التى يتكرر مثلها فيتحرز منها . فاما الآن (٣٨٥) فانا نشرع في الامور التى حدثت في هذا الزمان الذى نحن في ذكره ونستقصى أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجاسر العامة على السلطان والفتن ﴾
(الثائرة بهم حتى خربت بغداد)

وذاك ان الكتب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا انفتاح الطريق للروم وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقلعوا البعض من شبابيكها فاغلقت الابواب دونهم بعد ان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعوه ما كره ونسبوه الى العجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره . وكان بختيار فى هذا الوقت بالكوفة مظهرا زيارة المشهد وغرضه التصيد فخرج اليه وجوه أهل بغداد[1] منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين (٣٨٦) وانصرافه عن تدبيرهم الى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة واهماله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد واللهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالعود الى واسط ومصالحة عمران والانكفاء الى الثغور فسكنوا وانصرفوا . فلما عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه انه عامل على الغزو ويلزمه أن يعد له من الزاد والعلوفة ما يسعه وجنده فى الطريق وأنفذ فى ذلك بعض خواصه فقضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمسارعة الى ما سأل وهو يعلم انه لا يفي بوعد ولا وعيد وانه يقول ولا يفعل .

ثم أنفذ محمد بن بقية برسالته الي سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصلحه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بان يستنفر من يرغب فى الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المنافق ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازى الفقيه وأبو الحسن على بن عيسي النحوى وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الربعى المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازى هو أحمد بن على تلميذ أبي الحسن الكرخى واليه رئاسة الحنفية أريد لقضاء القضاة فامتنع توفى سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبدالعزيز بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهي اليه معرفة مذهب الشافعي وله وجوه فى المذهب منها أنه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد فى المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسلمين فثار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والقسي حتي استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لترتيبهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالا عظيما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والهجوم(٣٨٧) على الحرم والفروج وتفاقم الامر بينهم وبلغ كل المبلغ فى الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم واطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسنذكر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بعون الله

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع فى مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجمين فيهم حتى حصل فى كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاقدون يغزو بعضهم بعضا نهارا وليلا ويحرق بعضهم دور بعض ويغير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم . فاما الاتراك فتسحبون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة فى سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال خمار لشيء حقير(١) كان حقده على بعض أصاغر الاتراك فلقيهم

(١) قال صاحب التكملة : وفى شعبان قتلت العامة والاتراك خمار صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لانه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . فقتل أحد العيارين فى سوق النحاسين فثارت العامة وقاتلته وأنفذ أبو الفضل الشيرازى حاجبه صافى لمعاونة صاحب الشرطة وكان صافي يبغض أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وألجأوه الى الهرب والدخول الى دار بختكين المعروف بجمدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فهجموا عليه وأخرجوه وقتلوه قتلة الكلاب خفقا بالسيوف واللتوت (٣٨٨) ثم سلموا جثته الى العامة ففصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جارحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار. وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقلعوا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فحضروه بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعني خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركت الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فتحرزوا واستعدوا وتعصبت العامة معهم فسكن بختيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار ثم عول على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لان هيبته كانت في نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة ببغداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تعصّب للطائفة المنتسبة الى السنة على الشيعة فثار أهل التشيع وعادت الحروب والفتن كاعظم ما كانت. فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان.

الدور والحمامات وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين داراً أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون الف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا. وكلم أبو أحمد الموسوى لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد الناصر العلوى. وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التى على باب البركة وأحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم: أيها الوزير أريتنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يرينا قدرته فيك. فامسك أبو الفضل ولم يجبه وركب الى داره

وعطف بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة الاموال واعطاء الرجال وأرضاء طبقات (٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما يفسد حاله وشانه ويحب أن تقضي أوقاته في الصيد والاكل والشرب والسماع واللهو واللعب بالنرد وتحريش الكلاب والديكة والقباج فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتياث والانحلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الي طلب الاموال من الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدوثة بها وتحرم ولا تحل في شيء من الاديان .

فبعث بختيار على مطالبة المطيع لله بمال يوهمه أنه من وراء ثروة ومال وانه يحتاج الى اخراجه في طريق الغزو وان ذلك واجب على الامام

﴿ ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين ﴾
(بختيار وما آل اليه أمر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والي تدبير الاموال والرجال وأما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به (٣٩٠) على منابركم تسكنون به رعاياكم فان أحببتم أن اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتكم والامر كله . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتى

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمائة الف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره . وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات (١)

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقامات التى تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالمحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقي الى أهل الملة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل الستر وبث السعاة والغمازين وسماهم العمال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه فى المساجد الجامعة وفى الكنائس والبيع وفي المحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها فى الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت فى ذلك حتى بطلت الاسواق وانقطعت المعايش وتعذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار . ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتى أركب اليهم طائفة من الجيش فواقعوهم (٣٩١) وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم .

وكان فى حجابه رجل يعرف بصافي ذميم الاخلاق دنى النفس يتعصب لاهل السنة فضرب محلة الكرخ وهى مجمع الشيعة ومعظم التجار

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فشددوا على المطيع لله حتي باع قماشه وحمل أربعمائة الف درهم فانفقها ابن بويه في اغراضه وأهمل الغزو وشاع فى الالسنة أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهر بالله كدى يوم جمعة فانظر الي تقلبات الدهر

بالنار فعظم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرة على الرعية فيما دبره سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوى (وهو الحسين ابن موسى ويتولى نقابة الطالبيين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى على الشيعة فاظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهاترة فصرفه الوزير عن النقابة بابي محمد بن الناصر [1] وهو الحسن بن احمد العلوى وحصل أبو احمد الموسوى من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المتربين عليه وحصل أبو الفضل فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطالب عنده ثار ابى قرة وفى نفسه عليه ما كان منه في استدعاء بختكين آزاذرويه من الاهواز الى واسط ليقيم مقامه ويجعله ضداً له وشيء آخر كان عظيما عنده قبيحا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما تركيا من غلمانه فغضب عليه وأمر ببيعه في السوق فنصب الوزير أبو الفضل من اشتراه له بضعف قيمته وتحظاه ونزل عنه منزلة من كان فى نفسه منه عشق ثم موله وأعطاه (٣٩٢) شيئاً كثيرا حتى صار أجل وأيسر من غلمان سبكتكين فلحقت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلمانه الذين فى داره بما وصل اليه هذا الغلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة الجرجرائى له وعداوة ابى احمد الموسوى النقيب له ثم عداوة محمد بن بقية له وكان ابن بقية قدملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له ان أبا نصر المعروف بابن السراج (واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسعاية) قد جمع بالمكسب الخبيث مالا عظيما وأعقد ضياعا جليلة فشعثها أبو الفضل تشعيثا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف بمحمد بن احمد الجرجرائى كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسين احمد بن الهادي الى الحق يحيى قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابى الفضل) ويداخلان محمد بن بقية ويمرضانه للمكاسب الجليلة والفوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهماه انه ساع عليه وانه لن يعدم أن يقصمه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك الى أن أشارا عليه بتقلد الوزارة وان يسبقه الى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب فى تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل لحمل دواة بين يدى وزير ولا يطمع فى شىء من هذه المراتب (٣٩٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ فى توفير وفره وخدمة فى جملتها تمسخر وكان مستخرجا عسوفا شديد القسوة جاهلا وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر وهو فى هذه السيرة متشبه باهل الشطارة والفتاك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشارعليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبى الفضل قبل أن يسبقه الى ذلك دهش وعلم أنه يعجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سديد لابن بقية فى تلك الحال ﴾

انه أجابهما بان قال: لاصناعة لى ولا توجه فيما تدعوانى اليه ولى عند صاحبي منزلة كبيرة تحتاج الوزراء الىّ معها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي وانهجن ويقدح فى منزلتى واحط عنها من غير أن أنتفع بالوزارة. فشجعاه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخدمه ويكفيه العمل كله ثم صارا الى سبكتكين الحاجب وذكراه بافعال الوزير أبى الفضل وحملاه على الشروع فى صرف أبى الفضل ونكبته فقال لهما: انى لم أزل معتقدا لذلك وانما كان توقفي عنه طلبا لمن يقوم مقامه ويسد مسده اذ كان

محمد بن العباس[1] قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضيّاً فى وزارته ولا (٣٩٤) ناهضا بها وقد حفظت على الامير بختيار اعيان البيعة بان لا يقلده وزارته . فخاطباه فى تقليد ابن بقية وضمنا عنه أن ينهض ويغنى ويكفى وانهما يعضدانه ويشدان منه فى التدبير والنظر في الامور فاستروح سبكتكين الى ذلك وجمع به التشفي من أبى الفضل وفساد أمر بختيار وتجشم احتمال الغضاضة في توفية محمد بن بقية حقوق الوزارة بعد ان لم يكن ممن يجوز أن يعده من أصاغر خدمه ولا يطمع فى دخول داره وانما تجرع ذلك وطابت به نفسه لعظيم ما كان في قلبه من أبى الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار ساء رأيه في أبى الفضل جداً فاستجاب اليه .

وقد كان أبو سهل ديزويه العارض مرموقا بمال عظيم ولم يتمكن منه لمصاهرة كانت بينه وبين شيرزاد بن سرخاب فلما نفى شيرزاد احتيج اليه في تسكين الجند مديدة فتدافعت نكبته ثم أن أبا الفضل هم في هذا الوقت بالقبض عليه فاحب ابن بقية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج أمواله . فجرى الامر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل ديزويه في يوم الخميس وقبض ابن بقيه على أبي الفضل يوم الاحد فكان بينهما ثلاثة أيام واستتم القبض على جميع (٣٩٥) كتابهما ومن يتصل بهما من أسبابهما وكان ذلك فى سنة ٣٦٢

وفى سنة ٣٦١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبى صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة عضد الدولة ونفذ فى ذلك عابد بن على مع عشرة أنفس مختارين من

(١) يعنى أبن فسانجس الوزير

الاشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكلف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسل والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قط الى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم

وفى سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبى اسحق ابراهيم بن معز الدولة وكنّاه ولقبه عمدة الدولة (١)

وفى هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميّافارقين (٢) وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة لكنه اتفق ان لقيه فى مضيق لا تجول فيه العساكر وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامة فانهزم الروم وأخذ الدمستق أسيرا وتمكن المسلمون منهم وأعز الله دينه وكثر القتل والاسر حتى أنفذ الى بغداد الرؤس والايدى وكانت كثيرة فشهرت وكانت (٣٩٦) هذه الوقعة فى آخر يوم شهر رمضان سنة ٣٦٢ وحبس أبو تغلب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبطّ وتأدت الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد فى علاجه وقدّر ان يبلغ

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجبة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أبيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه واليها هزارمرد مولى أبى الهيجاء ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل الثغور فنصرهم الله تعالى وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق وأخذ مأسورا وذلك في ثانى شوال . وكان أكبر السبب فى خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تعلى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يتأهب وكانت الحال في أسره كما وصفنا . وكتب أبو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو مذكور في رسائله ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد

وفي هذه السنة خلع ثانى يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذى الحجة سنة ٣٦٢ على محمد بن بقية وكان الى هذا اليوم يقدم الطعام اليه ويحمل الغضائر بيده ويتشح بمناديل الغمر ويذوق الالوان عند تقديمه اياها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار . وتعجب الناس من وزارته فانه كان دنياً لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صغار الناس به قربا وبعدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجرائى وناط الامور به وبالمعروف بابى نصر السرّاج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صح أكثرها سُلّم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيي العلوى الكوفي على ان يخرجه (٣٩٧) الى الكوفة ويحبسه عنده فتسلمه وعاش عنده مديدة وتنف فلم يشك أحد انه مات مسموما (١)

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهلبى رحمه الله وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك فى دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذراريح في سكنجبين فتقرحت مثانته ومات من ذلك قال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك ان أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك تجمل في المعاملات وتنسى المقابلة وتلقى وليك وعدوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على عتوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى أورد ولم يصدر ولم ينعش بعد ان عثر . وفي تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

أبي الفضل قتلا من غير ان طال بهم الاعمار وسنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

﴿ ذكر ما دبّر به ابن بقيّة أمره حتى تماسك مديدة ﴾

انه جدّ في مطالبة أبي الفضل وأسبابه من خلفائه وحجابه وغلمانه وكل من انتسب اليه والى ديزويه العارض حتى استصفى أموالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشت الامور بين يديه فتبجّح بذلك وادعي حسن الاثر وتوصل الى ان كناه المطيع ولقبه الناصح فخلع عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لابي الفضل والطعن عليه وادّعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والغشم واثارة الفتن ماصارت أيام أبي الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرَين وكل ذلك لسوء نظر بختيار واهماله الامور واقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة (٣٩٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يعدم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قاتلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فانقطعت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون

﴿ ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ﴾
(ثم عادت الحال كاسوأ ما كانت)

شرع ابن بقية في اصلاح مابين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فترددت المراسلات ووجوه[1] الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

(١) قدسقط شيء

منهما على صاحبه يمين مؤكدة على التصافى والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختيار مع جماعة من الاتراك فلقيه وسلم عليه وانصرف. ولم يعد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى فى التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكرة ووجد الاعداء والمتسوقون [1] طريقا سهلا في الشر فسلكوه فادا الى التنافر [٣٦١]

﴿ ذكر سبب قوى فى عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾

اجتاز ديلمى من سقط الجند سكران فى فنا دار سبكتكين الحاجب فيما يلى دجلة وهو نائم فرمى الديلمي أحد صوالجة الروشن بزوبين كان معه فاثبته فيه على سبيل العبث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرميه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستقصى عليه فلم يكن لذلك الظن أصل فامر بانفاذه الى بختيار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فعله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة أيام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نافرة

﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

وفيها خرج بختيار الى الموصل طمعا فى تناول بعض ما فى تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد فى طريقه

(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطمع بختيار فى الموصل وقدر أن خروجه اليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن نكبته وليتغلل عما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها فى القضيم والاقوات

(١) يعنى السعاة قال أبو العلاء المعرى في اللزوميات (١ : ٢١) *ولا تقبلوا من كاذب متسوق*

فلما تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص ابن بقية على الموصل (٤٠٠)

﴿ذكر سبب ذلك﴾

وردت كتب أبي تغلب على ابن بقية مع على بن عمرو كاتب أبي تغلب ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكاتب به الوزراء قبل ذلك لانحطاط منزلته في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاغتاظ ابن بقية من ذلك وذكر على بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبيح وتوعدهما بالمسير فتلافاه بالمكاتبة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقية عن عزيمته. وأحب بختيار الخروج الى الموصل للامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لوكيد العداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه ليقطعه عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار. ونظر ابراهيم فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « باني سائر اليك » واستدعى منه نفرا من الفرسان والاعراب ليصحبوه فانفذهم الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاه المسمى ذا القرنين[1] وكان رهينة في يد معز الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم (٤٠١) ذكره. وكان حمدان ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثا له على الشخوص الى تلك البلاد وطمعا

(١) هو أبو المطاع وجيه الدولة ولى دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة ٤٠١ : كذا في تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩

فى التشفى من أبي تغلب فاستحلفه بختيار بغموس الايمان بعد هرب ابراهيم .
على الثبات معه والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب
ومحمد بن بقية الوزير وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة ثلث

﴿ ذكر الحال فى هذه الخرجة وما آل اليه الامر ﴾

وقع التدبير على أن يخرج سبكتكين فى الجانب الشرقى على المقدمة ويتلوه بختيار سائرا على أثره وبينهما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت عبر بختيار وسار فى الجانب الغربى واستمر سبكتكين سائرا فى الشرقى ففعلا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وقد رحل عنها أبو تغلب الى سنجار بعسكره كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومتصرف ثم توجه من سنجار الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربى . وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبى تغلب وخروجه الى بغداد ببختيار فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربى والمسير فى أثر أبى تغلب وانفذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ محمد ابن بقية فى الطيارات والزبازب راجعا الى بغداد بعد أن استخلف(٤٠٢) بحضرته محمد بن احمد الجرجرائى . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف بالفارسية على نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فعسكر بها وعامل من اجتاز به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائعه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة من عوام الناس وأوباشهم مستقبلين له مظهرين السرور بمقدمه وبرز أبو اسحق ابن معز الدولة وكان يخلف أخاه بختيار الى باب الشماسية وانتقل المطيع لله ووالدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذى بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا فى هذا الموضع على دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذى كان معه واظهر أنه يريد الحرب والمدافعة من غير عزيمة صحيحة وانما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب. فتعجل وصول محمد بن بقية سابقا فى آلات الماء فشد من أبي اسحق وافتتن الجانب الغربي وعاد العوام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر التجار وتعطلت الاسواق وعبر أهل النباهة من الغربي الى الشرقي ونزل سبكتكين باوانا بازاء عكبرا. فعدل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل فى قرية بينهما نحو نصف فرسخ (٤٠٣) وتصاف العسكران ووقع الطراد بين سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافا وجنحا الى الصلح

﴿ ذكر مكيدة جرت فى هذه الحرب واجتماع من ﴾
﴿ سبكتكين وأبى تغلب على بختيار وحيلة بينهما ﴾
(لم يتممها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة فى السر تجرى بين أبى تغلب وسبكتكين على الموادعة واظهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بختيار وحُرمه ومحمد بن بقية واظهار العصيان عند ذلك ثم يعود الى بغداد ويعود أبو تغلب الى الموصل قاصدا بختيار وهو فى عدد قليل فيتمكن منه ويقلب دولته سريعا. ففكر سبكتكين فى سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاهُ وعلى الخليفه وخاف عاقبة ذلك. وبادر محمد بن بقية من بغداد الى سبكتكين فاجتمع معه وحضرهما رسل أبى تغلب وتقرر الصلح على المبلغ الاول وزيادة الف كرّ من الحنطة فى كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضا عن مؤونة سفره : وانكفأ أبو تغلب الى الموصل قاصدا بختيار وهو فى خف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذلك الطراد الذى وقع بين أوائل العسكرين انما كان تمويها

ودخل سبكتكين وجميع (٤٠٤) العسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بمعاودة المسير واللحاق بصاحبه بختيار فتثاقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيبون للعود ثم فكر فى العواقب فانكفأ على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان همّ به الا أنه ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يمتنع عليه شيء من التدبير الذى ذكرناه . ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند فى المسير مصعدين وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابى تغلب اليه جمع اليه أطرافه وردّ قواده من النواحي التى كان فرقهم فيها وخاف خوفا شديدا وعبى مصافه فى الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل أسفل الحصبا على حالة الاهبة والتعبية ولم يبق بينهما فى المسافة الا طول قصبة الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا تغلب كان الاظهر لكثرة عدده وتعصب أهل الموصل له وخاض الناس بينهما فى حقن الدماء وتتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في الحكم والتمس النقصان والحطيطة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان يلقب لقبا سلطانيا فأجابه بختيار الى ذلك كله تفاديا من اللقاء . وجرى كلام فى معنى حمدان وان يفرج عن ضياعه وأملاكه (٤٠٥) بغلاتها وعن القلعة المفردة له المسماة وهى قلعة ماردين . وكانت هذه القلعة مسماة لحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الاخ حتى رغب فى مال يتعجله وخان أخاه وسلمها. فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الامر وحاصلا ببغداد مع سبكتكين الحاجب. فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المقالة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له قرن الآئل على خمسة فراسخ من معسكره فى عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يمينا أخذها عليهما أبو أحمد الموسوى وجماعة من السفراء وانحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه باللعن والدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم وذلك ان محمد بن أحمد الجرجرائى خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصراف بختيار عن هزيمة ظاهرة. فلما تحرك من موضعه وانحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا الى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسمل عيونهم. ووجد رجلا عقيليا يعرف بابن العجّاج كان استأمن من عسكره الى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا على ما جرى من الصلح فضرب رقبته.

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصلح وأنف محمد بن بقية من الحال التى انصرف عليها بختيار واتفقوا على ان يجعلوا ضرب رقبة هذا العقيلي وسمل العمال(٤٠٦) ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا فى الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعطفت الجماعة بجميع العسكر الى الموصل. فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها تل اعفر وردّ كاتبه المعروف بأبي الحسن على بن عمرو بن ميمون برسالته الى بختيار يعاتبه

فيها على النقض وينسبه الى الغدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتهنه واحتج عليه بما ذكرنا فجحد ان يكون ما جرى من القتل والسمل بامر أبى تغلب وأحال فيه على بعض غلمانه ثم تقرر الامر بعد خطوب جرت على اتمام الصلح وقومت الغلة وردت الى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجّم الباقي على تعجيل وتأجيل وشرط الافراج عن ضياع حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان يسلّم القوم الذين قتلوا العقيلي وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بانه لا يسيء اليهم لعلمهم جميعا انهم مأمورون (فعفا عنهم بختيار) وعلى ان يلقب أبو تغلب ويزف اليه زوجته وجددت الايمان والعهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد وكان وروده مدينة السلام لعشر خلون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبى تغلب فانجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله فى تلقيبه فلقب عُدّة الدولة وأنفذ اليه[٤٠٧] خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجرائى وتلف فى المصادرة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يتهمه أو يسبق الى قلبه منه شيء بل يعاجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبت وكان أهلك قوما من أهل الكفاية والكتابة بالظن والتهمة وانهم سيصلحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازى المعروف بابى القاسم المشرف وكان يعاديه ويعتقد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاء ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ان عاد من الموصل فعمل على ان ينفذ محمد بن أحمد الجرجرائي في ذلك طلبا لابعاده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدمه على ابن بقية فى الكتابة ولانه عقد بينه وبين قهرمانة بختيار التى يقال لها تحفة فكانت تحامى عليه وتتعصب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقية لا يعرف منها شيأ فتطاول بهذه الاشياء على ابن بقية واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالا عند بختيار أيام تفرّده بخدمته بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخراجه فى القبض على على بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه فى ذلك نفر منه وأحس بتغيّر نيته له واجتهد (٤٠٨) فى ان يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كل واحد منهما عن صاحبه . ولوصبر على ان يكون عامل البصرة لما خرج به ابن بقية الى ماخرج ولكنه لما رآه يأبي الاالتشبث بالحضرة والتمسك بما كان ناظرا فيه دون ماسواه اتهمه وازداد شكا فيه .

وكان ابن بقية قدّم كتابهُ الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد الكُراعى وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يعرّفه نيته فى على بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجرائى على ان يصادره وينصب مكانه ضامنا له أوعاملا غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق على بن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع العهد عليه ورده الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقية وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وانه مصعد الى الحضرة فاغتاظ من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد الكراعى بالقبض عليه وعلى على بن الحسين ففعل ذلك.فاما

على بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوب جرت فيه وأما الجرجرائى فانه أخذ خطه بمال ثقيل فصح له بالبصرة شىء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه[١] (٤٠٩) بالقهرمانة التى كانت تعزه فسابقه محمد بن بقية اليها فاشتراه بخمسين الف درهم منها فاسلمته وخلت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفينى بان يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسائلهُ عنه . فتسلمه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر انه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفى هذه السنة بدأت فتنة الاتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق

﴿ ذكر السبب فى هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضاقة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذر عليه الاستقرار فكان وزراؤه وكتّابه يحتالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أمّلوا أملا خابوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا لان الابنية كانت توضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوّض فيعتاص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بقية عند منصرفهم من الموصل بالخيبة ان يخرجا الى الاهواز فيستقصيا على بختكين آزاذرويه ويصرفاه عن البلد ويعملا له أعمالا ويطالباه بمال ويعرّا عليه النكبة ثم يفرّقا الاتراك عن سبكتكين ويخففا عدد من يبقى منهم ببغداد (٤١٠) ويحتالا عليه من البعد ليستريحا منه

(١) لعله سقط مثل « الاجتماع »

ويُحصّلا أمواله واقطاعه ونعمته ويتسعا بذلك . فانحـدرا الى الاهواز فى شعبان سنة ٦٣ فلما صارا بواسـط أنفذ اليهما بختـكين ثلاثمائة الف درهم ثم نزلا الاهواز فحمل اليهما ما يحمل الى الاصحاب وخـدمهما وبذل من نفسه الطاعة فى المحاسـبة والموافقة . فلم تمض على ذلك أيام حتى ثارت فتنـة بين الاتراك والديلم فى سبب صغير قد كان يجوز ان يستدرك قبل ان يستفحل ويسـتصعب فاغتنماه وجعـلاه ذريعة الى اتمـام ما كانا همّا به وأجرياه على تخليط وفساد من غير تحرز ولا احتياط

﴿ ذكر الخطأ الفاحش والتخليط الذى استعمل ﴾
﴿ في التدبير حتى انعكس وعاد وبالا ﴾

ان بختيار خاف ببغـداد والدته واخوته وأولاده وحُرمه وخزائنه وأكثر سـلاحه وقطعة من خيله فى قبضة سبكتـكين عدوه الذى هو فى طريق التدبير عليه ومكاشفته بالمداوة ثم أخذ يتطلب عورة الاتراك الذين معه وينتهز الفرصة الضـعيفة فيهم ليفسدهم على نفسه وينبه سبكتـكين على تدبيره عليه . فـكان مبدأ هـذا الفساد ان غـلاما من الاتراك نزل بسوق الاهواز دارا تجـاور بعض الديلم وكان على بابها لَبِنٌ مشرّج فاراد ان يبنى به معلفا لدوابه واحتاج ذلك الديلمي أيضا الى شيء منه فوجه غلامه ليأخذه فمنعه غلام التركى فلم يمتنع وخرجا [411] الى التنازع والتهاتر فخرج التركى من داره لينصر صاحبه وتبع صاحب الديلمى وخرج أيضا الديلمى لنصرة غلامه فأربى على التركي واستطال عليه فركب فى الوقت واستنهض الاتراك فثاروا بالديلم وتبادر الديلم وحملوا السـلاح واجتمعوا على باب بختيار وبالباب ساحـة واسعة قـد ضربت فيها وجـه من وجوه الاتراك مضاربه

وذلك لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على ان يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشتمه فثنى عنانه اليه وهو بغير جبة فرماه الديلمى فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الاتراك بثار صاحبهم هذا ورموا الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القواد و الاكابر في منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار فى تسكين الثائرة فلم يمكنه ذلك بعد انتهائها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده فى سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشر وفى نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاتراك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت فى يد بختكين وتنهض الى بغداد لتقلم عنها (٤١٣) سبكتكين وتستريح منه ومن الاتراك . وكانت عادة بختيار ان يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول ماراوه ووجه الى بختكين آزاذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسباشى الخوارزمى وبكتيجور وكان حما لسبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده فى اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بالابتداء فى الاتراك والايقاع بهم فنودى فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

﴿ ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له ﴾

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بعده عن بغداد الى الاهواز وخفة الاتراك المقيمين بحضرة سبكتكين ان بختيار قد توفى ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا فى المصيبة ووافق أخاه أيضا على مثل

ذلك فاذا حضر أوقعا به وقبضا عليه فكتب اليهما ساعة قبض على رؤساء الاتراك على الاطيار بالعمل على ذلك الاتفاق . فاشاعا ورود نعيه وظنا أن سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير اليهما ولو صار اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلمان داره المماليك أربعمائة سوى أتباعهم وسوى الديلم برسمه وسوى حجابه ومن فى جملتهم . (٤١٣)
وكان هذا الرأى من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالانتقاض فاقتصر سبكتكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن الركوب الى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته فجمع حينئذ الاتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وان الستر قد انخرق وانهتك وان دماءهم قد أحلت وأبيحت فدعوه الى أن يتأمر عليهم ليطيعوه فتوقف عن ذلك وراسل أبا اسحاق ابن معز الدوله يعلمه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انفراجا لا التئام له وان أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة موليه وان عقوه وباينوه وانه يعقد الامر له ويجمع الاتراك على متابعته وينقل الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

﴿ ذكر انتقاض هذا التدبير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى ﴾

لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأى ودخل تحته علم أن بختيار اما أن يصير جالسا فى بيته مزاح العلل فيما يحتاج اليه أو يصير الى حضرة عمه ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته من هذه الحال واشفقت من أن يؤول [1] الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

(١) لعله سقط « الامر »

من كان مقيما بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها فى الاستقلال بمحاربة سبكتكين (٤١٤) ومن معه من الاتراك فجمعتهم الى دارها بالسلاح واصبح سبكتكين وقد نقض عليه ابراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة لثمان خلون من ذي القعدة من سنة ثلث مع جميع الاتراك قاصدا الحرب وناصبا لها فبقى يومين يحاربهم تباعا فلما كان فى الثالث احرق جوانب الدار بعد أن حاصرها ونفد زاد من كان فيها واستسلم ابراهيم ووالدته وكذلك أبو طاهر ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا الى واسط ولا يفضح حرم مولاه واولاده فاستحيا وتذمم فاجتمعوا جميعا فى حديدى وانحدروا وتفرق الديلم هاربين فى مرقعات الى بختيار وأقامت منهم شرذمة فى طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديديا استظهر به عند حدوث الفتنة فانحدر مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى ردوه الى داره ووكل به فيها توكيلا جميلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح والدواب والآلات والمنازل فنزل الاتراك في دور الديلم وتتبعوا حرمهم وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين فقوّد من رؤسائهم القواد وعرّف العرفاء ونقّب النقباء وخلع عليهم وحملهم على الدواب (٤١٥) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

﴿ ذكر خلع المطيع وتسليم الامر الى ولده ﴾

كان المطيع لله بعقب علة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه الى تسليم الامر الى ولده الطائع

لله ففعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلعها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة [١]

﴿ ذكر اسباب الفتن الهائجة بين العامة ﴾
(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاموا الشيعة وناصبوهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربى واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول فى وزارة أبي الفضل فافتقر التجار وغلبهم العيارون على أموالهم وبضائعهم وحرمهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأي فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الاخر . وانتثر النظام وانخزل السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين فى أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة ثاروا بشعار بختيار والديلم وأهل السنة ثاروا بشعار سبكتكين والاتراك (٤١٦)

﴿ شرح الحال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاهواز ﴾
(وما دبر به أمره)

أدخل يده في اقطاعات جماعة الاتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آزاذرويه بجند يسابور واجتمع الاتراك المشغبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتلافى بختيار بعضهم

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبومنصور بن عبد العزيز العكبري : كان المطيع لله بعد أن خلع يسمي الشيخ الفاضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الاتراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الاتراك الذين هربوا من البصرة وعاتبوه على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لا بد لنا فى الحرب من فرسان وأتراك . فاضطرب بختيار فى الرأى وترجح فيه ثم قرره على ان أطلق بختيار آزا ذرويه وجمله فى موضع سبكتكين وسماه حاجب الحجاب وقدّر ان الاتراك يأنسون به ويعدلون عن سبكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والاّ يعرض لهم وان يُرّد ما أخذ منهم وأطلق سباشى الخوارزمى وأقر بكتيجور على جمله[1] الاعتقال لمصاهرته سبكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله فى انحدارهم الى واسط فسار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكو ما نزل به ويسئل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد فى تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبى تغلب ابن حمدان فسأله انجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يعتصم بعمران بن شاهين فانفذ اليه خلعا وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط مابقى عليه من مال الصلح الذى كان صالحهُ عليه (٤١٧) وخطب اليه احدى بناته وسأله ان ينفذ اليه عسكرا فى الماء يستعين به على حرب الاتراك وترسّل اليه فى ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أدّى اليه الرسالة قال له : ياهذا قد جئتنا فى أمور غير متوجهة عندنا ولا لا ثقة باحوالنا .

---

(١) لعله حالة

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه
اياه بكلام وافق قدرا جرى كما قال وقدّر ﴾

أما هـذا الدّين المتروك فالتحمد علينا به مع علمنا بانه ساقط باطل لايحسن لـكنا نقبل ذلك . وأما الوصلة فانا رجل لا أداخل أحدا من خلق الله الا ان يكون الذكر من عندي والانثى من عنده وقد خطب اليّ الطالبيون مع انهم موالٍ فما أجبتُ أحدا منهم الى ذلك لان نفسى لاتسمح له وهؤلاء أولاد أخى هم أكفاء بناتى ما واصلت أحدا منهم ولـكن ان شاء ان نتصاهر على السبيل الاخرى فعلتُ . واما الخلعة والفرس فلست ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لان دوابى هـذه السفن لـكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . وأما عسكري وانفاذه فليس تسكن رجالى الى مخالطتكم لـكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغى ان تتوفر وتترزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتني محاربا لى فرجعت عنى منهزما وقصدت الاهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة [٤١٨] وأنا أعلم ان أمرك سيتأدّى الي ان تجيئني وتلوذ بى وتحصل عندى وساذكرك هـذا وتعلم حينئذ انى أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك . فتعجّب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الـكائن فان الحال ببختيار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيرا به ومستذما على ما سنذكره انشاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتق الذى انفتق عليه عظيم يحتاج الى رجال ومال

وسلاح وتدبير وهيبة وطاعة وانه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وانه بازاء اشغال عائقة وأمور قاطعة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة اذ كانت تلك الادوات التي عددتها مجتمعة له وحاصلة عنده وانه سائر من فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد . وانما بنى ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان يكاتبه به ابنه عضد الدولة فانه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع ان علكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الامور (٤١٩) هناك بسوء تأتي الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الحيل وفساد الرعية وكان مع ذلك فاسد الرأي في بختيار مضطغنا أشياء كان تقدم[1] بينهما من مناقشة جرت في وقت ومنافسة في مرتبة ومنع مما كان يلتمسه عضد الدولة منه خاصة من دفاتر عزيزة كان يضن بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويحب ان يستبد بها من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يحب ان تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه وخيله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمها الى ممالكه . فراسل أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك وعندى منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظّم عليه ما جمعه ولعمرى لقد كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة في أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا في معاونة ابن عمه الذى يتصوره بصورة التجلف وتضييع الامور واهمالها وتفويض الوزارة وتدابير المملكة

(١) يريد كانت تقدمت

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو (٤٢٠) مع ذلك يظهر له المنافسة ويمنعه من مطالبه ويغض من اقدار أصحابه الواردين عليه فى مهماته. وكان يكاتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتفديته بنفسه ورجاله فى نصرة ابن أخيه الذى هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لاتبقى معه بقية الاباستصلاحه لنفسه دون غيره

﴿ جواب عضد الدولة عن رسالته اليه ﴾

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفايته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهي والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل عاطله بالمسير وزحف اليه الاتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجند فحوصر وبلغ منه كل جهد. ولعمرى لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابرة من يحتشمه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الحصار وكان نازلا بين النخيل لامجال لخيل الاتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى النخيل ويراوغون فيه ولايخلو فى خلال ذلك من مواقف يصل اليه فيها التركى الداخل الصالت فاذا علم انه قد تمكن منه عدوه يذكره بالله وبالنعمة (٤٢١) وانه صنيعته وصنيعة أبيه ويخاطبه بما يرق له القلب وتستحى منه العين فينصرف عنه التركى بعد التمكن منه ويحب أن يجرى قتله على يد غيره. فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والعرى ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لايقيله ولايحتشمه عليه ويكاتب عمه وابن عمه. وعضد الدولة يتوقف ويعده بالمسير مدافعة المماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضج من ذلك ويبعث ابنه

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدولة من المسير بدا فسار من فارس وسار أبوالفتح ابن العميد من الرى وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها يسيرة بالاضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرةً وقوة ومددا وذلك انه بالغ جدا ولم تبق بقية فى الاحتشاد ولم تكن صورته فى ذلك صورة من ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من يجاهد ويدافع ويقيم بعد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه لكثرة ما استصحبه من آلات خيم المقيم التى يريد ان يستقر بها ويتمكن فى كل بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التى لا يستعملها المتوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبى تغلب ابن حمدان عن رسالته (٤٢٢) فانه أجاب بالمسارعة والانعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت فى جمع من جيشه فاقام بها مدة طويلة انتظاراً لما يكون من انحدار الاتراك عن بغداد الى محاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما سنحكيه سار أبو تغلب بجمع جيشه الي مدينة السلام ليوجب على بختيار الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه ان شاء الله

﴿ ذكر الرسائل التى ترددت بين سبكتكين وبختيار ﴾

ثم أن سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبته ودبرته وان كل ما تعمله وتتصرف فيه خطأ وغلط وان الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج لى عن واسط حتى تكون هى وبغداد في يدى بازاء أموال الاتراك التى قد حصلت علىّ وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمري وأمرك واحداً ولا تدخلنّ بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق عليك حافظ وصية مولاى فيك التي ما حفظت مثلها فيّ. فعرض بختيار هذه الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها والتحمل (٤٢٣) لها وردوه بالخيبة والمنابذة فجد سبكتكين واستمد للحرب وقدم كتابا من الخليفة إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا الكتاب الى الطائع لله والى سبكتكين وقد انحدرا عن بغداد وانتهيا الى دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفى فحمل الي مدينة السلام.

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على الفتكين مولى معز الدولة وكان يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رياسة في الاتراك وحشمة قديمة [1] ولقاء في الحروب للاعداء فعقدوا له الرياسة عليهم وعمل على اتمام العزيمة في اللقاء وكان عبر بختيار الي جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن والزواريق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئا في الجانب الشرقي ونقل الثناء وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على مناجزة الاتراك ولقائهم بالديلم اما مناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه الغوث من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت زعيمهم وقدر انهم يضطربون وينتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف (٤٢٤) عن الاصعاد. واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسرا بسفن كانت معهم

(١) وفي الاصل: وقديمة

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلي مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقى الي الجانب الغربى فاكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسييرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾
﴿ فى استئمانه الي بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الي طاعته فاجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالنصيحة والموالاة وانما سكن اليه للعداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولان أبا تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفاته وانتصابه فى موضعه ويستدعيه اليه ليستأنفا ايقاع التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وعزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فانفذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينحدر اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربي ولما اجتمع حمدان مع الفتكين ردّه (٤٢٥) على مقدمته كما كان في أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمانه وأسبابه وعبر مستأمنا الى بختيار فتلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدّة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال . وضعفت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا باسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بختيار فكانوا يواقعونه بنوائب واتصل ذلك نحو خمسين يوما . وتجاسر العوام من الجانبين على استعمال المشاتمة الفاحشة والمسابّة المقذعة واتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم فى صماخ فرسه فرمى به ونهض ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه بالدبابيس حتي أثخنوه وكاد يتلف ثم أخذوه أسيرا لافضل فيه فعولج وبرأ الا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقى على ذلك بقية عمره ثم منّ عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعاده الى حاله فشهد معه الحرب يوم ديالي الي ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة .

ولم تزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسط والاستظهار للاتراك (٤٢٦) وأشرف الديلم على الانكسار والهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جنتهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بختيار الحصار وأحدق به وصار فى مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي تغلب يسأله الانحدار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه ان مملكته قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في بعض كتبه البيت الذى كتب به عثمان الى أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه :[1]

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركني ولما أمزّق

فأما أبو تغلب فسار بجميع عسكره بعد ان كان قدّم أخاه الحسين كما

---

(١) راجع كتاب الامامة والسياسة ١ : ٥٨

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفاها مفتتنة بالعيارين [1] فقمعهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع

وأما عضد الدولة فانه سار بعد ما ذكرتهُ من التوقف والابطاء واجتمع مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفتكين الى بغداد ﴾
﴿ وهرب أبي تغلب عنها الي الموصل ﴾

لما سمع الفتكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب قلبه

(١) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع العيارون حريقا بالخشابين مبدأه من باب الشعير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الامور وأخذوا الخفارة من الاسواق والدروب . قال صاحب التكملة : وذكر أبو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسة قال : حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الي الكرخ وكان فيهم قائد يعرف بالاسود الزند لانه كان ياوي قنطرة الزند ويستطعم من حضر وهو عريان لا يتوارى فلما فشا الهرج رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفا ونهب وأغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لايرام وحريمه لايضام وظهر من حسن خلقه مع شره ولعنته وسفكه الدم وهتكه الحرم وركوبه الفواحش وتمرده على ربه القاهر ومالكه القادر أنه اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فمنعته فقال : ماتكرهين مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : ماتحبين . قالت : ان تبيعني . قال: أو أفعل معك خيرامن ذلك . وحملها الى مسجد ابن رغبان فاعتقها بين يدي القاضي ووهب لها الف دينار . فعجب الناس من نفسه وهمته وسماحته وصبره على خلافها وترك مكافاتها على كراهتها . ثم صار في جانب أبي أحمد الموسوي فحماه وسيره الى الشام فهلك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها [٤٢٧] وراء ظهره وتكون حربه على ديالى .
قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرىّ في صحبة أبي الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا الى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذبين وان يجعلوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وان يتركونا حتى تقطع اليهم مفازة بنج وبنج وتلقاهم على اعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما ننزل عليه فان طاولونا أياما كان الهلاك وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامّين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفّق الاتراك لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا بغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على ديالي فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسطا بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقية تلقوا عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرقي وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من الغربي ممتدين الى بغداد

فاما الفتكين فانه لما توسط في مسيره الي بغداد أنفذ سرية في أربعمائة غلام من الاتراك لكبس أبي تغلب فارهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه فهرب [٤٢٨] الى الموصل هربا قبيحا وتقطع عسكره . وحصل الفتكين ببغداد في حصار شديد قد أحدقت به الخيول من كل وجه وذاك ان بختيار كاتب ضبّة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير المشاغب وقد جرت عادته بالتبسط بان يشنّ الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة اليها ففعل ووجد الطريق الي بغيته فنهب السواد وقطع السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقي ابن أخ لمحمد بن بقية وزيره يعرف بابي الحمراء وهو لقب غلب عليه مع طائفة من بني شيبان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزّت الميرة وانحسمت موادّها وثارت الرعية فنهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوقوا اذ ينميشوا وأعيت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتتبع المواطن التي يظن فيها قوتا أو بذرا أوعدة يتناول ذلك حتى انتهى به الامر الى ان ركب بنفسه الى منزل بعض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقي وبختيار بازائه فى الغربي فلما صار بدير (٤٢٩) العاقول عبّى عسكره تعبية اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقية وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بانه برز الى ديالى ونزل عليه مستعدا للحرب وعقد عليه جسورا ليعبر عليها واعتقد ان يلقى العساكر في فضاء بين ديالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريده وذلك في [1] ﴿سنة أربع وستين وثلثماية﴾

---

(١) زاد صاحب التكملة . طولب أبو محمد ابن معروف ان يستحل بيع دار ولد أبي الحسن محمد بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها وكيل نصبه المطيع لله فامتنع وأغلق بابه واستعفى من القضا (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة ابتغى فيها وجه الله) فقلد مكانه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيبان الهاشمي بعد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خلعة ولا شفاعة وان يدفع

وعبر الفتكين تلك الجسور ولم يقع في الظن انه يعبر ديالى ولا انه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبية وهيئة حتى انتهى الى قرية هناك وتراءت مواكب الفتكين وقد عبّاها كراديس واعترض نهر صغير في هذه القرية فوقع التشاغل به الى ان عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾
﴿ بختيار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾
(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبي اسحق وابن بقية زحفا بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصا على اظهار فضل وغناء وتشوقا الى اللقاء فراسلهم عضد (٤٣٠) الدولة ونهاهم فلم ينتهوا على مااعتادوه من الاستبداد حتي لجّوا واستجرّهم الاتراك حتى صاروا بالبعد من العسكر فعطف الاتراك عليهم وقتلوا خلقا منهم وتابعوا الحملات عليهم وأكثروا النكاية فيهم فحينئذ عرفوا الخطأ الذى ركبوه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال اليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتي اتصلوا بهم بعد ان أشرفوا على الهلاك فلما

الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (في كل شهر) ولحاجبه مائة وخمسون درهما وللقاضي في الفروض على بابه مائة درهم ولخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم وان يصل اليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بقية والوجوه وتسلم عهده بحضرة المطيع لله فتولى القضاء أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى صاحب ديوان الرسائل يومئذ وقرىء عهده في جامع المدينة . وفي سنة ٦٤ أعيد ابن معروف الى قضاء القضاة وصرف ابن أم شيبان

قرب من جمرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم السيف في الباقي فقتل خلق منهم وألجأتهم الهزيمة الى تلك الجسور التى عقدوها على ديالي فازدحموا عليها وأرهقهم الامر فهلك منهم ومن العيارين الذين وازروهم بالقتل والغرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم وألقوا النار فى خيمهم وخركاهاتهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب أولئك لايلوي أحدهم على صاحبه .

وأنفذ عضد الدولة في ساعة الفتح بشيرا الي بختيار وذلك يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر (٤٣١) المدينة الي ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة في أحسن زيّ وعدّة وطواه متجاوزا الى باب الشماسية وبختيار يسير بازائه ويعسكر بحياله وأقام بموضعه الى ان بعُد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وانهم وصلوا اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى النزول في داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرّفه على ما يحبون والتنقل معهم فبث اليه رُسله وقد كان راسله قبل ذلك ولم يزل معه بالتلطف والرفق حتى ردّه الى دار الخلافة وموطن الائمة .

﴿ ذ كر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾
﴿ من اعتزاله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾
﴿ الدولة لذلك وما تمّ من الحيلة عليه من ﴾
﴿ انتقاضه وعوده الي منزلته وحالته ﴾

لما تمّ هذا الفتح لعضد الدولة لم يشك أحد ممن دنا وبعُد في انه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف بختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والاتراك عليه ففكّر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لايصبر على ذلك ولا يحتمله له . فاتخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر [٤٣٢] الرحيل الى فارس وأمر باعداد الميرة في المنازل . ووافق في السر رؤساء الجند ان يثوروا ببختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحسن مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الاتراك دونه ففعلوا ذلك وبالغوا في الشغب والاقتراحات وبختيار صفرُ اليد لايملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا ووافقه على مقابلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانه لايعدهم بما لايقدر عليه وان يفصح لهم بالاستعفاء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يجب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولاعرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فبادر اليه واستعفاهم من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتدبيرهم فاجابه : بانى لست أميراً عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد الى أن اعلنوا بالقبيح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به [٤٣٣] من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعدهم بالنظر في أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعي أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علما للفتنة فيفتحوا به بابًا الى الفرقة وراسلهما بختيار أيضا بمثل ذلك حتى حضرا جميعا . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بختيار من النظر واعتزاله اياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم الى نفسه وانه يخلطهم بعسكره ويشملهم باحسانه وانه المتولي للامر وان بختيار انما كان خليفة له ولركن الدولة وانه الآن قد استعفى فاعفي وبرىء فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وانه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقاته وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين الوالدة

فاما الخليفة الطائع لله فانه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولان انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن الى عضد الدولة وذمامه . فلما اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلع سكنت نفسه وهو حينئذ مع الاتراك وعند الفتكين بتكريت ⁽⁴³⁴⁾ فجرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع الى بغداد فسألوه الامتداد معهم الى الشام فلم يمكن ذلك لان القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقدامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتال لهم ويعود اليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفأ الطائع لله الى داره ورحل الاتراك الى الشام (١)

وتقدم عضد الدولة بعمارة دار الخلافة وتطريتها وتجديد فرشها وآلتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم في ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش اليه

(١) ليراجع تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي ص ١١

متلاقين واستقبله بنفسه يوم الخميس لثمان خلون من رجب سنة ٦٤ وكان أول اجتماعهما وانحدر معه في حديدي كان أنفذه اليه ودخلا بغداد . وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسي وقد كان قبّل عضد الدولة الارض له وجلس على الكرسي وأطافت بهما الزبازب والطيارات في الماء وسار الجيش على شاطىء دجلة ودخل الخليفة داره واستقر على سريره . وأنفذ عضد الدولة الى خزائنه مالا كثيراً وثياباً وفرشاً جليلا من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق والآلات وقرّر يده في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت متشذبة قد تحيفها أسباب[٤٣٥] معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من تغلب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم ينصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فردّ عضد الدولة ذلك كله الى حقه . فامر الطائع لله بانشاء الكتب عنه الى النواحي باستقامة أحوال السلطان وتعفي آثار الفتنة وتألف الشمل وكتبت وفرقت في الممالك كلها

﴿ خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة ﴾
﴿ وعصيان ابن بقية بواسط ﴾

أما المرزبان فان عضد الدولة سام بختيار أن يكاتبه بالاصعاد وكان متولياً البصرة ليرضى بما رضى به أبوه من خلوّ الذرع من تدبير الجند والرعية فكاتب وانفذ كتابه على يد ثقة من ثقاته يعرف بعلي بن محمد الجوهري وكان صحبه من شيراز ووصاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهسلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم في جيش عضد الدولة . ولم يقع في نفس أحد أن المرزبان يمتنع ويحدث نفسه بالعصيان اصباه وصغر سنه ولان

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذى ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلقي علي بن محمد الجوهري فى طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الطبرى قد كان اصعد عن البصرة فعرّفه الصورة واستعمل فى اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب (٤٣١) فثنى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي المرزبان بالخبر فاشعره الوحشة واعلمه أن أتاه مكرهة ولقّنه العصيان . فلما ورد الجوهرى على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي المرزبان وتنبدهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكاتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما جري على أبيه بختيار وعمومته وان جميع ما يكاتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبى الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض علي أبيه وانه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه وأنفذ قاصدين عدّة بكتب متوالية

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبدان الاهوازي فلما بلغه ماجرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الى البصرة داخلا في سوّار أهل العصبية فغلب على المرزبان وشحذ بصيرته في العصيان ودخل فى وزارته ووعده الكفاية . وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان تموّه أمره في أيام بختيار فاما فى دولة عضد الدولة فما كان أبعده من أن يكون عريفا من عرفاء الرجالة ببابه فضلا عن ان يخالط بوزرائه وكتابه ولكن أظهر مساعدة كثيرة (٤٣٧) لعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وانما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يُردّ الي مرتبته وعلماً بان بختيار ان عادت يده فى التدبير قبض عليه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراءه الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الوقعة وهو شيخ الكتاب قد سُلّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الي قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم فى الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيّب ظنه وأكذب تأميله فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختار واسطا وتكريت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ماكان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يعقد عليه جميع ذلك . واقترح ابن بقية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فاظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على دخل (٤٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتعلق مع تجدد ملك عضد الدولة بذمام فانفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا فأجيب الى ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الى بختيار فاجابه عضد الدولة الى

ماسأل وأعفاه من حمل المال لمكاتبة قديمة كانت بينهما ومودة سالفة وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر النصراني وخلع عليه فشخص اليها وكان محبوسا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . وفرقت أعمال السواد على العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة من يد المرزبان فلما حصل ابن بقية بواسط خلع الطاعة وأظهر الخلاف وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتعض لصاحبه بختيار وكان هو المشير بجميع ما جرى متابعة لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن شاهين يستدعى منه المعاضدة ويحذره تدابير عضد الدولة وانه ليس ممن يصبرله على محاورته بتلك الحال فاجابه عمران الى ما سأل . وكاتب المرزبان ابن بختيار يلتمس منه ان يمده بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يحب لتهمته بالانحراف عنه وعن أبيه [٤٣٩] وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه واحجم ابن بقية عن المصير اليه لتقلد الاهوازى وزارته فبني أمره على انه متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فيتغلب عليها وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتي استجاب له وسلك سبيل ارادته . وقد كان عضد الدولة عزم على انفاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلما عصى ابن بقية جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا فخرج اليه في آلات الماء فيمن أمده بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يتماسك بالبصرة وشجعه على مقاومة عضد الدولة ووعده بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين بختيار وكذلك فعل فى مكاتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

النواحى على عضـد الدولة وضاق به الامر وتجاسر عليه الاعداء من كل وجه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق في يده الا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيحة . فرأى ان ينفـذ أبا الفتح ابن العميد الى أبيه ركن الدولة متحملا (٤٤٠) رسالة عنه يصدقه فيها عما جرى ويُعلمه فيه بعده عن ممالكه وتضييعه الاموال التي أنفقها وانه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده وانه قد هذّب مملكة العراق واستعاد الخلافة الى ممالكه وان بختيار ليس ممن تستقر بنظره دولة ولا تعتدل على يده مملكة وانه ان خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد ان تضطرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيها ويسأله المدد والامساك عن نصرة من تفسد على يده مملكته وممالكنا معا وقال لابى الفتح ابن العميد انظر فان تيقظ الامر ونجع فيه هذا القول وأشباهه فاقتصر عليه وان رأيته مقيما على رأيه فزد في الرسالة وقل له : انى أقاطعك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين الف الف درهم وانت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال ان عادت اليك وأنا أعجل لك من جملتها عشرة آلاف الف درهم وأبعث بختيار وأخوته اليك لتجعلهم بالخيار فان شاؤا أقاموا في أوساط ممالكك ومكنتهم من أي البلدان اختاروه وان شاءوا أن يصيروا الى فارس فيختاروا من أعمالها أى البلدان أحبوه الى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم فى أوساط ممالكنا . ولم تتركه فى هذه الديار التى استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته (٤٤١) فيها وان الخلافة تخرج عن يده وأيدينا وهو يضعف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده مالا يقع موقعاً من حاجته ثم يضطر الى نكبته

واعتماد غيره على أن هذا الباب أيضا قد انسدّ ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الامر . وان أحببت أن تحضر بنفسك العراق لتلي التدبير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الامر وترد بختيار الي الرّي فانصرفُ الى فارس كان ذلك وجها من الرأى صحيحاً . وقال لابن العميد : وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فانك تجد فيه مقالا واسعاً فان لانَ لك وعرف صواب قولك والاّ فزد في الرسالة فصلا ثالثاً تجبهه به وهو : انك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأي والحكم ولكن لا سبيل الي اطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم واظهار العداوة لهم فانهم لا يصلحون لى أبداً ولا تنقي جيوبهم ولا تصح نياتهم وسيقابلوني بغاية ما يقدرون عليه فيضطرب الحبل وتنتشر كلمة أهل هذا البيت ابداً . وان أبيت أن تقبل أحدي الخصال التى عددتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هذه الجملة فانى سأضرب أعناق هؤلاء (٤٤٢) الثلاثة الاخوة (يعني بختيار وأخويه) وأقبض على من اتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له

فقال له أبو الفتح ابن العميد : هذه رسائل صعبة لا يمكنني أن أتلقي ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدبر أمره فاني أعرف نصرته لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف ابنى أخيه ! ولكن الصواب أن يتقدمني اليه من يفرغ جميع ذلك فى أذنه من جهتك ثم اتلوه شافعا له ومتمما ومشيراً . فتقرر الامر على ذلك ونفذ فيه من جهة عضد الدولة (١) ومن جهة أبي الفتح ابن العميد أبو العباس ابن بندار وكان الامير ركن

(١) بياض في الاصل

الدولة يأنس به قديما فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جمازات عددها مائة يتلوهما . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرعا في تأدية الرسالة وعرف الغرض الاخير منهما لم يمكنهما من اتمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلي مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادهما وقال : قولا لفلان (يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه) خرجت الى نصرة ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب مني مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن(٤٤٣) ملكي واخاطر بنفسي وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوّة ؟ أتريد ان تمتنّ أنت عليّ بدرهمين انفقتهما عليّ وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لايملكون أرواحهم اشفاقا مما رأوا منه ومما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الري وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فحُجب عن دار الامارة ورُدّ عنها أقبح ردّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومدبراً عسكرنا وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخي ثم تأتيني الآن في صورة قبيح تتحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخي وأولاده ويطمع مني في أن ارخص له في القبض عليهم وازالة نعمهم ويتهددني بالعصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته عليّ وسوّلت لك نفسك وزارة العراق ونزهة دجلة ! ارجع

اليه على حالك فوالله لاصلبن أملك وأهلك على باب دارك ولا بيدنّ عشيرتك ومن يتصل بك عن وجه الارض ولاتركنك وذلك الفاعل (يعنى ابنه) تجتهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنفسي في ثلاثمائة جمازة لايصحبنى الا من عليها (٤٤٤) من الرجال ثم اثبتوا لى ان شئتم . وحلف ركن الدولة محلوفة : انى اذا بلغت بعض طريقي في قصدي اياكم لا يبقي معكم رجل واحد الا تلقانى وحصل عندى وانه لايتقرب بك وبعضد الدولة الا أخص أوليائكما وأوثق عبيدكما في انفسكما وانما أتركك الآن وانت في يدي لتعود الى موضعك وتعيد رسالتي وكلامي وتنتظر صحة وعدى ووعيدي . وأمر من هذا الكلام ما هذا جملته وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من القبض عليهم رمى بنفسه عن سريره وأقبل يتمرغ ويزبّد ويمتنع من الاكل والشرب أياما ومرض من ذلك مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان يقول : انى أرى أخي معز الدولة متمثلا ازائى يعض عليّ أنامله ويقول « يا أخي هكذا ضمنت لى ان تخلفنى فى أهلى وولدي ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزّا شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكنه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبى الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال فى الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته وغرضه ان يجتمع معك لتدبير الامر بما تراه و[هو] يضمن ضمانا يدخل في تبعته انه يقرر الامر على رضاك بعد ان تسمع كلامه وتمضي له بما يعمل به في هواك . فأذن له (٤٤٥) حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على ان يعود ويفرج عن بختيار واخوته ويقرر الملك في أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حينئذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع فى اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفد ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكه اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه ففعل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضدالدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلفه في تلك الاعمال ويخطب له وخلع على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يلي أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تدبيره لهم وزوال هيبته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طيّاره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوامّ البلد والعيّارون وأثاروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائنهم وجميع ماوجد (٤٤٦) لهم من الدواب والاثاث فما شذ منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير في أثره والا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾
(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت ببغداد لابي الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه ووجد خلوّ ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستّارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه [1] وانه خلصه من مخاليب السبع بعد أن افترسه وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه والا يعارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الي ذلك وقال : لي والدة وأهل وولد ونعمة قد ربّيت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولااستطيع مفارقته ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته ولايتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكني (٤٤٨) أعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سراً لايطّلع عليه الاّ محمد بن عمر العلوي فانه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن

---

(١) زاد صاحب ارشاد الاريب ٥ : ٣٧٣ : لانه كان قد جرد الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالبه وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه فخلصه واعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخاليب الاسد بعد الخ

وقال صاحب التكملة : ورد ابن بقية بغداد في ذي القعدة ومــلأ عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام : لابد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعدا على الشرب أخذ ابن بقية بيده فرجية ورداء في غاية الحسن والجلالة ووافي بها الى ابن العميد وقال : صرت يا استاذ جامدارك فانظر هل ترضيني لخدمتك . فطرح الفرجية عليه فاخذ الرداء منه ولبسه .

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . ولكن الغلط القبيح من أبى الفتح كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع فى أملاك اقتناها هناك واقطاعات حصّلها وأصول أصّلها على العود اليها . ثم التمس لقبا من السلطان وخلعا وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التناء بشيراز يعرف بابى الحسين ابن أبي شجاع الارجانى من غير اختبار له ولا خلطة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي بينه وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة أبى الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذى حصله وهو ذو الكفايتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية فى هذه الخلع عرف مكاشفته اياه بالعداوة (٤٤٨) وكتم ذلك في نفسه الى أن تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله .

﴿ ذكر ما جري عليه أمر ابن بقية ﴾

كان محمد ابن بقية مستوحشاً من بختيار لما يعرف من سوء معتقده له فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد ابي الحسن محمد ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج فاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه فاصعد حينئذ وامتنّ على بختيار بانه انما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن أجله فقبل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبى الفتح ابن العميد مودة ومعاهدة .

وفي هذه السنة لُقّب أبو الحسن علي بن ركن الدولة فخر الدولة ولقب المرزبان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقب أبو الفتح ابن العميد ذا الكفايتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت الخلع الى من غاب .

وبنى محمد بن بقية أمره على تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوق والتنفق والبذخ والتبجح وأطلق لسانه اطلاق من لا يترك للصلح موضعاً وثارت الفتن بين العامة وزالت السياسة التى أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية بالمعروف بابن [أبى] عقيل صاحب الشرطة الذى كان من قبل سبكتكين (٤٤٩) وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فامر بقتله فقتل في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار (١)

وتجددت لبختيار نية فى الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة المشهد بالغرى والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب ومحمد بن عمر العلوى وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه فى يده الا ساعة من النهار حتى انتزعه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفى ضيافته نخدمه

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار انه تزوج الخليفة الطائع بابنته شاهناز على مائة الف دينار وخطب وقت العقد القاضى أبو بكر بن قريعة وذاك سنة ٦٤ . والقاضى هو محمد بن عبدالرحمن البغدادى ولاه القاضي أبو السائب قضاء السندية وغيرها من اعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهلبي توفي سنة ٣٦٧

ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقية وقيل له « قد سعى بك ووافق بختيار على نكبتك » فاستوحش ابن بقية واستعدّ للانحدار الى واسط على سبيل القاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في اصلاح الحال وكوتب بختيار بالصورة فثني وجهه مبادراً الى بغداد وقدم أمامه كتبه ورسائله مع الحسين بن موسي الموسوى بالتلافى وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافى والتراضى فخرج حينئذ محمد بن بقية متلقياً له عائدا الى طاعته .

واتصل (٤٥٠) بمحمد بن بقية وبختيار أن عضد الدولة يريد العود الي العراق فخرج ابن بقية الى واسط لجمع المال واعداد زاد وعتاد واستعمل ضروباً من القبيح في الكلام والهجر ومنع شذاآت كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع أجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصبوب عليه حتى تأدي أمره الى اقبح صورة في الهلاك بانواع العذاب والمثلة كما سنذكره في موضعه ان شاء الله . وتجددت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصرانى ضامن الاهواز ونكبته التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لايثق ببختيار على تصرف كل حال ولايدع التحرز منه ونصب العيون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا حلف ووثق له فانهمك في استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلات لهم ونصب الموائد وعمل

الدعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شيء يُقيمه له وصار كالحاجر عليه فمتى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه . فضاق ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي (٤٥١) وجماعة مثلهم وراسله على أيديهم بايقاع الحيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأي على أن يفل الجيش عنه الذين ببغداد ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشغب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصلح ابن بقية الجند وملك الامر فاظهر حينئذ ما في نفسه وعاتب بختيار ووبخه وذكر الايمان التي لا زال يحلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتثاقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر أن يكون ما اجرى اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلق يدي فيهم . فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فالزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه ففعله وانفذ ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى يقبض عليه ويبادر به الى الحضرة فمضى مسرعا ووصل الى الاهواز واحتال حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الى ابن بقية . وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافى محمد بن بقية واستصلح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكبدار فانه استدعاهما فلما

قربا من بغداد طردا وبقيا عن [٤٥٢] العسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق تكيدار بعضد الدولة . وجد محمد بن بقية في مطالبة سهل بن بشر بالاموال وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة من الناس سنذكرهم .

وفي أثر القبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز وأنفذه اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقية لانه كان استعان بابي اسحاق ووالدته على بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب فقضى حقهما بهذا التقليد

وقبض ابن بقية على صاحبه أبي نصر السرّاج وعذّبه حتى قتله

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن بقية علة من حرارة فقصد منها في اليوم الثاني فما أمسى الا ذاهب العقل مسجى يخور خوار الثور ولا يسيغ طعاماً ولا شراباً ولا يسمع كلاماً ولا يحير جواباً وظهرت في فمه رغوة واختلج وجهه وعلا نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التي لا رجاء معها . وقد كانت لابي نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في الامور المنكرة وضروب الشر والسعايات واعداؤه كثيرون . وكان ابن بقية اصطنع رجلا يقال له الحسن بن بشر الراعي وكان في الاصل نصرانيا من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل في الاسلام لشيء ظهر منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفاً ثانيا فهرب الى بغداد واتصل بمحمد بن بقية وحظي عنده فقرب [٤٥٣] منه ورفعه من حال الى حال حتى قلده واسطا ثم استدعاه الى بغداد فقلده خلافته . وتولدت بينه وبين أبي نصر السراج

منافسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعى وبادر أبو نصر ابن السراج الى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالا عظيمة وكتب اسماء اقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الي ابن بقية حتى شاهده في علته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علته ﴾
﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهاده كان فى هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالاموال والعساكر فأشار عليه ابن السرّاج بالقبض على الجماعة قبل ان يستتروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فحذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية فى اليوم الرابع من علته بعد ان تردد اليه بختيار دفعتين فى كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء الي أن أفاق وهو ساكت ومضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الى عاداته . وظهر ابن الراعى صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعى منه بمائة الف دينار فقبض عليه فصح من أمواله وودائعه وأثمان غلاته والمأخوذ من (٤٥٤) أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعى ثم بسطت عليه المكاره وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومُنع الطعام حتى مات أقبح ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان في أعمال كرمان خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصمة وكان واسع الحال والمعاملة فدخل فى ضمانات ضمنها وثمار ابتاعها فحصلت عليه أموال طمع فيها وشره الى كسرها . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق للايقاع بالاتراك وخرج وزيره أبو القاسم المطهر بن عبد الله الى عمان فلم يبق بفارس من العساكر الا شيء يسير فخلع طاهر بن الصمة الطاعة وجمع الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاساحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الاتراك السامانية يقال له يوزتمر عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة وقد استوحش من محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان ونفر منه فكاتبه طاهر ابن الصمة وأطمعه في أعمال كرمان فسار اليه وصارا يداً واحدة في الاستيلاء الا ان الامارة ليوزتمر . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم طاهر انه [٤٥٥] بعثهم على الهيج ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا قتالا شديداً فظفر به يوزتمر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو فى بعض أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان المطهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشراة وانكفأ راجعاً الى ارجان عاملا على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها لتسع ليال بقين من رجب سنة ٦٤ وسار لطيته مسير السرايا لا يلوي ولا ينثني فأوقع بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمل العيون ومثل

بكلّ مثلة وبالغ في القسوة اقامةً للهيبة وأسرع المسير حتى انقضّ على يوزتمر فلم يعرف خبره الا مع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهزم الى البلدة وهو بم وتحصّن في قلعة وسطها حصينة فحاصره فيها مطهر الى ان أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً فتسلمه المطهر ثم أمر به فشهر ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأعناق (٤٥٦) جماعة يجرون مجراه وأنفذ يوزتمر الى بعض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد[1] بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أسلحة تامة مستعدين للقتال فلما أشرف عليهم استكثر عدّتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بدّاً فناصبهم الحرب على باب جيرفت فحملوا عليه حملة ثبت لها ثم حملت ميمنته فأثرت فيهم وألجأتهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب العسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطُلب فجيء به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرمان منه .

﴿ ودخلت سنة خمس وستين وثلثمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكينا انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاشه من أبيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيبته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر ملكه ولا يجتمع له ما يحب . فراسل أبا الفتح ابن العميد وكان قطع مكاتبة أبيه استيحاشاً منه وتجنياً عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أبيه حتى يعود له كما

(١) وفي الاصل : على

كان وتلطف مع ذلك فى أن يجتمعا ويمهد اليه ويشهر ذلك فى ممالكه وبين وجوه الديلم والجند[٤٥٧]. وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن الدولة ومن الجند أيضاً فكان يحب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده فخاطب ركن الدوله وأعلمه ما يخشى من اضطراب الجبل وفساد ما بين أهل بيته باستيحاش عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتتمكن من النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده وممالكه وممالك بنى أخيه فيما دعاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له فى الورود عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صبياً ويشاهده الجند بحضرته ويزول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولى عهده اذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسعهم مملكة وأكثرهم مالا وعدة ورجالا . فأجابه ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس فى خزائنه مايتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والغلمان وان لم يلاطف الجماعة باقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحملانات والهدايا على الجماعة افتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر فى تلك الممالك التي طال عهدك بها وتشاهد أولئك العسكر[٤٥٨] الذين ربتهم قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجندك وجميع حاشيتك ما أنفقت من التزامه لهم وتقيم السياسة التي لا بدّ لك من إقامتها بين أولادك وممالكك فقال له : هذا يقبح فى الاحدوثة وعند ملوك الاطراف وفيمن يأتى بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه فى أمر رأى ايحاشه به وتأديبه فيه ثم قصده يترضاه . فكوتب عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التي ينكرها وهو ان يقصد اصبهان فانها من أعماله وأنهض أنا من فارس فاقصده لخدمته وعيادته من مرضه ويلزمني حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لي ولا لاحد ممن يصحبني شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارني . فتقرر الرأى على ذلك وتشمر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت المزيمة ونهض ركن الدولة مع ضعفه ومرضه وحضر اصبهان واستدعى الامير فخر الدولة وهو ابنه عليّ وكان مؤيد الدولة في ولايته مقيما باصبهان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة في تلقيه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبّل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده[(٤٥٩)] ثم تتابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقبيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظراً يسر مثله الاباء في أولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع أولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة وليّ عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة وفخر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من أولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلع على الخواص من الديلم ومن يجري مجراهم الف قباء والف كساء .

وانصرف القوم وقد تقررت الرئاسة من بين أولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له مؤيد الدولة وفخر الدولة به وخدماه بالريحان على الرسم المعروف لهم وخدمه بعدهما كل أمير وقائد ممن حضر وكتب بذلك عهد قرئ وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سيء الظن شديد الحذر مما تقدم له ولجنده من مكاشفة عضد الدولة فهو يحب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يعصمه من الحال التي خافها (٤٦٠) وأنفذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبهان فتكلم ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاغضاء عنه وشرط عليه ان يقلع عما يوحشه من بعد ولا يعاود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن بقية مقيم على خوفه وحذره ويحمل بختيار على مكاتبة سهلان بن مسافر وكان وجه عسكر فخر الدولة وحسنويه بن الحسين البرزيكاني وكان مجاوراً لاعماله ومصاهراً له ويحمله أيضاً على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في منابذة أخيه عضد الدولة فترددت الرسل بينهم فتأكدت العهود بينهم واستمدوا جميعاً المعاونة واتفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أحداً منهم نائبة . وحضر كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان عصمة الدولة وكنّى وأنفذت الخلع الى الجهتين ووُعد حسنويه بمثل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المنابذة لعضد الدولة فسكنت

الخلع مع الرسل مطّرحاً لا يلبس[1] ولا يتلقب سهلان ولا يتكنى وجرى الامر على غاية الاخلوقة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقية عدة الدولة [٤٦١] أبا تغلب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرياسة له بعد ركن الدولة . وشرع ابن بقية في تلقيب ثان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة فى المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعُظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه يلتمس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه المراتب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عنده واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن انه ان بلغ ما يحب بالتدبير الذى دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار الهالك وهو الناجي فيظن ظنا خطأ لان من سلك مسلكه لم ينج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه[١]

﴿ ودخلت سنة ست وستين وثلثمائة ﴾

وفى هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس فجد محمد بن بقية وبختيار فى مكاتبة الجماعة المذكورة . وكان حسنويه بن الحسين الكردى خاصة يغرّ بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لمعاونته [٤٦٢] بنفسه وأهل بيته ومن يطيعه من الاكراد وكان يحب أن يشتت الالفة ويفرق

---

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام : وفي رجب عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابن معروف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف فيها هو

الـكامة لان نظام أمره كان فى انتشار أمر هؤلاء الملوك

وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين لليلة بقيت من جمادي الاولى يريدان الزيارة والتصيد ثم الانقلاب الى واسط قاصدين الاهواز على نية المحاربة فانتهيا الى واسط فى انسلاخ جمادى الآخرة ووقعت بينهما وبين عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعى بامر ابن بقية خلقا ممن كان يتهمهم فيهم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبي قرة وكان من وجوه العمال وفيهم على بن محمد الزطي وكان اليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي وكان أيضا اليه الشرطة بواسط وجماعة يجرون مجراهم وهمّ بقتل صاعد بن ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولـكنه سلم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يسئلانه الانحدار اليهما والمسير معهما فامتنع من ذلك وترددت المكاتبات في ذلك الى أن قرر عنده انه انما يسئل تجشم العناء للصلاح والالفة فحينئذ انحدر الى واسط وسارت الجماعة عنها الى الاهواز . والمكاتبات تتردد في خلال ذلك (٤٦٣) بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يمد بالمسير. فبينما هم كذلك اذ ورد خبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضطربت القلوب وكتب عن الخليفة كتاب في معنى الدعاء الى السلم والـكف عن الحرب وانفذ الكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة.[1] وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لمولانا أمير المؤمنين « لايمكنني الجواب الا اذا مثلت بحضرتك » ولم يجب على الـكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالا . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطىء سوراب ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة فى طائفة من الجيش الى عسكر مكرم لضبطها وحفظت المعابر على المسرقان وجردت العساكر من الاعراب والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن بقية الجهد كله فى أن يقيم فابى ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصعد فيها الى مدينة السلام مجتازاً فى أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي نفذ اليها فزاد قلوب القوم ضعفا وانتقض (٤٦٤) عليهم رأيهم فى لزوم شاطىء نهر سوراب فرجعوا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قنطرة اربُق وكوتب ابراهيم بن معز الدولة بالعود من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم. واتصل ببختيار أن سلار بن باعبد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا وينقضوا عسكره وأشير عليه بالقبض عليهم وتقييدهم وحملهم الى واسط فضعفت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب باقى عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط موفوراً فيجعل الحرب فيها فمنعه ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام . وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاقته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل البلد وكسر بختيار أوانى الذهب والفضة من الحلى والمراكب وضربت عينا

وورقا فضعفت آمال جنده . وعقد على دجيل جسراً ضيقا ضعيفا فى أسفل البلد وعلى طريق لا يصلح للعساكر عدّة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح وجمال موفرة بالازوادوالآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان جماعة من البختيارية اليه منهم سلار سرخ الذى ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته كانت متصلة اليهم . وتقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المعروف (٤٦٥) بالكاروى الاهوازي مع جيش من رجاله النفص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السمن وصاروا بها الى الناحية المعروفة ... (١) فعقدوا جسرا وورد عضد الدولة فعبر عليه وجميع عساكره والاخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل الممانعة عن العبور ويشتان ثبات التحيين وذلك أن من عجز عن رد بعض العساكر عن العبور والزحف فى المواضع التى يمكن فيها الممانعة كيف يثبت لجميع العساكر فى الفضاء !

وتمسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطىء النهر لان الوقت كان مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تعبية ونظام وعدّة واستظهار واحتياط وصافّهُ بختيار مصافة مضطربة وجعل الفرسان أمام الرجالة (وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج) فاستأمن سلار سرخ والحسن بن خرامذ ونيباك بن شبرك وهو من أشد

(١) بياض فى الاصل وفي التكملة : كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من أعمال الباسيان .

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس بادية بنى أسد فى ميسرة بختيار فاستأمن وانهزم جيش بختيار وتبعتهم الاعراب والاكراد بالنهب والسلب والقتل والاسر (٤٦٦) واستأمن تحت السيف خلق وانهزم الفلّ يطلبون الجسر الذى وصفناه فترق أكثرهم بالمضايقة والمزاحمة . وأفلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزيره ابن بقية وعبروا دجيلا واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التقوا بعطارا وكان بختيار التى سلاحه عن نفسه وتلثم وفيه عدة طعنات بالزوبينات فاما أخوه وابن بقية وجماعة من كبار قواده فانهم وردوا الحويزة نصف الليل فى نحو خمسمائة رجل وباتوا فلحق بهم تمام الالف على صورة قبيحة من الاختلال ولما أمسوا ساروا نحو نهر الامير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع بختيار . وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزانته وخزانة بختيار وعُدة كانت معه الى المأمونية التى بازاء سوق الاهواز وعول فى حفظه على بعض بنى أسد فنهب جميعه .

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زواريق وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن بختيار الى أبيه من الابلة وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى الابلة فى الماء بعد أن تأثثوا وتزودوا الى واسط . وصادف بختيار وابن بقية البصرة مفتتنة بالحروب بين ربيعة ومضر[1] فان مضر كانت (٤٦٧) داخلة فى طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأما ربيعة فاقامت على طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاغنة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن

---

(١) روى الطبرى (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحرقت المحال وانتهبت البضائع [1] ودخل ابن بقية الى البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالا وفساداً وأحرق بعض خطط المضريين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة الى واسط فيحصل بها فيفوتهم الهرب ان أرادوه فاصعدوا فى الماء واخترقوا البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين فى عسكره وآلاته وقبل يد بختيار وتطاول بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فانزله فيها للوصلة بينهما ولانها كانت أحسن دار بالبطيحة وأنزل محمد بن بقية عليه فاداموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم الي واسط .

وفى هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بابيه فى الشذاآت والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

ظهرت مضر على (٤٦٨) ربيعة وضعفت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار وانخزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخلها

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن بقية وذم مشورته وندم على

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن على بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في الف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل لعضد الدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فان تمكنت من المقام بواسط أو ببغداد ولحقتني المعونات التى انتظرها من سائر الجهات والا كان أقل ما فى يدى ان أنصرف عن هذه البلاد بعسكر لم يثلم ولم ينكب فلم يتعذر على ان أغلب على غيرها فابيتَ الا اخراجى من جميع نعمتى ومملكتى وافساد ما بينى وبين أجل أهلى . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل ما نالك وأعظم منه فيتماسكون وعليَّ أن أصلح أمورك وأبذل نفسى دونك ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بختيار كثير من الديلم والاتراك واستدعى كراعا كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخركاهات وصار اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامة فصار فى عسكر قوى . ووردت عليه كتب حسنويه بن الحسين الكردى يغره غرورا ثانيا ويعتذر اليه فى[٦٦١] التأخر عنه ويعده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر ثم يصير اليه بنفسه فى جميع رجاله . وعادت المكاتبة بينه وبين فخر الدولة على بن ركن الدولة وأبى تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت له بواسط فثاث منها وجرى على عادته فى استمالة الجند وبذل الخلع حتى مالوا اليه وآثروه على بختيار

﴿ذكر بلوى بلى بها بختيار فى تلك الحال﴾
﴿حتى أسلم بقية ملكه﴾

من عجائب ما اتفق على بختيار فى تلك الحال انه كان أسر له فى الوقعة بالاهواز غلام تركى يعرف بباتيكين لم يكن من قبل يميل اليه ولا تظهر منه محبة له فجن عليه جنونا وتسلى عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار والسكون وانقطع الى النحيب والشهيق والعويل وأحتجب عن الناس اخلادا الى البكاء وتضجر بالجيش وتبرّم بحضورهم وأطّرح التدبير وزعم ان فجيعته بهذا الغلام فوق فجيعته بالمملكة والانسلاخ منها ومن النعمة. ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما فى نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه بهذا (٤٧٠) الخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس فى الدست ومن استعمال التمهد بالمخاد وما أشبه ذلك فخف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم فلم يبال بذلك. وصار القواد يجتمعون الى ابن بقية ويقولون: دبر أنت أمورنا فانّا معك ومطيعوك. فاستهان به ابن بقية واستعجزه وجاهر بذلك بعد ان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما بختيار فانه أسقط التجمل فى أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد الدولة والحرب قائمة بينهما وهو يطلب ملكه ونفسه يسئله رد هذا الغلام عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيفين به وبخدمته يسألهم معاونته فيما رغب فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحةً فى العساكر والامصار وعابه الاقارب والاباعد. فما ارعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى رسولا اليه فى هذا الباب وبذل له على يده فى فدية الغلام جاريتين عوادتين محسنتين كانتا عنده ولم يكن لهما نظير فى الحذق والبراعة وقد كان أبو تغلب ابن حمدان بذل باحدىهما مائة الف درهم فابى ان يبيعها. وقال له: ان وقف عليه الامر فى هذا الفداء فزد أبدا ولا تفكر فى شىء مما بينى وبينه فقد رضيت (٤٧١) ان آخذه وأمضى الى أقصى الارض وأسلم اليه ما في يدي.

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقائه المأسورين يوم الوقعة ولم ير له فضل ولا ميز من بينهم وأنفذوا الى شيرزاد هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أديت الرسالة وعرف الملك ماعند بختيار من الفجيعة به عجب كل العجب وأمر برد الغلام الى حضرته فرُدَّ ثم أعاد أبا أحمد الموسوى بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن أردشير الكاتب رسولا وأعلمه انه مجيب له الى ما سأل وأرشده مع ذلك الى بعثه على الطاعة وحمّله رسائل أخر أمرهما أن يؤديها الى بختيار سرا عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امتثلا الامر وطويا عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن بقية استيحاشا شديدا واتهم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا عن الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا ومكاشفة بختيار وان يظهر العصيان . وكان نازلا من واسط فى الجانب الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به [(٤١٢)] وبختيار في الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته ويموله كما يعال من لا أمر له وعمل على ان يراسله باعتزال التدبير وان يصعد الى بغداد ويخلي بينه وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان ذلك ممكنا منه لو أمضاه فعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الي رأيه ومتدبر بتدبيره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه

﴿ذكر السبب فى قبض بختيار على ابن بقية﴾

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمكن منه ووثق به صاحبه

وكان نقيبا خاملا فتقدم عنده الى ان استحجبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطلّع على الحال التى عليها ابن بقية من التنكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يثبها عليه اشفاقا على نفسه وانتهازا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال فقال له بختيار : انى أخاف شغب الجند وان يستنقذوه من يدى ويطالبونى بالاموال . فضمن له الا يجرى شىء من ذلك وان جرى كان عليه ان يسكنهم ويرضيهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطمعه فى كثرتها وفى ان تسفر الحال فى القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذلك طريقا الى انعطافه وصلاح رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيرا بعده (٤٧٣) وان يقر الكتّاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعد بن ثابت [النصرانى] من محبسه فيردّ اليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلع بختكين آزاذرويه عليها فاستصوبها وكان فى ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد فى خزانة شرابه يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها اسماط يتخذه للجند .

فلما كان وقت العصر من ذى الحجة سنة ٣٦٦ عبر ابن بقية فى زبزبه الى بختيار فوجه فى الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعى بقتله فى الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووُجد فى حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكراعي وكان صادره ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الراعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بقية وطالبوا بأموالهم وعرّضوا بذكره والتأسف عليه فهمّ[٤٧٤] بختيار بقتله في الوقت فلما تفرق الجند عنه أنفذه في الليل مقيداً الى بغداد موكلا به وأخرج معه أبا العلاء صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بقية على الرسم في خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم الى بني شيبان ثم الى بني عقيل وأقاموا في الباديه

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾

كان قبضه على ابن بقية قبل ردّه أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنفذهما وأنفذ الجاريتين ليفتدى بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوى على ان يبذل جميع ملكه ان دعته الى ذلك حاجة . فجرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوازرت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر ان نعمته قد عادت اليه وهمّ بالعود[٤٧٥] الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاءه ابراهيم بن اسمعيل حاجبه وأشرف عليه في اللوم والتقريع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه فى نحو ألف فارس ووردت كتب حسنويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسط على مباينة عضد الدولة. فاتصل ذلك به وانه نقض الشرط فبادر برسله الى أبى أحمد النقيب [العلوى] يرسم له ان يتوقف بالبصرة مع الغلام الى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التى شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم انه قد رأى ان تكون الحرب ببغداد لان أبا تغلب ابن حمدان صائر اليه لمعاونته وسألهما الاصعاد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأى فيه وقد كانا اطّلعا على حديث هذا الغلام فكتبا الى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل عبد الرزاق بجرجرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذمّم والحياء. وتلوّم بختيار فى طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوى وبهرام بن أردشير (٤٧٦) ومعهما بايتكين فسلماه اليه فتمم المسير الى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهرا التبلح فى المطالبة بعد مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله الهاربين فكتبت وحضروا. وتجدد لابن بقية طمع فى أن يخطب الوزارة ويبذل لبختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححها من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن البقايا فى النواحى وان يردّ الى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا الى بختيار وأعلموه انه انما يحتال بما يبذله للخلاص وان يتمكن من الانسلال ثم يثير الفتن التى لا تلافى

وفى هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بالري

﴿ ذكر السبب فى ذلك (١) ﴾

﴿ (٤٧٧) ودخلت سنة سبع وستين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بقية وابن الراعى ﴾

(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار فى تسليم ابن بقية اليه ليحمله الى عضد الدولة ويعوضه عنه مالا من خزانته واتصل ذلك بهؤلاء القوم أعنى القواد فحضروا عند بختيار وأقاموا فى نفسه انه ان سلمه اليه صحيحاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدوٌّ من قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فتقرر الرأي على سمله وتسليمه مسمولا . فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٧ وجدّ أبو اسحق ابن معز الدولة فى إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعى به لشيء كان فى نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره (٤٧٨) الناس فسمل أيضا

وترجح الرأى ببختيار بين الدخول فى طاعة عضد الدولة وبين المقام على معصيته ومحاربته وكان الرسولان مع جماعة من نصحائه يشيرون عليه بطريق السلامة ويعرّفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) بياض فى الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٥٦ — ٣٥٨

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل في الطاعة وحلف عليها وأعطى صفقة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب الغربي على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقيم الخطبة له في أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه آيساً منه ولحق بأبيه . وبذل له عضد الدولة مالا جليلا على ان يقيم في كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشترط عليه شروطاً كثيرة كان فيها الا ينابذ أبا تغلب ولا يعرض له الا بقدر الاجتياز في أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولمقامه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته (٤٧٩) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه يسلم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فأول ما نقض من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن حمدان وعمل على لقائه ومحاربته ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكره أمر نفسه ووعده بأموال ابني ناصر الدولة وما جمعه في القلاع وما خلفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم انه لا يلابس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربه ويثق بمصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فعاهد حمدان على انه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذباً وحماية وحلف له بأيمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزماها ودخلا فيها . فلما صار بتكريت صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخلا به ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أمواله ويبذل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لايستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان فى عنقه (٤٨٠) من اليمين الغموص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يعاوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعني أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمّي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد فى أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالبين عنده بثار أخيهما أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لايدخل بختيار فى ذلك لئلا يحنث فى يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار فى المخاطبة وأعلمه انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعاده الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار فى يده على رسمه فى ضعف العزيمة ولين العريكة فقُبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس فى قلعة وهرب ابنه المكنى

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعه واجتهد وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفا وتعاهدا فلما فرغا من الاستعداد انحدرا من الموصل وكانت عدّة أصناف(٤٨١) الرجال معهما خمسة وعشرين ألف رجل . وبلغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً بيوم فبرز عن مدينة السلام في جيوشه المنصورة وقدّم مقدّمته مع أبي القاسم سعد بن محمد الحاجب الى تكريت . وكان أولئك أنفذوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار فأوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .

وفى هذا الوقت قتل ابن بقية وصلب ببغداد

﴿ ذكر الحال فى ذلك ﴾

كان حمل مسمولا على ماذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية فتقدّم بأن يشهر في العسكر على جمل ثم طولب بالمال فلم يذعن بشيء منه فطُرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضريت عليه فقتلته شر قتلة وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربى فصلب بازاء ذلك الموضع من الشرقي وبقى فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع وبين عضد الدولة بقصر الجص(٤٨٢)

اتصل بعضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يتفرقوا بعد عبور النهر المعروف بالاسحاقي ويأخذوا فى عدّة وجوه الى بغداد فسار بجميع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الغاية التي عزموا على ان يتفرقوا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله في جيش كثيف ببغداد. والتقى القوم غداة يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدّت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على الهزيمة فمنعه أصحابه وخاف من الحصول في الاسر أو القتل فلما تحققت الهزيمة ظفر به بعض الاكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لايعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلت وأراد ان يثني عليه فتعرّف اليه باسمه واستأسر له وقال : احملني الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقاءه فألحّ عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود ثالثاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاه في بعضها (٤٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصّر فيه لجاز . فرفع عضد الدولة [يده] الى عينه يمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر اليه مع صاحب له واحتز رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتي عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل في هذه الوقعة خلق كثير من القواد والامراء ومن واساه بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا تغلب ضربة في منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تامة بالقرب فوقف عليها وكان دبّر عسكره بأن يقفوا كراديس فكلما حمل منها كردوس وأبلى وتعب عاد وحمل كردوس آخر وغرّه كثرة القوم وكان بختيار عبّى خيله تعبية الديلم ليلقى بنفسه ويباشر الحرب وتلحقه المعونة من كل وجه فجرى الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهروان مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدّث نفسه بالمسير الى جهة شعبانا (٤٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ عضد الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرّد خلفه خيلا فلحقوه ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر كثير من أصحابه وانفضّ ذلك الجمع

فأما عضد الدولة فانه لما فرغ من وقعة قصر الجص تمم المسير الى الموصل فملكها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب انه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله . وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم ان ينقلوا الغلات والميرة وسائر الاموال والذخائر الى قلاعهم وينقلون الكتاب والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوّهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيأ غير ما عند الرعية فيضطرون الى العلوفات والمير ويخرج من يخرج في طلبهم وينقضّون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يعرفها الغرباء من العساكر فيأخذون

بغالهم وجمالهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم فاذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا معيناً من كاتب بلدىّ ولا غيره طلبوا الصلح وقاربوهم للضرورة التي ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتابها الموجودين (٤٨٥) ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نوائب نابته وقُتل هنالك كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفى هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدّمنا ذكرهم أعنى بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لخمس خلون منه فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بحضرة قصر الجص عاد الطائع لله الى منزله ببغداد (١) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة ودخل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين بيده أحدهما مفضض على رسم الامراء والآخر مذهب على رسم ولاة العهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عهد بحضرته فقرأ بحضرته ولم تجر العادة بذلك انما كان يدفع العهد الى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدى اليك فاعمل به .

الثاني عشر .

وترددت الرسل من أبي تغلب الي عضد الدولة في التماس الصلح وحمل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وانه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لابي محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى (٤٨٦) أملاكهم باوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا ومُلكًا فلما صار جميع ذلك فى قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطلب أبو تغلب وأسريت اليه السرايا فلم يمكنه المطاولة ولا ان يسير بسيرته التى حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خلفه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان فى جملة من انهزم معه المرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميافارقين ثم افترقوا فاما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والاتراك المرسومين بهم فانهم ساروا الى دمشق لائذين بالفتكين المعزي وهو الذى حارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه مسير أولاد مولاه وحرمه وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن انه يتكثر بهم ويزيد فى عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجرى الامر بالضد وذاك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لعساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهابهُ الدرب وطار اسمه هنالك . فلما صار اليه هؤلاء المنهزمون قصدته عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فسار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب (٤٨٧) والمقارعة فحين توافت الفرقتان استأمن المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتكين وكثروه بعددهم فانهزم وقتل أبو طاهر ابن معز الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معز الدولة في آخر الامر . ووقع الطلب على الفتكين فلحقه المفرج بن دغفل بن الجرّاح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الاتراك الذين معه على طول الممارسة بأساً وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولاءه وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم (١)

وأما أبو تغلب فانه أقام بميافارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقا باسبابه ووصل أبو الوفاء الى ميافارقين وهي مغلقة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يعمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالبا أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بخويبور ثم عدل من هنالك الى ناحية الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميافارقين لمنازلتها وافتتاحها . واتصل بعضد الدولة مخالفة (٤٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذه ما أخذ منها فنهض من الموصل

(١) ليراجع تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ ـ ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آزاذرويه وبقايا الغلمان المعزية والغلمان السيفية فعاد الى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة والعُدّة

وسلك أبو تغلب فى هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة فى أثره أبا حرب طُغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتنكب أبو تغلب الطريق وتعسف الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتتبع فكوتب طغان باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير فى عسكر مددا له فسار خلفهُ فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بورد الرومى [1] وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب والمنازعات بين الفريقين وكان وَرْد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجىء اليه

واتفق لابى تغلب ان كان مسيره فى مضايق بين جبال ولحقه عسكر عضد الدولة هنالك

﴿ ذكر غلط اتفق بجناية جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبى تغلب)
(والظفر به وبمن معه [(٤٨٩)])

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبى تغلب

(١) هو المعروف بالسقلاروس والملكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس وأمهما هى ثاوفانو

واشتد طمعهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت الذي أخرجه من القلعة وانه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در ثمين أو متاع أو عين يخف محمله الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التي وصفت لهم انها محمولة من القلعة فحمل الاتراك وفرسان العسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه متسرعين الى غنيمة تلك الاموال . فناداهم أبو سعد بهرام : يا فتيان العسكر احفظوا تلك الصناديق فانها لمولانا . وكرر ذلك وتابعه فانكسر القوم ففتروا في الطلب ونظر اليهم أعداؤهم منخزلين وهم لا يعرفون السبب فحمل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم خلق كثير . وضرب طغان ضربات تعطّل منها كثير من أعضائه وأفلت مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر .

﴿ وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلثمائة ﴾

ثم ان أبا تغلب بعد كسره طغان وابا سعد أمن وصار الى حصن زياد وأقام . وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد (١) فشغل عنه بنفسه وأنفذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعا على حرب خصومه فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره . ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن تلقاه فأنفذ (٤٩٠) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيي بن سعيد الانطاكي في تاريخه (ونسخته موجودة في كتبخانة باريس : ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس عن أبي تغلب بنفسه وأنفذ اليه الخ

بحصن زياد ينتظر فالتقى الجيشان من الروم وانهزم ورد [١] واتصل ذلك بأبي تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن فتحت ميافارقين

﴿ شرح الحال في ميافارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميافارقين طالبا لابى تغلب فلما هرب الى بلاد الروم وتفرد أبو حرب طغان الحاجب بطلبه والمسير في أثره عاد اليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن فى المدينة . فاقتضى الرأى عند أبي الوفاء ان كر الى أرزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون القاربة لها حتى استغرقها وانكفأ حينئذ الى ميافارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البردُ عليه وسقطت الثلوج فاحتمله وصبر . ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنيقات فثبت لها وقابلها بمنجنيقات مثلها ورماهم بالنار والحجارة وهو فى خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأمن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب المرتبين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما اليه يقال له مونس . وكان بالبلد قاض جاهل متهور ليس (٤٩١) فيه من أدوات القضاء شيء يقال له أبو الحسين المبارك بن ميمون ويعرف بابن أبي ادريس [٢] فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا ان ذلك يوم الاحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الازرق الفارقي صاحب تاريخ ميافارقين : كانت ميافارقين من سنة ٣٣٣ تحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هـذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوّعة وحمـلة السلاح على الثبات والمدافعة فـكاتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا المناد . وكان يصعـد الى برج من أبراج السـور فينادى العسكر ويسمى القواد وصاحب العـسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ فى ذكرهم بالقبيح ويتجاوز ذلك الى مالا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبة شيخ من ميافارقين كان وجيها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله (١)

﴿ ذكر الحيلة التى تمت لابي الوفاء فى فتح ميافارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمـد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما فى ضيعة له فراسله به ورفق بالغلام ووصله ثم جمله وليجة الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا فنمى خبره الى القاضى الذى ذكرناه فسعى في الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمرهُ يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استظهر بهم . (٢) فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشغبين (٤٩٣) على أصحاب أبى تغلب

الى ان مات ومات بعـده القاضي وولى موضـعه أبو الحسـين محمد بن على بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف ببيت ابن أبي ادريس

(١) وقال أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميافارقين : ثم انه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصاددة ومعه جماعـة من الناس فشـكوا ما هم عليه من المضايقة والحصار فقال القاضي : وأين صبركم وجلدكم وبعـد ما أ كلتم الـكلاب ولا أ كلتم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله على القاضي ابن أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميافارقين من أصحاب بختيار وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار على طريق المنادمة التي تليق بمثله يعرف بابن الطبري فساعد القاضي على سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمداني يلتمس مفاتيح الباب منه ويتهدده متى أخرها وساعدته الجماعة على ذلك فانفذها والتمس الامان فكتب احمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء يعرفه ماعمله ويلتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فآمنه واستثنى بهذا القاضي وبالمعروف بابن الطبري وأنفذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب فى قطعة من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم أموالا وتصدق على ضعفائهم بامر عضد الدولة اياه . وحمل الى حضرته القاضي وابن الطبري فأمر بضرب رقابهما وصلبهما من السور على البرج الذي كان يظهر منه ويسيء أدبه فيه

﴿ فتح آمد ﴾

كان أبو الوفاء أنفذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لافتتاحها فتعذرت عليه لحصانتها ووثاقة سورها الذي هو أشد من سور ميافارقين فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما (٤٩٣) ذكرنا وظن انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميافارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأنفذ أخواته سوى جميلة مستأمنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتاثوا عليه فهرب الى الرحبة ومعه أخته جميلة ومن يمسه أمره من حرمه . وتمد عنه المعروف

بانجوتكين وهو من نجباء الاتراك المعروفين بالشدة والثبات فى المعارك وله قوة على حملات له ثقيل يعجز عنه غيره واذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الاتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين اليه ثم تتابع الناس الذين كانوا مع أبى تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاة والاتباع . وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبى تغلب عنها سبيل أهل ميافارقين ففتحوها سلماً وطوعا .

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب فى الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب فى البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقعيدى وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة [٤٩٤]وأقام بها على انتظار الجواب . فورد أبو عبد الله وسلامة البرقعيدى الموصل وأدّى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعا وفضلا على ان يطأ بساطه ويدخل فى ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذلك انه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أحداً من الوصول اليه فلم يشاهد بعينه الا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتعلق بعصمة باطنة اختص بها واعتقد ان يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة فمضى اليه بما أعاد الجواب عليه . فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لمرسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب وسار معه أخوه الحسين الى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمر على غير استئذان فأنفذ خلفه من يتتبعه فشعّث سواده ولم يلحقه فى نفسه فنجا وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة

﴿ فتح ديار مضر ﴾

كان الوالى عليها سلامة البرقعيدى فأنفذ اليه سعد الدولة وهو ابن سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه(٤٩٥) وتعلق منه بعصمة فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلمها بعد حرب ودخل أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفى منها الرقة وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما فى يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة فتفرغ لفتح قلاع أبي تغلب وهذه القلاع هي في جانب دجلة الشرقى وهى عدّة كثيرة فمنها أردمشت ومنها الشعبانى وقلعة اهرور وقلعة مليصى وقلعة برقي وكانت أردمشت خاصة مملوءة بالامتعة الفاخرة من أصناف الثياب والفرش والجواهر والصياغات والحلي وسائر أصناف العدد وكان أبو تغلب رتب فيها رجلا من الاكراد بينه وبينه قربى من جهة والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتم فانفذ اليه عضد الدولة أبا العلاء عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازلة القلعة والاحتيال فى فتحها وأنفذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعبانى وأنفذ صاحبا لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى اهرور فعرف أبو العلاء حال أقارب لابن بادويه الكردى خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة (٤٩٦) ورغبهم فيها وعرفهم اضمحلال أمر أبي تغلب ووقوع اليأس منه وكاتبهم عضد الدولة بمشورة أبي العلاء فرغبوا فى الخدمة وصاروا على ثقة مما وُعدوا به ثم حُملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه بالقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع فى عود صاحبه ويحب أن تظهر أمانته عنده ففعل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكّموا فتم القبض على طاشتم و التقييد و حصلت القلعة بما فيها (١) وظهرت نجابة أبي العلاء واجتهاده وحسن تلطفه وكان قيمة ما فى القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزانة) ومع ما يباع وتبقية ما يبقى فى القلعة نحو عشرين الف الف درهم

قال صاحب هذا الكتاب : كان عضد الدولة أمرنى أن أصير مع خواشاذه (٢) الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلّم طاشتم مقيدا وأحمله على بغل باكاف مجردا لا وطاء عليه ومعه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بالخلع والدواب والمراكب التى حملوا عليها وبين أيديهم البدَر والثياب التى حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتنعة التى لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ابراجع ما في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

(٢) وفي خواشاذه هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال بن المحسن الصابي : حدثني خواشاذه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة (يعنى ببغداد) عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان مثل شيراز

فى مثلها [٤٩٧] ففعلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القـلاع . وجرت أحوال يطول شرحها الا ان جملتها ان القوم لما نظروا الى هيئة طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التى كان فيها طاشتم فتحت فلما رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبى تغلب وقوة عضد الدولة وسلموا القلاع بعد مدة .

ورأيت أنا من طاشتم هذا فى طريقى حصافة واقبالا على الصلوات ودعاء كثيرا (وقد كان أومن على روحه فقط) فسألنى فى الطريق المعونة وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء القلاع على ما وصفت نُبتُ عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرّفتهُ سداده وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب اصطناعه . فقلتُ : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا ثم تقرب به الينا غيره فان وقع احسان اليه سوّينا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيّات من يخدمنا فى أعدائنا وظنوا انا لا نميّز فى الاحسان بين الولى والعدو وبين المجيب والممتنع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بعد وان بلغ أصحابها الممتنعين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل عاقبة هذا بعد حصولهم [٤٩٨] فى أيدينا ان حصلوا وسلامتهم في مواضعهم ان سلموا . ثم قال : ولان لى فيه رأيا وهو ان أنفذه الى صاحبه أبى تغلب فانه سيُموّه على صاحب مصر به وبقلعته ويدّعي انها فى يده وفيها ذخائره وثقاته وان ماله في هذه القلاع يمي بمؤونته ان أمدّ بالرجال ولا تزال مخاريقه مشتبهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتتقدمه الاخبار بما

جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وانه طريد سيوفنا وانما أفلت بحشاشته وليس وراءه عُدة ولا ذخيرة ولا قائمة . فلما سمعت هذا الجواب علمت انه صواب في سياسة الوقت وان معارضته فيه خطأ فأمسكت .

وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسييره الى صاحبه مقيداً بحالته تلك فقلق جداً وراسلني يسئلني المصير الى محبسه فصرت اليه تذمما فوجدتهُ كثير البكاء لا يستقرّ على الارض قلقا فقلتُ : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمنني على نفسي وأراهُ الآن قد بذلني لمن لا يبقى عليّ . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته فى الامان الذى معه فحملت نفسى على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنته على نفسه منى والا أصيبه بمكروه وأنا له على ذلك ولستُ أضمن الاّ يصيبه صاحبه بمكروه . وتبرأ مما يجرى عليه من صاحبه وتقدم (٤٩٦) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقّاه بمن قتله والله أعلم بصحة ذلك الاّ ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر ما دبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾
﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خلف أبا الوفاء بالموصل لتهذيب المعاملات وترتيب العمال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذى القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله فى تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخوّاص والعوام ودخل يوم الاحد لليلة خلت من ذى الحجة واجتاز فى الجانب الغربى على تعبية من الجيش وبعد ان ضُربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذى

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقرّ فيها .

﴿ [ذكر] ما أكرم به عضد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا لعضد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدبادب في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بانها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على (٥٠٠) قديم الايام وحديثها (١)

﴿ ودخلت سنة تسع وستين وثلثمائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ اسقلاروس الرومي المعروف بورد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا الى عضد الدولة مستنصرا ومستنجدا وباذلا من نفسه الطاعة والمعاهدة (٢) ولما كان الملكان الاخوان اللذان بقسطنطينية عرفا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان معز الدولة أحب ان يضرب له الدبادب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قالت : وماذاك الا لضعف أمر الخلافة .

(٢) قال يحيي بن سعيد الانطاكي : وأما اسقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الي ديار بكر وأنفذ اخاه قسطنطين الي عضد الدولة يلتمس منه النجدة والمعونة وبذل له الطاعة والموالاة وتطاول مقامه وانتهى الى الملك باسيل حاله فانفذ الى عضد الدولة كاتبا له وجيها يسمى نقفور ويعرف بالاورانوس (وهو الذى باخره ماجسطرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على اسقلاروس ما شرع فيه مع عضد الدولة ومالا واسعا يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عضد الدولة بما بذله له فيه وبعده اخراج كل أسير في بلد الروم وان يتلطف باحضار

ما فعله أنفذا رسولا وجيها الى عضد الدولة لنقض ماشرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان فى التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انسلخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط. وهو من مآثر عضد الدولة

وفيها توفى عمران بن شاهين صاحب البطيحة فجأة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان ركب فى غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاظت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد أربعين سنة وأنفقت على حروبه الحرائب وبعد ان أذل الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو باتباعه واتباع من معه من الروم ويضمن له انه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بميافارقين سرا بان يقبض على بردس السقلاروس فاظهر عضد الدولة الانكار للحال والغضب على صاحبه لما فعله وكاتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم تقديرا ثلاثمائة نفس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خليت له ووسع عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعده باطلاقه وتجريد عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحبا له يعرف بابن شهرام فى معنى السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالاة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر يسلم اليه حصونا مما افتتحه الروم وانتزعوه من أيدي المسلمين ويستدعى منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يمد السقلاروس بالعساكر ويعضده على ما التمسه منه فأعلمه باسيل الملك قلة عنايته به وان ذلك مما ينزعج منه . ورقي الي عضد الدولة ان نقفور رسول باسيل الملك الوارد في طلب السقلاروس مجتهدا عند اياسه من أن يسمه ويميته ليكفي صاحبه أمره فوكل به أيضاً واعتقل فقبض على جميع ما ورد معه من المال والمتاع . واعتل عضد الدولة وشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقى جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الي ان صدر أيام ولده صمصام الدولة وانتهى امرهم الى ما سنشرحه مستأنفاً .

وذحول يتحملونهـا وهو ممنوع الحريم محصّن الساحـة محمى من غوائلهم ومكايدهم فلما أطرقه (٥٠١) الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر

وفيها جرّد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبى القاسم على بن جعفر الواذارى وضم اليه أبا العلاء النصراني لطلب بنى شيبان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كانت هـذه القبيلة أعنى بنى شيبان مستعصين قد تعودوا النهب والغارة والتلصص وأعيت الحيـلة فى طلبهم وذلك ان لهم خيولا جيادا يعولون عليها في الهرب اذا طلبوا فكانت سراياهم تبلغ فى الليلة الواحدة ثلاثين فرسخا وربمـا زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هـذه المسافة البعيدة وكذلك يصبحون فى مكان ويمسون منه على مثـل ذلك ولا يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف (١) وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليهـا مصاهرات وأذمّة وشهرزور هذه لم تزل ممتنعة على السلطان لا يذعن أهلها لحصانة المدينة ولانهم فى أنفسهم عتاة ذوو باس وجلد . فاراد عضد الدولة أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بنى شيبان وأكرادها فاتفق شخوص أبى القاسم الواذارى وهو عقيب علة طالت عليه ولحقته نـكسة فى طريقه فمات وورد خبره على عضد الدوله وكاتب أبا العـلاء وأقامه مقامه وأمره باستكمال الخدمة فيما توخاه . ففعل ووفى وظهرت نجابته المعروفة منه ونهض نهوضا كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على ظاهرها فتحت له فدخلها فى عدة يسيرة على موادعة لاهلهـا وقبول (٥٠٢)

(١) بياض بالاصل

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بلدهم . فهرب بنو شيبان في البر مصعدين الي نواحي الزوابي على رسمهم في الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفر بهم ﴾

سار أبو العلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الحيل والمكايد والمكاتبات المتصلة بضروب من الاستمالة والرفق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يعجل مع ذلك حتى قربوا باحيائهم منه فاسري حينئذ اليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة أتت علي نفوسهم وأموالهم وذراريهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى وثمانمائة رجل من الاسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس لثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الاسارى على الجمال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لاربع عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أولئك الذين نجوا منهم في الاطراف البعيدة وطفئت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرتهم .

وفيها قبض على أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبيين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأنفذوا الى فارس وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس [1] واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أرباع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاة شيراز توفي في رمضان سنة ٣٨٠ وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاء في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . واما خليفته ابن صبر قال أيضا إنه حنفي ولي القضاء بعسكر المهدى

محمد بن عبد الله (٥٠٣) المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرّم والى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزي وصير خليفته على ما بقي من الجانب الشرقي من حدّ المخرّم الى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني (١) خليفته على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التي

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمى أبو بكر الخطيب أباه عبد الرحمن وانما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبائي خبيرا بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الادلة وكتاب التفسير وما أتمه . وأما الخرزي وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضي القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في صحبة السلطان عضد الدولة وتوفي سنة ٣٩١

وقال أيضا ان أبا هاشم الجبائي هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي علي البصري كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما . قال ابن درستويه النحوي : اجتمعت مع أبي هاشم فالقى عليّ ثمانين مسئلة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولابي هاشم تصانيف وتلامذة وكان يصرح بخلق القران كأبيه ويقول بخلود الفاسق في النار وان التوبة لاتصح مع الاصرار عليها وكذا لاتصح مع العجز عن الفعل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكره ثم تابا لم تصح توبتهما . وأنكر كرامات الاولياء توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وليراجع ما قال فيه أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمة في ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام رواية عن التنوخي : قال لي أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أنفق على أهل العلم مائة الف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . وانه جمع له في سنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ .

تعرف بالشرقية وهى على غربى دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحى السواد على هذه الحصص بينهم

وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبى تغلب فضل الله بن ناصر الدولة . بالرملة

﴿ ذكر شرح الحال فى قتله وحرقه ﴾

كنا قد ذكرنا خبره فى توجهه من الرحبة الى دمشق وكان بلغه ان عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البوادى هناك من بنى كلاب وغيرهم بمعارضته فى مسيره وأخذه وحمله الى حضرته فاستوحش وعدل عن نهج الطريق وأوغل فى البرية فنالته مشقة عظيمة ووصل الى دمشق من ورائها فوجد فيها من اهلها رجلا يقال له قسّام [1] قد تحصن بها وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل في ظاهرها وأنفذ كاتبه على بن عمرو الى مصر يستدعى من صاحب المغرب النجدة . ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب (٥٠٤) قسام هذا ثورة فرحل الى موضع يقال له نُوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الغطريف مستأمنا الى عضد الدولة وعيّد عيد الفطر بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان صاحب المغرب تقبله ووعدهُ بكل ما أحبه وانه التمس منه ان يسير اليه زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما . فرحل عن نُوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من هنالك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمنا الى عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجوه غلمانه يقال له الفضل الى دمشق ليحتال على قسام ويفتتح البلاد فصار الى طبرية وقرُب

---

(١) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسى ص ٧٢ — ٢١

من أبي تغلب وتراسلا فى الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب وتفاوضا فى الموكب ووعده عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو تغلب المسير معه الى دمشق لفتحها . فكره ذلك للنفرة التي كانت جرت بينه وبين قسام لئلا يوحشه وكان يسلك فى أمره اللطف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فافترقا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتم له ما قدّره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المفرّج بن الجرّاح الطائى وهو رجل بدوى استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفحل أمرهُ وكثرت البوادي معه فسار الى احياء عُقيل المقيمة بالشام ليواقعها (٥٠٦) ويخرجها عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسألته نصرتها ومتّت اليه بالرحم النزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله الاّ يفعل ذلك ومتّ اليه بالحلف الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على التكافّ الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمتثل ما يرد منه في الامر الذي شجر بينهما . ورحل فنزل فى جوار عقيل على انه مانع لها المسير والابتداء بالشر فاوحش ذلك ابن الجرّاح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه وظنا ان اجتماعه مع بنى عقيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل واتصال كتُب كاتبه اليه بالتسويف والتعليل فسار الى الرملة مع احياء عقاق وذلك فى المحرم سنة ٣٦٩ فهرب ابن الجراح والفضل من بين يديه هربا بعد وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولاّته وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما اسختكين التركي المغربي وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيدية والمغاربة وعطف اليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقعت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين لليلة خلت من صفر (٥٠٦) سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهزمت فضعف [1] أمر أبي تغلب وفارقه اسختكين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى عضد الدولة وعاد باقي المستأمنة من المصريين الى الفضل والى ابن الجرّاح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانه الحمدانية فانهزم وانهزموا ولحقهم الطلب فثنوا وجوههم يحامون عن نفوسهم بالمكافحة والمجالدة فضرب بعض الصعاليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عم لابن الجراح يقال له مشيّع الطائي وقتل بعض غلمانه وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] في يد ابن الجراح فبكّر مرتحلا باحيائه وعسكره وسيّره بين يديه على ناقة وقد شدّ رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبقي فبلغ ذلك الفضل فبكر ليأخذه من يد ابن الجراح فالفاه قد سار فاتبعه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلمه منه ويصير به الى مصر فيجري معه مجرى الفتكين في اصطناع صاحب المغرب له واستصحابه اياه وقد وتره بالحرب والاسر وأناخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتيلا وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند ممانعته عن نفسه فأطنّها . ولحق الفضل وقد قضي الامر فأخذ رأسه وأنفذه الى مصر ثم صلب جثته ثم أحرقت .

---

(١) في الاصل « فضعفت »

وقد كان خلف أختهُ جميلة وزوجته وهى بنت سيف الدولة (٥٠٧) فى احياء بنى عقيل فلما قُتل حملوها [1] مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته اليه وأنفذ جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعدل بها من عانة الى الموصل وسلمت الى أبى الوفاء فكانت فى يده الى ان انحدر الى بغداد فحدرها معه وحصلت معتقلة فى الدار فى بعض حجرها مع جوارى عضد الدولة ونسائه . [2]

﴿ ذكر تلافي بغداد بالعمارة بعد الخراب ﴾

وفى هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلة قد أحرق بعضها وخُرِب البعض فهى تل وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا فى نهاية الخراب فانفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على أحكام وشيدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بادرار ارزاق قُوّامها ومؤذنيها والائمة والقرّاء فيها واقامة الجرايات لمن

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٦ ان فيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعها أخواها ابراهيم وهبة الله نضرب بحجها المثل فانها استصحبت أربعمائة جمل وكان معها عدة محامل لم يعلم في أيها كانت وكسب المجاورين ونثرت على الكعبة لما رأتها عشرة آلاف دينار وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والثلج (كذا قال أبو منصور الثعالبي فمن أين لها ثلج ?) وقيل أخوها الواحد فى الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت المجاورين بالاموال . قال أبو منصور الثعالبي : خلعت على طبقات الناس خمسين الف ثوب وكان بها أربعمائة عمارية لا يدرى في أيها كانت ثم ضرب الدهر ضربانه واستولى عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها افضت بها الحال الى كل قلة وذلة وتكشفت عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطبها فامتنعت ترفعا عليه فحقد عليها وما زال يعنف بها حتى عراها وهتكها ثم ألزمها ان تختلف الى دار القحاب فتتكسب ما تؤديه في المصادرة فلما ضاق بها الامر غرقت نفسها في دجلة .

يأوى اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهملا لا يُفكر فيه . ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الارباض المختلة وأعاد وقوفها وعوّل فى هذه المصالح على عمّال ثقات أشرف عليها نقيب العلويّين ثم الزم أرباب العقارات التى احترقت ودثرت فى أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها فى العمارة وفى الحسن والزينة فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرتجع منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائبا أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت بغداد (٥٠٨) وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التتبع على الدور والمساكن التى على جانبي دجلة فبنيت مسناتها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملا لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والحاشية ان يجتهد فى عمارتها وتحسينها . وكان السبب فى خراب هذه الدور والقصور على الشط ان بختيار كان نقض دار أبى الفضل العباس بن الحسين الشيرازى التى كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد فى الانساع والحسن وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجربة مملوأ بالنخل والاشجار والرياحين والانوار وطرائف الغروس الغريبة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الانقاض فهدم المنازل الجليلة التى لا يمكن أو يصعب اعادتها . فأمر عضد الدوله برفع سنة الاخراب وبيع الانقاض واعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد ففعل ذلك فامتلأت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوي

الكلاب ومطارح الجيف والاقذار وجلبت اليها الغروس من فارس وسائر البلاد .

وكان ببغداد أنهار كثيرة مثل نهر العبازة ونهر مسجد الانباريين ونهر البزازين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة (٥٠٩) والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحربية يأخذ من الدجيل وكان منها مرافق للناس لسقى البساتين ولشرب الشفة فى الاطراف البعيدة من دجلة فاندفنت مجاريها وعفت رسومها ونشأ قرن بعد قرن من الناس لا يعرفونها واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكلفوا حمل الماء من دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها الكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل أمرها وقل الفكر فيها فربما انقطعت بها السبل أصلا وربما عمرتها الرعية عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجية فلم تكن تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت كلها جديدة وثيقة وعملت عملا محكما . وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الراكب لشدة ضيقه وضعفه وتزاحم الناس عليه فاختيرت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى صار كالشوارع الفسيحة وحصن بالدرابزينات ووكل به الحفظة والحراس .

فأما مصالح السواد فانها قلدت الامناء ووقع الابتداء بذلك فى السنة المتقدمة لهذه التى نحن فى ذكرها فثبتت الزيادات وجمعت العدد من القصب والتراب وأصناف الآلات (٥١٠) وأعيد كثير من قناطر أفواه الانهار والمغايض والآجر والنورة والجص وطولب الرعية بالعمارة مطالبة

رفيقة واحتيط عليهم بالتتبع والاشراف وبلغ فى الحماية الى أقصى حد ونهاية
وأخر افتتاح الخراج الى النيروز المعتضدي (١) وكان يؤخذ سالفا
قبل ادراك الغلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها
الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التعديل
ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجرى عليهم من القبائح
وضروب العسف وأقيمت لهم السواني فى مناهل الطريق وأحفرت الآبار
واستفيضت الينابع . وحملت الى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة
وأطلقت الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى الفاقة
وأدرّت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالغري
والحائر على ساكنهما السلام وبمقابر قريش فاشترك الناس فى الزيارات
والمصليات بعد عداوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعنوا وتواثقوا

(١) قال صاحب كتاب العيون انه في سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النوروز الذي يقع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران
وفى تأخر الخراج قال أبو هلال العسكرى في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في كتبخانة بارس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من أخر النيروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر بالناس افتتاح الخراج والزرع أخضر وهم يقرضون ويستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس الصولى فوقع العزم على تأخير النيروز الى سبعة وعشرين يوما من حزيران فكتب الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ (وردت القصة فى ارشاد الاريب ٢ . ١٢٨) وانه قتل المتوكل قبل دخول السنة الجديدة وولى المنتصر فاحتاج الى المال فطولب به الناس على الرسم الاول وانتقض ما رسم المتوكل فلم يعمل به حتى ولى المعتضد . فوقع حسابه فى اليوم الحادى عشر من حزيران فاحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وانما احتذى المعتضد بالله ما فعله المتوكل الا أنه قد قصره في احدى عشر يوما من حزيران

وخرست الالسن التى كانت تجر الجرائر وتشب النوائر بما أظلها من السلطان القاهر والتدبير الجامع . وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسابين والشعراء والنحويين والعروضيين والاطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفرد في دار عضد الدولة لاهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التى يختص بها الحجاب فكانوا (٥١١) يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم [1] فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا أشتاتا ورغب الاحداث في التأدب والشيوخ فى التأديب وانبعثت القرائح ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفى غيرها من الصدقات على ذوى الحاجات من أهل الملة وتجاوزهم الى أهل الذمة . وأذن للوزير نصر بن هرون في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقرائهم .

وكنا بعرض الزيادة من هذه البركات الى ان أتى أمر الله الذى

---

(١) ويشبه هذا حكاية أوردها جعفر بن قدامة في كتاب الخراج : أخبرني سنان ابن ثابت بن قرة ان المعتضد بالله (وكفى به من الملوك فضلا وحزما) انه لما أراد بناء قصره في أعلى بغداد على الموضع المعروف بالشماسية استزاد في الذرع بعد ان فرغ لها من تقدير جميع ما أراده للقصر فسئل عما يريد ذلك له فذكر انه يريده ليبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير ترتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجري عليها الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ولو مد له في العمر حتى يفعل هذا لظاهر فضل هذه الامة على جميع الامم

لا يدفع وانما شرحناها لينظر فيها من يأتى بعدنا ويقرأها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسيرون بها لينتشر ذكرهم بالجميل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكن لهم ويحسن معونتهم فلو لا خلال كانت فى عضد الدولة يسيرة لا استحسن ذكرها مع كثرة فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوت له من الآخرة رضاه والله ينفعه بما قدمه من العمل الصالح ويغفر له ما وراء ذلك .

وفى هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فاقام على منازلته والتاث عليه أمره فقتل نفسه .

﴿ ذكر شرح الحال فى قتل المطهر نفسه ﴾

لما توفى عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة (٥١٢) من الاعداء الكبار وقتل بختيار وأبو تغلب وملك ديارهم ورجالهم وحصل بمدينة السلام وكانت نفسه تنازع الى مصر خاصة والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها كره أن يجاوره النبط مستعصية ويطاوله صغار أصحاب الاطراف ومن يلوذ بالقصب والغياض والآجام ولا يستأصله فعرّض فى مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطلب من يكفيه هذا الخطب فانتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه . وتقرر الرأى على انفاذ المطهر فجرد معه عسكرا فيه أصناف من الرجال وأزاح علته فى السلاح والاموال والعدد والآلات وضم اليه أبا الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفى وكان فى هذا الوقت بها فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها فخلع على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للنصف من صفر واستخلف

له عضد الدولة على الوزارة وتدبير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان حمد بن محمد الاصبهانى وذلك لدربته لا لصناعته ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه وكان كالشريك لهم فيما ينفذونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريونى من أعمال الجامدة شاور الناس ومحض الرأى فتقرر الامر على تدبير فاسد قد كان جربه من درج قبله مرارا فلم ينتفع به وهو ايقاع السدود على أفواه الأنهار لتنشف البطيحة التى يلجأ اليها (٥١٣) عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معاقلهم فأطلقت فى ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك فى دجلة وبطل ارتفاع الكار ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال وجاءت المدود فحملت على السدود . وتوصل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبثقها فامتلات البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سدّ جانبا انثلمت عليه جوانب واذا حفظ وجها أتاه الخلل من وجوه واتفق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة فى الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف فيما كان باشره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يدفع الى مصابرة قط ولا مطاولة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان يتهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوى بمراسلة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطفات فى السر منه وانه يطلعه على أسرار التدبير عليه ويهديه الى مصالحه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخشنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس فى نفسه خيفة واستشعر وحشة وتوهم أن استصعاب ما استصعب عليه من هذا الامر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء يجد مساغا للطعن عليه واظهار

معايبه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة فى المرتبة واختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه . فلما كان يوم الثلثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان جلس فى مجلسه من عسكره ودخل اليه الكتاب والقواد ووجوه الناس [٥١٤] مسلمين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شداد الفصد واستنزف دمه الى أن يتلف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه فى مقاتله ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دسته الذى كان جالسا فيه مملوا دما فصاح وتوافى اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم [١] انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة فى هذا المعنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلده بكارزين من أعمال فارس فدفن هنالك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونسئل الله التوفيق والعصمة والستر الجميل برحمته .

وأنفذ عضد الدولة عبيد الله بن الفضل الى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيحة على أمر فى العاجل من حمل مال

(١) لعله سقط «منه»

وموادعة له الى أن ينظر فى أمره وكان ذلك عقيب عوده من الايقاع ببنى شيبان (٥١٥) فانحدر ووفى بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران وتسلم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الاربعاء للنصف من ذى القعدة

وفيها انفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر لسبيله وتفرد نصر بن هرون بوزارته وكان مقيما بفارس يدبر أعمالها استخلف له عضد الدولة أبا الريان حمد بن محمد .

وفيها ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أدّاها وكان دخوله في شعبان وانصرافه فى ذى القعدة ورد معه القاضى أبو محمد العمانى لتأدية الجواب .

وفيها توفي حسنويه بن الحسين فى قلعته المعروفة بسرماج .

وفيها قبض على محمد بن عمر العلوى بالبطيحة وأنفذ الى فارس وكان السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه [١] وانفذ أبو الوفاء طاهر ابن محمد الى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل الى شىء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التى لا يظن بمثله انه يجمعها ودخلت اليد فى ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل سقى الفرات بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمال السواد واصطنع أخوه أبو الفتح احمد ابن عمر وقلد الحج بالناس واقطع اقطاعا سنيا .

(١) قال ابن الصابى انه سمع منه كلام يفهم منه الشكاية من الشريف فقبض عليه عضد الدولة ونقله الى فارس ودخلت اليد فى أملاكه وأسبابه : كذا فى عمدة الطالب طبع بمبى ١٣١٨ ص ٢٨٤

وفى هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعى أسيرا وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه . (٥١٦)

{ شرح الحال في الحيلة التي تمت عليه حتى أسر وقُتل }

كان هذا الرجل وضيعا ساقطا طبقته عن كل رتبة واستخدم في وقت في تفرقة تضمين الكراع ولذلك عُرف بالكراعى ثم وصل بمحمد بن بقية وجمعتهما عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قلده خلافته بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأثرى وتموّل وكان منه فى أيام عصيان ابن بقية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم فى بعض . ثم تنكّر له ابن بقية فقبض عليه ونكبه فلما قبض بختيار على ابن بقية استخدمه ولما عزم بختيار على الهرب منهزما هرب منه وصار الى البطائح وكان هناك يجرى على سوء عادته فى سوء الادب . فدبر عضد الدولة تدبيرا تم شطّره عليه ولو قبل جميعه لتم أيضا على صاحب البطيحة ما يستغنى معه عن محاربة ومكافحة وذلك انه ووقف جماعة من أهل البصّرة ووجوهها ان يخدموا عضد الدولة فى مكاتبة يُوقعونها الى هذا الكراعي ويوهمونه انهم يوالونهُ ويضافرونهُ فاذا قربوا منه أثاروا الفتنة بمواطأة من سلطان البصرة ثم سلموا اليه البصرة حتى اذا اغترّ استدعى الحسن بن عمران ليتقوّى به فاذا صار فى دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وحاشته الكمناء من أعلى وأسفل . وأخذ فبلغ به الجهل ان صدقَ بهذا الوعد وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لى بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبونى والبصرة فى أيدينا . فاغترّ به الحسن ابن عمران (٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا ثار بهم من كان فيها

من الرجال وقاتلوهم . وأخطاوا لان تمام التدبير كان فى ان يتركوهم حتى يُوغلوا الى البصرة فاقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالكراعى وانهزم الحسن ابن عمران بعد ان مُلكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحمل الكراعى الى البصرة فشُهر وعوقب وطواب بالمال ثم أنفذ الى بغداد فشهر منصوبا على نقنق فى سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر ليال بقين من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح الى الفيلة فخبطته وصلب الى جانب ابن بقية .

وفى هذه السنة نفذ عسكر الى عين التمر فى طلب ضبة بن محمد الاسدى (وقد مرّ ذكره وانه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدما ويُخيف السبل وينهب القرى ويبيح الاموال والفروج) وانتهك حرمة المشهد بالحائر فلما أظل عليه العسكر المجرّد هرب بحشاشته الى البادية وأسلم أهله وحرمهُ فحصل أكثرهم فى الاسر ومُلكت عين التمر

وفيها دبّر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة الف دينار [1] وبنى الامر فيه على ان يرزق ولداً ذكرا منها فيولّى العهد وتصير الخلافة فى بيت بني بويه ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية (٥١٠ب)

وفى هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوّخ همذان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو على (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار) الفارسى النحوى والذي خطب القاضي أبو على المحسن ابن على التنوخي .

والدينور ونهاوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدبير فخر الدولة فى قصده ومقابلته على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد فى تشتيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاضدة بختيار وابن بقية وقد كان أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمّل عضد الدولة ان يكون الشيطان الذي نزغ بينه وبين اخوته قد زال وأنفذ آبا نصر خرشيد يزديار الخازن برسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى مؤيد الدولة فباحماده على طاعته التى ما غيّرها ولا كدّرها واما الى فخر الدولة فبالمعاتبة والمداراة والزيادة فى الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التى تعلق بها وحفظ نعمته وترك التعرُّض لما يُورطه ويُهلكه . فأما مؤيد الدولة فانه أجاب جوابا سديدا وانه واقف على حدود طاعته وتابع له فى رضاه وغضبه . واما فخر الدولة فاجابه جواب النظير الذى لا يرى لرتبة الملك مزيّة ولا لكبر السن وعهد الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جميل الطاعة نيّة . وأما قابوس فاجاب جواب المتهيّب المحجم المراقب .

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو العلاء وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار [٥١٩] وعبد الملك فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مُظهرة لمشاقّة عضد الدولة وطائفة وردت . حضرته فاما بختيار من بينهم فانه نافر اخوته وكان مقيما فى قلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم ذلك اليه وذكر رغبته في الاعتصام به والدخول فى كنفه ثم تلوّن ولم

ف . فتشوّف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدّم عساكره يتلو بعضها بعضا فجرد أبا الفتح المظفّر بن محمد الحاجب وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد وبرز عن داره الى المعسكر بالمصلي من الجانب الشرقي بعد ان أقرّ أبا الريان بالحضرة على جملته من خلافة الوزارة ولكن زاد في منزلته وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه بالمعسكر الذى برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد كان أبو نصر خواشاذه وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فواقف القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بنياتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن لهم الاقطاعات السنية وحمل الى بعضهم الهدايا والالطاف في السر فلما سار تلقته في طريقه البشائر بدخول جيشه همذان واستئمان العدد الكثير من قوّاد [٥٢٠] فخر الدولة ورجال حسنويه وتلقيهم رايته منحازين اليها وتلقاه أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير فخر الدولة ومعه جماهير حاشيته وبقية قواده وغلمانه فانحل أمر فخر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه واللحاق ببلد الديلم فمضى ونزل دارا كان بناها معز الدولة بهوسم ولجأ الى الداعي العلوي المستولى على ذلك الصقع وعرّج عضد الدولة الى نهاوند وافتتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد وألقت اليه الحصون مقاليدها وأخرجت الارض أثقالها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع وتبعه مرض في الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك

ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد [١]

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام فى ترجمة سنة ٣٦٩ : وسأل عضد الدولة الطائع

﴿ وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه رضى الله عنه ﴾

والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من انتساخه محمد بن على بن محمد أبو طاهر البلخي في منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسمائة

نقله وقابله على بن حنظلة سنة عشرين وخمسمائة

فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل المحرم سنة ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه

فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة

ان يزيد فى لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل الاتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض. فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل ! فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله فى الارض » ثم استمر يمشى ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال : استدنه . فصعد عضدالدولة فقبل الارض دفعتين فقال له : أدن الى أدن الى . فدنا وقبل رجله وثني الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس » وهو يستعفى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسي وجلس فقال له : ما كان أشوقنا اليك وأشوقنا الي مفاوضتك . فقال : عذرى معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون اليها . فأومأ برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوي خاصي وأسبابي فتول ذلك مستخيراً بالله . قال : يعيننى الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه القواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين فقال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ومحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزينبي . فقدموا فاعاد الطائع لله القول بالتفويض . ثم التفت الى طريف الخادم فقال : يا طريف تفاض عليه الخلع ويتوّج . فنهض الى الرواق وألبس الخلع وخرج فأومأ ليقبل الارض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم ألويته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقدهما ثم قال : يقرأ كتابه . فقرىء فقال له الطائع : خار الله لك ولنا وللمسلمين آمرك بما أمرك الله به وأنهاك عما نهاك الله عنه وأبرأ الى الله مما سوى ذلك انهض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفا كان بين المخدتين فقلده به مضافا الى السيف الذى قلده مع الخلعة وخرج من باب الخاصة وسار في البلد .

وأما عضدالدولة وعلته فليراجع فى ذلك حكاية أوردها ابن حمدون فى التذكرة وهى : حدث القاضي أبو على المحسن بن على التنوخي قال : حدثنى عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة ببغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثتنى أمي رحمها الله انها ولدت للامير ركن الدولة ولدا قبل كناه أبا دلف وعاش قليلا ومضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً أسفا على فقده واشفاقا من أن ينقطع ما بيني وبين الامير بعده فسلاَّني مولاي وسكنني وأقبل على وقربني ومضت الايام وتطاول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فخفت أن أجيء ببنت فلا أرى مولاى ولا يراني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره بهن وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة القلق والجزع الى أن دخلت في شهرى وقرب ما أرقبه من أمرى وأقبلت على البكاء والدعاء ومداومة الصلاة والادعية الى الله في أن يجعله ولدا ذكرا سويا محظوظا (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامى واتفق ان غلبنى النوم فنمت في مخادي ورأيت في منامى رجلا شيخا نظيف البزة ربعة كث اللحية أعين عريض الاكتاف وقد دخل على وعندى انه مولاى ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقلت : يا جوارى من هذا الهاجم علينا فتساعين اليه . فزبرهن وقال : أنا على بن أبي طالب . فنهضت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : لا لا . وقلت : قد ترى مولاي ما أنا فيه فادع الله لى بأن يكشفه ويهب لى ذكرا سويا محظوظا . فقال : يا فلانة

(وسماني باسمي وكذا كني الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت وستلدين ذكرا سويا نجيبا ذكيا عاقلا فاضلا جليل القدر سائر الذكر عظيم الصولة شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرهبة ويجمع الاموال الكثيرة ويقهر الاعداء . ويقول بجميع ما أنا فيه (يقول الملك ذاك) ويعيش كذا وكذا سنة لعمر طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) ويملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا وكذا لشيء طويل هذه حكاية لفظه قال الملك عضد الدولة : وكلما ذكرت هذا المنام وتأملت أمري وجدته موافقا له حرفا بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمي عماد الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلا وماتت أمي

وحدث أبو الحسين الصوفي يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتللت علة صعبة أيست فيها من نفسي وأيس الطبيب مني وكانت سنتي المتحولة فيها سنة ردية الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عني حتى الطبيب لضجري بهم وتبرمي بامورهم وما احتاج الى شرحه لهم ولا يصل الي الا حاجب النوبة وبينا أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لي الا البكاء على نفسي والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار منذ الغد يسأل الوصول وقد اجتهدت به في الانصراف فابي الا القعود وترك القبول ولن يقول « لا بد لي من لقاء مولانا فان عندي بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها وسماعه اياها » فلم أحب أن أجد به في المنع والصرف الا بعد المطالة وخروج الامر . فقلت له على مضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ الكوكب الفلاني الى الموضع الفلاني » وتهذي علي في هذا المعنى هذيانا لا يتسع له صدري ولا يحتمله قلبي وجسمي وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحاجب وعاد متعجبا وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد اختل واما ان يكون عنده أمر عظيم فانني أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتي لما انصرفت أو أراك ومتى أوردت عليك في معنى النجوم حرفا فحكمك ماض فيّ . واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت في الوقت وزال ما تجده » فعجبت من هذا القول عجبا شديدا مع علمي بعقل أبي الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه وتطلعت نفسي الى ما عنده فقلت : هاته . فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا في عافية ولا خوف عليك اليوم تبل وتستقل ومعي دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بحديث المنام الذى رآته أمي ولا سمعه أحد مني فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم والناس يهرعون اليه ويجتمعون عليه ويفاوضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكأني قد تقدمت اليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب تركت نعمتي وتجارتي بالري وتعلقت بخدمة هذا الامير الذى أنا معه وقد بلغ في علته الى حد آيس فيه من عافيته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعني فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امض اليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذى رأته وهي حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وانك ستعتل اذا بلغت كذا وكذا سنة علة يأيس فيها منك أهلك وطبك ثم تبرأ منها وفي غد يبتدىء برؤك ويتزايد الى أن تركب وتعود الى عادتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أجلك الى الوقت الذى أخبرتك به أمك عني »
قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام واني اذا بلغت هذه السنة من عمري اعتللت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدثت لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقعدوني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استقللت على الفراش قلت لابي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وتولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطب فاشاروا بتناول غداء عمل في الوقت وأكلته ولم ينصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعاودت عاداتي في اليوم الذى قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لي : بقي في نفسي من هذا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله ويصرم عنه كل ما يخشاه . ولم أتجاوز الدعاء لعلمي بان سؤاله عن ذلك سوء أدب فعلم ما في نفسي وقال : وقوفه على أنني أملك حلب ولو كان عنده انني أتجاوزها لقال حتى انه لما ورد الخبر باقامة ابن شيخ الدعوة لي بها ذكرت المنام فتنغص علي امرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له وانقطع المجلس

TAJÄRUB AL - UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD, KNOWN AS

MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER ATLAW,

Volume II

DEALING WITH THE EVENTS OF 40 YEARS:

329 - 369 A. H.

